رواية

شَمْس مُنتَصَف اللَّيْل

محمد طارق الدوسري



ح مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، 1445 هـ

الدوسري، محمد طارق
شمس منتصف الليل. / محمد طارق الدوسري - ط2. - الدمام، 1445 هـ

رقم الإيداع: 1445/16275
ردمك: 978-603-8411-73-5

مجهّز هذه النسخة: أشرف غالب

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع
الموقع الإلكتروني:
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

مسؤول النشر:
للتواصل
0597777444

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

شمس منتصف الليل

محمد طارق الدوسري

Moody9__

9Moody9

Moody.td

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ ــ ٢٠٢٤م

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق:

▪ mohamed ▪

▪ فاطمة ▪

▪ رحاب ▪

ترتيب وتصميم:

▪ أشرف غالب ▪

الإهداء

إلى رفيقة دربي..

الكتابة..

كنت لي جدارًا منيعًا بإمكاني الاستناد عليه

كنت الحضن الدافئ الذي التجئ إليه عندما أهرب منهم وحدك من ظل معي في خيبتي

كشخص يحاول تهدئتي

كنتُ جلادًا لروحي وكنتِ رحمة لها

تحذير لمن سيقرأ هذا الكتاب..

اقرأ بصمت فهناك سفاح مرعب يجوب داخله ويحب رائحة الدماء..

وقد تكون رائحتك شهية له..

تنبيه بسيط..

ربما ستلتقي بقلب يبكي وحيدًا متألمًا وخائفًا بين الصفحات، اتركه وامضِ قدمًا..

فذلك هو قلبي..

ركضت ديانا نحوه بعينين يملؤهما الغضب رافعة السكين في يدها تريد أن تطعنه بها، ابتعد جيلبرت عن طريقها ثم حاول الهجوم عليها مجددًا ليستحوذ على السكين، لكن ديانا جرحت يده، تناثرت الدماء على الأرض التي جعلت آريز يشعر بالسعادة..

- هيا يا ديانا تستطيعين النيل منه افعليها واغرسي السكين في قلبه، قال آريز بحماس.

هجم جيلبرت عليها كضبع ينقض على فريسته حاول تثبيتها وأَخْذَ السكين من يدها لكنها كانت تمسكها بإحكام، لكمها لكمة قوية على وجهها، سال الدم من فمها وأنفها، حاولت غرس السكين في صدره لكنه وجه لها لكمة أخرى ورفسها بكل ما يملك من قوة على بطنها، اصطدمت ديانا بالجدار الخلفي ومن ثم سقطت بشدة على الأرض، كانت تتأوه ألمًا والسكين مرمية بالقرب منها، أرادت أخذها لكن جيلبرت سبقها بذلك حتى أصبحت بحوزته أخيرًا..

- بقيت دقيقة. قال آريز ببرود.

انقض جيلبرت مجدداً نحو زوجته وحاول طعنها لكنها كانت تبتعد عنه في كل مرة إلى أن جرح ذراعها..

- استسلمي ديانا.

- اصمت يا عديم الوفاء.

ثم ركضت نحوه بسرعة وبحركة لم يتوقعها أحد، سحبت الكرسي الذي كان أمامها والذي كانت تستخدمه كلما أرادت وضع. مساحيق التجميل ورمته على وجهه ليرتطم به ويسقط جسده أرضًا، ركضت نحو السكين لكنه كان أسرع منها، فما أن أمسك السكين حتى هجمت هي على وجهه

كي تجرحه بأظافرها الطويلة، طعن ظهرها عدة طعنات متتالية لكنها ما زالت تخدش وجهه رغم شدة الألم إلى أن غرزت أصابعها داخل عينه بقوة مما جعله يسقط السكين ويحاول إبعادها عنه، أخذت السكين والدماء تغطي جسمها الهزيل، وبحركة أسقطت زوجها أرضًا الذي كان يضع يديه على عينيه من شدة الألم..

- عشر ثوان. عاد صوت آريز مذكرًا.

قفزت فوق جسمه الهامد أرضًا، رفعت السكين عاليًا..

- الوداع يا عزيزي

ثم سددت له عدة طعنات سريعة على صدره حتى شقت قلبه سالت الدماء وأصبحت بركة حمراء أسفل الزوجين، ظلت ديانا تطعن زوجها حتى بعد أن فارق الحياة وهي منهارة بالبكاء، توقفت ونظرت إلى يديها وثيابها المملوءة بدماء زوجها ودمائها، نظرت إلى عيني آريز بخوف الذي كان يبتسم لها..

(فانكوفر)

قبل اثني عشر شهرًا..

يوم دافئ لطيف كبقية أيام شهر سبتمبر في مدينة فانكوفر الكندية، السماء زرقاء صافية، طيور تحلق في الأرجاء، خرجت تالين من منزلها في الصباح الباكر تركض مسرعةً باتجاه نقطة توقف الحافلات في منطقتها غرب فانكوفر آملةً اللحاق بالحافلة المتجهة نحو مركز المدينة.

صعدت تالين الحافلة لاهثة وهي تضحك في وجه السائق..

- شكرًا يا هنري على انتظارك دقيقةً إضافية، لولا هذه الدقيقة! لانتظرت الحافلة القادمة والتي ستصل إلى هنا بعد ساعة، وبهذا لن أستطيع اللحاق بمحاضرتي الصباحية.

ثم أرته بطاقة اشتراكها في حافلات فانكوفر كعملٍ روتيني قبل الدخول لأي حافلة.

- لا عليك فقد رأيتكِ تركضين لاهثةً وعيناكِ قد ملأهما الخوف، غير أنّ جميع من في الحافلة طلبوا أن أنتظرك، هيا خذي مكانكِ بالجلوس فسننطلق.

شعرت تالين بالقليل من الخجل وهي تنظر إلى أعين الركاب يبتسمون لها.

- أشكركم جميعًا على لطفكم هذا.

جلست تالين في مقعدها المفضل وأخذت تتأمل كعادتها السحب والأشجار، وأثناء فترة تأملها سألت إحدى السيدات تالين:

- كيف حال والدتكِ يا ابنتي؟ هل عادت من اليونان؟ أبلغيها تحياتي وقولي لها إن العمة نيرملا تشتاق إلى أكلاتها اليونانية.

ابتسمت تالين وكأنها تتذكر تلك المأكولات اليونانية:

- ستعود نهاية هذا الأسبوع يا عمتي نيرملا، فهي في زيارة لأسرتها في اليونان.

شاركت سيدة أخرى الحديث:

- كم أنتِ محظوظة يا تالين، والدتكِ ذات أصولٍ يونانية ووالدك ذو أصولٍ عربية، أشعر وكأن منزلكم منبع للحضارات والثقافات.

أجابت نيرملا:

- وكم هي جميلة وجذابة أيضًا يا إميلدا، انظري إلى رشاقة جسمها وإلى عينيها العربيتين الواسعتين وأنفها المسلول، كسبتهما من والدها، وإلى بشرتها البيضاء وشعرها الأشقر الداكن، ووجنتيها الورديتين وشفتيها الملونتين بلون الكرز، فقد كسبتهما من والدتها.

ابتسمت تالين للسيدتين وأخبرتهما أنهما جميلتان أيضًا وأن الفتيات قد يشعرن بالغيرة من ذلك، نزل الركاب من الحافلة في مركز المدينة، وأكملت تالين طريقها إلى الجامعة مشيًا على الأقدام.

في كافتيريا الجامعة كان يعم المكان الهدوء، فبعض الطلاب كانوا منشغلين بأداء بواجباتهم والبعض الآخر يدرسون استعدادًا لامتحان ما، وهناك مجموعة فتيات يتحدثن عن آخر صيحات الموضة، فجأةً دخلت إيميلي الكافتيريا وداهمت ذلك الهدوء اللطيف بصرخة حادة..

- تاااليين!!!

رفعت تالين رأسها عن الهاتف لتشاهد قدوم صديقتها الغاضبة كانت وحيدةً تجلس عند طاولة بالقرب من زاوية الكافتيريا.

- تالين لقد حدث ما كنت أخشاه، لقد هجرني!

وبكل هدوء أجابت تالين:

- أعلم أعلم، لقد أخبرتكِ بأنه سيحدث ذلك سلفًا ولكنكِ تكذبينني في كل مرةٍ أنبهكِ بها.

انزعجت إيميلي من ردة فعل صديقتها الباردة..

- تالين أنا أحب سام، وأنتِ تعلمين أنني لن أستطيع العيش بدونه.

شعرت تالين بالغضب قليلاً:

- بل تستطيعين من يكون سام هذا حتى لا تستطيعي العيش بدونه هل هو من علمكِ القراءة والكتابة؟ هل هو من علمكِ كيف تتحدين الحياة من أجل حلمٍ أردتِ تحقيقه؟ هل كان بجواركِ في معظم حالات ضعفك؟ هو فقط علمكِ السهر والاتصالات الليلية والحديث بأمور خادشة للحياء.

- أنتِ لا تعرفين ما معنى أن ينبض قلبكِ باسم شخص لا ترين في هذه الحياة غيره.

أجابت تالين بثقة واعتزاز:

- عزيزتي إيميلي كوني امرأة شامخةً تعتز بنفسها، كوني الأقوى ولا تقبلي لنفسكِ الإهانة، فنحن النساء أقوى من أن يكسر قلوبنا رَجُل!

- سأحاول أن أنسى ولكن صدقيني سيأتي يوم وتعيشين ذلك الحب، عندها ستشعرين بمعاناتي.

ضحكت تالين وهي تمسح دموع صديقتها:

- إذًا إلى أن يأتي ذلك اليوم محرمٌ عليكِ الخوض في معارك الحب مرة

أخرى.

صاحت إيميلي مندهشةً:

- تقصدين أني لن أعيش الحب ما حييت! أعلم أنكِ لن تحبي شخصًا أبدًا.

ضحكت كلٌ من تالين وإيميلي وعانقتا بعضهما بعضًا..

- كم أحبكِ يا تالين، لستِ صديقتي فحسب! بل أختي التي أنجبتها الحياة لي.

- وأنا أحبكِ أيتها الخرقاء وأعلم أن حياتكِ لن تسير إلا بي، يا توأم روحي.

سألت إيميلي وهي تشعر بالملل:

- ماذا سنفعل اليوم؟

ابتسمت تالين ابتسامةً خبيثة قائلةً:

- لا أعلم ولكن ما أعرفه هو أننا يجب أن نخرج من هنا وحالاً، قبل أن تندلع حرب طروادة.

عقدت إيميلي حاجبها:

- لم أفهم؟

- سام يا إيميلي، إنه هنا.

التفتت حينها إيميلي لترى سام برفقة معشوقته الجديدة فاستشاطت غضباً:

- حسنًا سنذهب من هنا يا تالين ولكن سأشتري لي العصير، هل تريدين

معي؟

- لا، شكراً.

وقبل خروجهما من الكافتيريا، ذهبت إيميلي إلى سام..

- مرحبًا يا سام! خذ هذا!

شهق كل من رأى المشهد، فقد سكبت إيميلي العصير على سام وهي تبتسم ابتسامة محاربٍ منتصر في معركة، عندها ركضت كل من تالين وإيميلي للخارج قبل أن يستفيق سام من صدمته.

***

تالين وهي تضحك..

- لم أقصد بكلمة أن تكوني امرأة شامخة أن تفعلي ذلك بسام، ولكن أحسنتِ.

- اتركي عنكِ كلامكِ المنمق فإنه لا يداوي جرح القلب سوى الرد باليد.

- لا يداوي جرح القلب سوى الأيام، وحدها الأيام ستنسيكِ تلك الجروح التي خلفها في قلبك الجريح.

- ماذا سنفعل الليلة؟ أعادت إيميلي السؤال ذاته.

تالين ممازحةً صديقتها:

- سنحاول السيطرة على العالم.

- لا تكوني طفلة، هيا فكري معي.

- لا أعرف ولكن يجب ألا أتأخر في عودتي للبيت، فوالدي سيكون وحيدًا.

- حسنًا سنذهب للسينما لمشاهدة فيلم ديزني الجديد.

تساءلت تالين بحماس:

- مولان!!

- نعم، وسأحجز الآن مقعدين من خلال تطبيقهم، قمت بتحميله البارحة في هاتفي.

- في أي ساعةٍ سيكون العرض؟!

- السادسة مساءً.

- باقٍ من الوقت ثلاث ساعات، ما رأيكِ أن نتسوق إلى أن يحين وقت العرض؟ فأنا لا أود الذهاب للمنزل غرب فانكوفر ثم العودة إلى وسط المدينة.

- بالطبع لن تذهبي إنه أمرٌ شاق، وبكل الأحوال أنا أيضًا لن أذهب إلى منزلي، لنتسوق إذًا في المجمع التجاري الذي سيعرض فيه فيلمنا.

ذهبت الصديقتان إلى المجمع التجاري، وأخذتا تتجولان بين المحال إلى أن يأتي وقت عرض الفيلم.

✵✵✵

في الوقت ذاته، بين أنحاء شوارع فانكوفر..

كانت الملازم جودي خلف المقود تقود سيارة الشرطة بتهور كبير، وبجانبها يجلس المحقق بيتر يطاردان عصابةً قامت بالسطو المسلح على أحد المحال التجارية في شوارع المدينة.

- نداء إلى جميع الوحدات، نحتاج إلى الدعم اللازم، نحن نطارد مركبةً

قامت بالسطو على أحد المحال المركبة من نوع مرسيدس فان لونها أسود تحمل اللوحة رقم تسعة أربعة أربعة تسعة، نتجه الآن نحو شارع روبسون، حوّل.

- عُلِم، سنتجه إلى شارع نيكولا القاطع لشارع روبسون. أجاب أحد رجال الشرطة عبر الجهاز اللاسلكي.

قال المحقق بيتر للملازم جودي مترددًا:

- لا أعتقد أننا سنمسك بهم في شارع روبسون فهم يراوغون بكثرة الانعطافات بين الشوارع الضيقة.

- نعم ولكن إن أسرعنا واصطدمنا بهم من الخلف فسنشتت خطتهم بتغيير المسار.

- لن تفعليها صحيح!! قالها بيتر مرتبكًا وهو يتشبث بمقعده بإحكام.

أجابت جودي وهي ترسم على وجهها ابتسامة خبث:

- بل سأفعل! تمسك جيدًا يا بيتر.

ما أن أنهت جملتها حتى زادت الضغط على دواسة الوقود وأصبحت تقود بسرعة جنونية، أغمض المحقق عينه خوفاً مما سيحدث، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى اصطدما بمؤخرة المرسيدس مما أدى إلى فقدان سيطرة قائدها، لكن في لحظةٍ ما تدارك قائد المركبة الوضع، ثم اتعطف يمينًا ليسلك الطريق السريع.

أمسك المحقق بيتر جهاز اللاسلكي..

- لقد سلكت العصابة طريق جورجيا السريع متجهةً إلى ستانلي بارك، أغلقوا الطريق عليها فإنه لا يوجد لها مفر الآن يمكنها الذهاب إليه.

صرخت جودي مقاطعةً، بيتر:

- يا إلهي انظر!!

حينها خرج أحد رجال العصابة من النافذة يحمل بيده مسدسًا وبدأ يطلق النار على سيارة الشرطة.

قامت الملازم جودي بالمناورة يمنةً ويسرة.

- قم بالتصويب على الإطارات أيها الأحمق. قال أحد رجال العصابة للآخر بعصبية.

- لا أستطيع فتلك الشرطية مراوغةٌ بارعة.

ما هي إلا ثوان معدودة حتى سُمع صوت المكابح صادراً من مركبة العصابة.

ضرب السائق مقود السيارة بغضبٍ شديد وصاح:

- كيف لنا أن نهرب منهم الآن!!

لقد أغلقوا الطريق وأوقعونا بين الزحام وفجأة..

فُتحت أبواب المركبة..

لقد كان المحقق بيتر والملازم جودي، يشيران بأسلحتهما صوب العصابة آمرين إياهم بالنزول من المركبة والاستسلام.

- هيا سلّموا أنفسكم ولا تقاوموا أكثر، فلا مفر لكم. قالها بيتر ثم أضاف جملته الشهيرة:

- العدالة تنتصر دائمًا.

ارفعوا أياديكم إلى الأعلى بهدوء. قالتها جودي وهي تشعر بنشوة الانتصار.

لم يعد للعصابة خيار سوى الاستسلام..

ها قد انتصر الخير على الشر..

فهو لا ينتصر عادةً..

لكنه على الأقل!

انتصر اليوم..

***

(مشاكل وحلول)

في تمام الساعة التاسعة مساءً..

توقفت حافلةٌ عند نقطة توقف الحافلات بمنطقة غرب فانكوفر، نزل منها عدة ركاب من ضمنهم كانت تالين، كانت في طريقها عائدة إلى منزلها مشيًا على الأقدام حينما مرت بجانبها سيارة ذهبية اللون من النوع لكزس كانت تعرف تلك السيارة جيدًا، كيف لا تميزها وقائدها هو صديق طفولتها وحارسها الذي كان يحميها من أن يصيبها أي مكروه.

صديقها الذي يكبرها بعدة سنوات..

المحقق بيتر..

- كيف حالكِ يا آنسة مشاكل؟!

قالها بيتر وهو يضحك، وكأنها كلمة سر قديمة اعتاد قولها لصديقته تالين..

ضحكت تالين وهي تلوح بيدها لبيتر..

- أهلاً بخير يا سيد حُلول.

ما أن أنهت تالين جملتها حتى أعادت لبيتر شعورًا غريبًا..

شعورًا لطيفًا ممزوجًا برائحة حكاية قديمة..

حكاية طفولة بريئة..

حكاية الطفلة مشاكل والطفل حلول..

***

كان يوم عطلة، وكان الطقس باردًا آنذاك، لا سيما أننا في شهر ديسمبر، شهر اللقاء والفراق..

ترى دخان المداخن يخرج من أعلى المنازل، الكل يشعل مدفأته طالبًا الدفء..

كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحًا..

ترى أطفالاً في الحديقة يلعبون ويرمون بعضهم بعضًا بكرات الثلج، وهناك يبتسم رجل الثلج ينتظر من يضع الجزرة في مكانها..

كانت هناك طفلة صغيرة ترتدي كنزة صوفية لونها أحمر داكن محلية رقبتها بوشاح صوفي رملي اللون وقفازات صغيرة من اللون ذاته ومغطية شعرها الأشقر الداكن بقبعة شتوية ذات اللون الأحمر الداكن ألبستها إياها والدتها لتحمي رأسها من هذا الجو البارد، كانت تنظر إلى الأرجوحة بحزن شديد.

- لمَ هذا الحزن؟ سألها أحد الأطفال.

- أريد أن أتأرجح ولكن المشكلة أن قدميَّ لا تصلان إلى الأرض. أجابت وهي مستاءة.

ضحك الطفل وقال:

- حسنًا الحل عندي، فقط اجلسي على الأرجوحة.

- حاضر.

ما أن جلست حتى سحبها الصبي إلى الخلف، ثم وبقوة دفعها إلى الأمام، وأعاد الحركة مرارًا..

كانت الطفلة حينها في قمة سعادتها، تتخيل لو أنها فراشة تطير في تلك الحديقة..

كانت تضحك لدرجة جعلت الصبي يضحك أيضًا..

صاحت إحدى النساء اللَّواتي في الحديقة:

- بيييتر، تعال وكل شطيرتك حالًا.

- حاااااضر يا أمي. أجاب بصوت عالٍ.

حينها لم تشعر الطفلة بأن هناك من يؤرجحها، حتى توقفت الأرجوحة عن التأرجح..

وبعد وقت قصير، عاد بيتر إلى الطفلة فوجدها حزينة مرة أخرى.

- ماذا هناك أيضًا؟ سألها بيتر.

أشارت الطفلة بإصبعها إلى مجموعة صبية:

- هؤلاء الصبية رموني بكرات الثلج، والمشكلة هي أنني لا أستطيع مواجهتهم وحدي.

غمز لها بيتر وقال مبتسمًا:

- الحل عندي.

- ماذا ستفعل هذه المرة؟!

- أولاً سنعد كمية كبيرة من كرات الثلج، ثم نهجم أنا وأنتِ على تلك المجموعة بغتة ونرميهم بجميع ما لدينا من الكرات وبرمياتٍ سريعة، ثم سأصرخ عليهم بجملتي المفضلة.

- جملتك المفضلة؟ سألت الطفلة مستغربة.

- سترين. قالها وهو ينقر على أرنبة أنفها مبتسمًا.

جلس الطفلان على الثلج وأخذا يصنعان كرات كثيرة..

نظر بيتر إلى وجه الطفلة حينها، فوجدها مستمتعة في صنع الكرات..

- هل أنتِ مستعدة للانتقام؟ سنلقن الصبية درسًا في أن الثأر يؤخذ ولو بعد حين.

- نعم نعم وعلى أتم الاستعداد يا سيدي. قالتها بحماس شديد.

وبعد دقائق من ذلك، هجم كل من بيتر والصغيرة على مجموعة الصبية وبدأ تنفيذ الخطة التي وضعها بيتر بحذافيرها..

قال بيتر لهم وهو يصرخ:

- أين هي تلك الشجاعة التي كانت لديكم عندما انقضضتم مثل الضباع على هذه الحمل الوديع؟

- نحن آسفون، لم نعلم أنها رقيقة إلى ذلك الحد الذي ضايقها مزاحنا. قال أحد الصبية.

- وأن لديها أخًا قويًّا ستشكوه عنّا. صبي آخر مكملًا على ما قاله صديقه.

- هروووووووب. قال ثالثهم.

وقبل أن يهرب الصبية، صرخ بيتر في وجوههم بصوت مرتفع:

- العدالة تنتصر دائمًا.

ثم انسحب الصبية من ساحة المعركة معلنين بذلك انتصار المحاربْين

الصغيرين.

- إذًا كانت تلك هي جملتك المفضلة «العدالة تنتصر دائمًا»، ولكن لِمَ تفضلها؟!

- لأن والدي يقولها دائمًا للأشرار الذين يطاردهم. أجاب بيتر وهو يضع يده على كتف الطفلة.

- ماذا يعمل والدك؟!

- شرطيًّا.

سكتت الطفلة قليلاً، ثم أخذت تنظر إلى بيتر بعينين يملؤهما الحزن قليلاً، فسألها:

- لِمَ هذه النظرات؟!

- هناك مشكلة أخيرة.

- وما هي؟!

قالت وعيناها تملؤهما البراءة:

- أريد أن نصبح صديقين للأبد.

- الحل عندي نصبح صديقين قالها بحماس.

- إلى الأبد؟!

- إلى الأبد.

ثم مديده لمصافحة صديقته الجديدة..

- اسمي بيتر.

مدّت يدها له..

- وأنا تالين.

- تالين! إنه اسم جميل.

- أبي عربي وأمي يونانية، اتفقا على تسميتي تالين لأنه اسم مشترك بين العرقين.

- وماذا يعني اسمك؟!

- بالعربية هو جمع لكلمة «تالي» والتي تعني تالي القرآن الكريم ومرتله، وباليونانية تعني الفتاة الجميلة والمزهرة.

- كم هذا جميل!

شعرت تالين بالسعادة لأنها ألقت تلك المحاضرة بنجاح، عنوانها «معنى اسم تالين» والتي حفظتها عن ظهر قلب من والديها.

- مشاكل.

- ماذا؟! سألت تالين بحيرة.

- سأسميكِ مشاكل.

- لماذا؟!

ضحك بيتر وقال:

- لكثرة مشكلاتكِ.

- إذًا أنت حلول.

- كيف؟

- أقصد أني سأسميك حلول، لأنك تحل المشكلات.

قال بيتر بابتسامة والثقة تخرج من حدقة عينه:

- هذا الاسم يليق بي.

ثم أضاف:

- وستجدينني دائمًا أحل مشكلاتك يا مشاكل.

حينها أتت والدة تالين لتخبر ابنتها أنهما عائدتان إلى المنزل:

- تالين، هيَّا يا ابنتي فوالدكِ ينتظرنا في المنزل.

- أمي! أمي! لنجلس فترةً أطول.

ثم أضافت وعيناها تملؤهما الدموع:

- المنزل ممل.

- ممل! لديك كل ما تتمنينه، غرفة خاصة، دمًى، تلفاز، طاولة للرسم، قصر أميرات صغير، هيا كفّي عن الدلع.

أكملت والدة تالين محاضرتها بصوت ينمّ عن الحزن:

- لقد دللناكِ أنا ووالدك، أهكذا تردين جميل والديكِ يا تالين؟

صاحت تالين بصوتها وقد بدأت بالبكاء:

- آسفة آسفة أمي، ولكني أريد صديقًا يزورني.

- صديقًا؟!

- هذا هو صديقي حلول. أشارت بإصبعها السبابة إلى بيتر ثم أخذت تكفكف دموعها.

- تقصد بيتر يا خالتي قالها بيتر مصححًا الاسم ممازحًا.

أخذت والدة تالين تنظر إلى بيتر عندها بدأت تتفهم مشاعر ابنتها وما ترمي إليه:

- أهلاً بيتر.

- أهلاً.

- برفقة من أنت هنا؟!

- والدتي.

- ما رأيك أن تعرفني بها يا بُني؟!

- بالطبع، اتبعيني.

أخذت تالين تحكي لوالدتها عن كل ما فعله بيتر لها حينما كانتا تتبعانه لرؤية والدته..

شهقت والدة بيتر عندما رأت ابنها قادما نحوها وبرفقته امرأة وابنتها..

- عذراً يا سيدتي هل فعل ابني شيئًا لابنتك الجميلة؟! قالت والدة بيتر وهي تسحب ابنها نحوها قابضةً على أذنه لاويةً إياها.

- أميي!! قال بيتر.

قالت والدة تالين وهي تحاول تخليص بيتر من عقوبةٍ لا ذنب له بها:

- لا لا يا سيدتي على العكس تمامًا، فابنكِ صبي شجاع وطيب القلب،

لقد ساعد ابنتي وحماها عندما تم إيذاؤها من قبل مجموعة صبيان.

- حقًّا!! أحسنت يا بُني.

لم يقل بيتر شيئًا واكتفى بتفحص أذنه والطبطبة عليها وكأنه يتحقق من أنها ما زالت في مكانها.

- في الواقع أريد أن تستمر صداقة طفلينا، فابنتي طفلة عنيدة والواقع أنها تريد بيتر صديقاً لها.

- بالطبع هذا شرف لنا يا سيدتي.

- هل لي بأخذ رقم هاتفك؟ بذلك يسهل علينا التواصل.

- نعم هذا ما كنت أفكر به حقيقةً.

حينها كان ينظر كل من تالين وبيتر بعضهما إلى بعض، يتبادلان الابتسامات والغمزات، وكأن حكاية مشاكل وحلول بدأت من هذه اللحظة...

***

عاد بيتر إلى الواقع عندما سمع صوت باب سيارته يغلق كانت تالين قد ركبت بجواره.

قالت وهي تضرب صدر بيتر ممازحة:

- لا أظن أني أحتاج موافقة للركوب!

- بالطبع لا تحتاجين، إن السيارة وقائدها تحت خدمتكِ دومًا آنستي، ثم إن سيارتي تزداد جمالًا كلما كنتُ بداخلها.

ضحكت بشدة وقالت:

- حلول ما هذا الغزل الركيك؟ يجدر بي أن أعطيك بعض الكتب ذات الطابع الرومنسي لتتعلم منها قليلاً، وإلا فإنك ستظل عزابًا طوال حياتك، ثم إني أفضل أن توصلني إلى المنزل على أن أسمع غزلًا بائسًا.

قال بيتر ممازحًا تالين:

- أنا متعود على حل المشكلات لا اختلاقها، فالغزل بأمثالك ليس مشكلةً فحسب بل كارثة!

وأضاف بغرور وهو يقود سيارته لمنزليهما:

- ثم إنه من قال إني أحتاج تعلم الغزل ونظم العبارات المعسولة لأسرق بها قلوب الفتيات ألا تكفي وسامتي! مظهري مكانتي الاجتماعية! أعتقد أنها كفيلة بذلك.

- من قال إن الفتيات تهمهن مظاهر الشباب أكثر من طريقة كلامهم وجوهرهم!؟

- هل من الممكن أن يتعلق قلبك برجل قبيح حتى إن كان كلامه وجوهره كما تدعين جميلين؟

- نعم.

- كاذبة.

حكّت رأسها تعبيرًا عن التفكير ثم قالت:

- ممم نصف كاذبة.

- مشاكل! لا تدعي المثالية وكوني أكثر واقعية أرجوكِ، فليس كل ما تقرئينه في الكتب والروايات صحيحًا.

- مثل ماذا يا فهيم؟

- لو كان كوازيمودو أحدب كنيسة نوتردام بيننا اليوم! فهل تعتقدين أنه سيجد فتاةً تحب خلقته كما فعلت الغجرية أزميرالدا؟

أجابت تالين وقد بدا عليها الحزن والاقتناع بالواقع المرير:

- لا أظن أن هناك فتاة في واقعنا ستفعل ذلك، ربما ستعطف عليه إحداهن، ولكنها لن تحبه.

ثم أضافت:

- أعتقد أن فيكتور هيوجو أراد تلقيننا درسًا قيّمًا بأننا نحن البشر سطحيون كثيرًا مهما بلغنا من التقدم من خلال تلك الرواية.

- هذا ما كنت أرمي إليه، سطحيون لدرجة أننا نهتم بالمظاهر أكثر، لذا استناداً على نظريتي! فإني سأخطف قلوب الفتيات أرأيتِ! ها قد حللت مشكلتي مع الغزل وانتصرت عليه.

وضعت تالين يدها على رأسها ثم قالت:

- آه كم أنت ثرثار جدًّا، أُفضل أن تصمت الآن فقد بدأت أشعر بالصداع بسببك.

قهقه بيتر..

- أتعلم يا حلول، لا شعور يضاهي إيجاد نصٍّ يشبهني في كتاب ما، هل جربت يوما أن تشعر أنك كُتبت واختصرت بشكل رائع في سطرٍ واحد؟!

- مم لا للأسف فأنا لا أُختصَر في سطر واحد، بل أسرد في مؤلفات.

- يفضل أن تصمت الآن فعلًا يا نرجسي.

أكمل طريقه صامتًا إلى أن سأل تالين:

- كيف كان يومكِ؟!

- كالمعتاد محاضرات.

- ولكنكِ متأخرة في العودة إلى المنزل اليوم يا مشاكل، أهناك مشكلات؟

- لا توجد أي مشكلة حتى الآن، ولكني كنت أشاهد فيلمًا في السينما مع صديقتي إيميلي.

- وما كان اسم الفيلم؟!

- فيلم ديزني، النسخة الحية من فيلم مولان.

رمق بيتر تالين بنظراتٍ حادة ثم أردف:

- الم أقل لكِ بأننا سنشاهده معًا فور عرضه؟! ألم نتفق على ذلك يا تالين؟!

قضمت تالين شفتها السفلى وشعرت بتأنيب الضمير:

- أنا حقًّا آسفة جدًّا يا بيتر، كيف لي أن أنسى اتفاقنا، آآه سامحني أرجوك، إن كنت تنوي الذهاب لمشاهدته فإني سأذهب معك لمشاهدته مرة أخرى.

أجاب وقد أطفأ محرك السيارة أمام منزله:

- لا لا عليكِ، سأشاهده مع بعض الأصدقاء لاحقًا.

ثم أضاف:

- هيا ادخلي منزلك واستريحي، أنا سأستريح أيضًا فقد كان اليوم شاقًا.

ترجّل كل من تالين وبيتر من السيارة، ثم وقف كل منهما أمام باب بيته، كان منزلاهما متقابلين تمامًا..

كانت المنازل في ذلك الحي متشابهة تقريباً في التصميم الخارجي فقد كان كل منزل يحيطه سور قصير من الحديد المزخرف، يمكن لأي شخص الدخول من باب السور إلى حديقة المنزل متجها إلى باب المنزل الرئيس.

أخذت تنظر تالين إلى وجه بيتر المحبط..

فجأة..

ركضت إليه وعانقته بشدة ثم قالت:

- لا أريد أن أرى هذا الوجه العبوس أرجوك، لا أحب أن أراك هكذا، قلبي يحترق كلما رأيت عينيك يملؤهما الحزن.

عانق بيتر تالين و داعب خصلات شعرها ثم قبل رأسها وقال:

- لستُ حزينـًا يا مدلّلتي، لا يحق لي الحزن أبدًا طالما أنتِ بجواري، تالين تعلمين بأني بعد وفاة والدي أصبحت وحيدًا، لكنكِ الوحيدة التي تفهم وحدتي هذه.

سكت قليلًا ثم أكمل:

- لذا لم أجد نفسي إلا وقد استأجرت منزلاً أمام منزلكِ.

رفع رأسها وأخذ يتأمل عينيها الجميلتين وقال:

- أنا وحيد وأنتِ جماعتي.

أجابت وقد بدأت نبضات قلبها بالتزايد:

- أنت وحيدي، أنت سر ابتسامتي في هذا العالم المظلم، أنت جبل يقف خلفي ليحميني من غدر الزمان، أنت أخي، هلَّا ابتسمت يا بيتر!

شعر بيتر بوخزة في صدره عندما نعتته تالين «بأخي» لكنه ابتسم كما أمرت، لكنها كانت ابتسامة حزينة..

- وأنت أختي الوحيدة.

أفلت كل منهما الآخر ثم ودّعا بعضهما بعضًا ودلف كل منهما إلى منزله..

عند دخول تالين المنزل اشتمت رائحة زكية أرغمتها على الشعور بالجوع، أدركت حينها أن والدها كان يعد الطعام.

- مساء الخير أبي، ما هذه الرائحة الشهية؟

أجاب والدها وهو منهمك في تقطيع بعض الخضار وإعداد وجبة العشاء لابنته:

- اوه لقد عادت طفلتي، يفترض أن تكوني جائعة الآن، إلا إذا كنتِ قد تناولت عشاءك بدوني!

- أيعقل ذلك أن أترك طعام والدي اللذيذ وأتناول عشائي في المطاعم؟

ثم أكملت حديثها بحماس وهي تقبّل يد والدها:

- أبيي أنا أتضور جوعًا، كيف لي أن أساعدك في إعداد مأدبتنا العربية الملكية؟

- ناوليني ذاك الطبق الكبير هناك. مشيرًا بسبابته إلى طبق كبير كان على المنضدة.

ثم أضاف:

- قومي بتجهيز المائدة، فالطعام سيصبح جاهزًا بعد دقائق.

- حاضر اكتملت مائدة الطعام، كان هناك سلطة خضار الطبق الكبير كان يملؤه الرز الأصفر بالزعفران والمطهو على الطريقة العربية ويعتليه دجاجة محمرة، إلى جانب هذا كانت السمبوسة المحشوة باللحم المفروم حاضرةً المائدة، جلس كل من الأب وابنته متقابلين، وأخذ يسألها عن يومها وكيف قضته، ولكن تالين كانت حينها مشغولةً الفكر بشيء آخر، شيء غريب شعرت به حين نظرت إلى عيني بيتر لكنها لم تفهمه.

- تالييين! قال والدها وهو يلوح بيده ليلفت انتباهها.

- نعم؟!

- أين سرحتِ؟ أهناك ما يشغل بالكِ يا ابنتي؟!

- لا لا، لكني تذكرت أن لدي بعض الأعمال التي يجب القيام بها في الجامعة.

ثم حاولت تغيير الموضوع فقالت:

- يا إلهي! الطعام لذيذ جدًّا أبي، سلمت يداك.

ضحك والدها وقال مسرورًا:

- تعلمين أني ووالدتك نتنافس بالطبخ، وأنا على يقين دائم بأن الأطباق العربية تفوز على اليونانية.

***

في الوقت ذاته كان بيتر مستلقيًا على فراشه متأملًا سقف غرفته شارد الذهن في مكان بعيد..

ليس ببعيد جدًّا بل أقرب..

أقرب ليكون ذهنه مشغولاً بالمنزل المقابل..

تالين..

أخذ يتذكر عينيها الواسعتين الجميلتين..

تينك العينين اللتين لم يعد يراهما مثل ذي قبل..

أصبح يراهما بشغف..

حتى أيقن أنه الآن..

واقعٌ في الحب..

❋❋❋

أشرقت شمس صباح اليوم التالي..

كان صباحًا هادئًا مصحوبًا بصوت زقزقة العصافير والتي أعلنت بذلك استعدادها لهذا اليوم اللطيف، تسمع صوت الرياح تدغدغ أغصان الشجيرات لتساقط منها بعض الأوراق التي قررت الهروب من مسكنها باكرًا، كما فعلت تالين أيضًا.

كانت تقف أمام منزل بيتر مرتدية بجامة نومها السماوية في وقت مبكر جدًّا على غير عادتها، تضع سبابتها على جرس الباب مترددةً بين الضغط عليه أو الرجوع إلى منزلها، لكنها أخيرا استجمعت قواها وتجرأت على قرع الجرس..

لمرة..

مرتين..

ثلاث مرات..

كان بيتر لم يستيقظ بعد من نومه، فقد كان يخط في نوم عميق حالمًا بها، لكن صوت قرع الجرس أيقظه من ذاك الحلم الوردي، نزل إلى الطابق الأرضي ليرى من يكون هذا الزائر غير المرحب به في مثل هذا الوقت من الصباح، وعندما فتح الباب وجد الفتاة التي كانت في منامه تقف أمامه..

- أما زلت أحلم؟! قالها وهو يفرك عينه غير مصدق ما يراه.

تالين مستغربة:

- هاه؟

- تالين؟

أهناك مشكلة؟!

أجابت والخجل واضح على وجهها:

- هل يجب أن أكون في مشكلة حتى آتي إليك؟!

- لا لم أقصد ذلك ولكن.. قاطعته مبررة سبب قدومها في هذا الوقت من الصباح..

- لقد نام والدي في وقت متأخر الليلة الماضية، وسوف يذهب إلى عمله لاحقًا لذا..

احمرّ وجهها قليلًا..

- لذا ماذا؟! هلّا أكملتِ يا مشاكل؟!

- لذا قررت أن آتي إليك وأعد لك طعام الإفطار قبل خروجك إلى عملك.

قطب حاجبيه مستغربًا:

- لي؟!

- أقصد لكلينا ابتسم لا شعوريًّا وفتح لها المجال للعبور..

- ولكني لن أعد لك الإفطار بالمجان يا حلول.

- وكم سأدفع على هذا الإفطار الذي لم أطلبه والذي سيعد في منزلي ومن لوازم مطبخي؟

ضحكت تالين:

- لن تدفع المال يا بخيل، لكنك ستوصلني إلى جامعتي في طريقك إلى عملك.

أومأ برأسه إيجابًا..

- موافق.

دخلت المطبخ بحماس شديد، بدأت بتشمير أكمام بجامتها وكأنها تستعد لتجهيز سحر ما..

رأت بيتر ينظر إليها متصنمًا وكأنه إلى الآن لم يستوعب ما يجري في مطبخه..

- سيد حلول، هلّا ذهبت لغسل وجهك والاستعداد لتناول الإفطار؟! لا تخف سأتولى الأمر هنا بنفسي.

- واثقة؟!

- مئة بالمئة.

- أتمنى الا يصيب المنزل أي مكروه. قالها وهو يصعد السلالم ذاهبًا إلى حجرته.

فتحت الثلاجة وأخرجت منها البيض، الخيار، الطماطم، البصل الأبيض، الفلفل الرومي الأخضر، البقدونس، ثم أخذت تبحث بين دواليب المطبخ الكثيرة عن مقلاة للطهي إلى أن وجدت واحدة مناسبة، بدأت بتقطيع الخضار إلى قطع صغيرة، خفقت كمية من البيض في وعاء الخلط بواسطة الشوكة مع إضافة القليل من الملح والفلفل الأسود، وضعت القليل من الزيت على المقلاة وأضافت قطع البصل الأبيض والطماطم ثم أشعلت النار أسفلها، وبعد أن قامت بتحمير قطع البصل قليلاً، قامت بصب خليط البيض على المقلاة مع إضافة قطع الفلفل الرومي وأوراق البقدونس، ثم أضافت القليل من جبنة الموزاريلا عند استواء البيض، أكملت تحضير عجة البيض، ثم أخذت طبقًا صغير التضع فيه شرائح الخيار والطماطم وأضافت حبيبات الزيتون، قامت بتسخين قطع الخبز، ثم أخرجت عصير البرتقال الذي كان في الثلاجة، قامت بتجهيز المنضدة على أكمل وجه، ثم صاحت بصوت مرتفع مخبرةً بيتر بأن الطعام جاهز:

- حلووول! الطعام جاهز.

- قااادم.

بحركة سريعة نزل بيتر من السلالم، رأى كم تبدو المائدة بسيطة وأنيقة بلمسات تالين والأجمل من ذلك كله أنها كانت تنتظره عند تلك المائدة بابتسامة..

جلس إلى مائدة الطعام مقابلًا لها..

ولأول مرةٍ يشعر بالتوتر أمام صديقة طفولته..

- هيا ابدأ وأعطني رأيك.

أخذ قطعة صغيرة من الخبز غمسها في البيض ثم أغمض عينيه وبدأ بالتذوق..

فتح عينيه وقد ملأتهما الدهشة..

- مشاكل! كم هذا لذيذ حقًا!

- بلا مجاملات أرجوك.

- لا لا حقًّا هذه العجة لذيذة.

ثم أضاف ممازحًا:

- تستحق أن أدفع ثمنها.

- كم أنا مسرورة من ذلك.

أخذ بيتر يسترق النظر إلى تالين كلما سنحت له الفرصة بذلك، ثم سألها:

- كم تبقّى على تخرجك؟

أجابت والحماس واضح على وجهها:

- الفصل القادم يكون الأخير.

- جميل! إذًا الفصل القادم ستعملين على مشروع تخرجكِ؟

- صحيح.

- وهل فكرتِ بشيء معيّن؟!

- إلى الآن لا أفكار، وكما تعلم فتخصصي هندسة ديكور، فالمجال واسع بالأفكار.

سكتت قليلًا، ثم تابعت:

- في الواقع هناك فكرة أفكر أن أصمم تصميمًا فيه دمج بين الحضارات، وكأن هناك معارك وصراعات ستقام، فمثلًا سأستغل حضارات والديَّ، أدمج بين التاريخ العربي والتاريخ اليوناني.

- أعتقد أنكِ الأفضل في مجال الحضارات هذا.

- وسأتبع بعض أسس التصميم التي تعلمتها في التخصص وبذلك يكون مشروعي أقوى.

- ما هي هذه الأسس؟!

- «الجمال اللمسي»، ويعتمد ذلك على جودة المواد المستخدمة في البناء؛ مثل: نعومة الحجارة، والسطح، وألوان الأعمدة، الجمال البصري ويرتبط ذلك بكل ما تراه العين من ألوانٍ وأبعادٍ مختلفة الجمال الشعوري وذلك من خلال الانطباع الذي يتركه الديكور في نفس الشخص من مشاعر فرح ورضا وراحة واطمئنان.

- رائع! من الآن أقولها ستحصلين على درجة الامتياز في هذا المشروع.

وضع يده على يدها مشجعًا لها..

- وسأكون بجانبكِ إن احتجت إلى شيء.

قالت ممازحة:

- ربما سأحتاج لبعض عناصر الشرطة الحراسة مشروعي من السطو كما في متحف اللوفر.

حاول مجاراتها:

- بل ربما أنا من سيغلقه لك بالشمع الأحمر إذا لم يعجبني التصميم، ثم ألفق تهمةً في المكان كي أتفادى التحقيق.

- شرييير!

- لا، أنا فقط أحل ما ستفسده الآنسة مشاكل.

- سأجعل المكان أكثر جمالية.

- بل أكثر تلوثًا، حضارة عربية ممزوجة بحضارة يونانية! ذلك أسخف ما سمعته إطلاقًا.

استفزها كلامه فهي لا تحب أن يستهان بقدراتها، ضربت بقبضتها المائدة كقاضٍ رفع الجلسة..

- توقف!! بدأت تتلف أعصابي ونحن ما زلنا في الصباح الباكر، ثم إنه لا يهمني كثيرًا أن يراني الناس كناجحة أو فاشلة، فمعظم عالمي يدور داخل نفسي، ومعاركي أخوضها داخل عقلي، يكفي أني لا أرى نفسي شخصًا عاديًّا.

ابتلع ريقه من ردة فعلها المفاجئة:

- اهدئي كنت أمزح صدقيني أنتِ الأفضل بل والأذكى والأروع.

- حسناً، أنا انتهيت من طعامي، سأذهب إلى منزلي لأبدل ملابسي استعدادًا للمغادرة.

- ومن سيغسل هذه الأطباق؟!

حاول بيتر أن يلطف الأجواء قليلًا، لكن تالين قد رمقته بنظرات فيها الكثير من الشراسة والحدة..

- طبعًا أنا من سيغسلها. أجاب على سؤاله.

خرجت تالين من المنزل ذاهبة إلى منزلها، وقبل أن تقرر فتح باب منزلها التفتت نحو منزل بيتر فوجدته يسترق النظر إليها من إحدى النوافذ، رفعت يدها في الهواء وبحركة سريعة أغلقت جميع أصابع يدها عدا الوسطى مشيرة بها إلى بيتر، ثم دخلت منزلها..

✵✵✵

خرج بيتر من منزله يحمل كوبين من القهوة السوداء مرتديًا قميصًا لونه أخضر داكن يحمل علامة بولو مشمرًا أكمامه، وبنطالًا يمتاز بلونه البني الفاتح، إضافة إلى ذلك الحذاء ذي اللون البني الداكن، وفي معصمه الأيسر كانت ساعته المفضلة، ركب سيارته وأشعل محركها، ثم لبس نظارته الشمسية التي كانت من ماركة فرزاتشي، أخذ يعدل تسريحة شعره الأشقر بيده ريثما تخرج تالين، وبعد دقائق قليلة خرجت وكانت تحمل في يدها حقيبتها، فتحت باب السيارة وجلست في صمت مطبق..

ناولها بيتر كوب القهوة الذي أعده لها ثم بدأ بالقيادة متجهًا إلى مركز المدينة:

- تفضلي.

- شكرًا.

ارتشفت تالين رشفة قصيرة من كوب القهوة ثم ابتسمت:

- بيتر.

- تكلمي.

- آسفة على انفعالي الذي كان مبالغًا فيه هذا الصباح.

- لا يوجد هناك اعتذار بين الأصدقاء

- أنت أكبر من كلمة صديق ثم أضافت:

- كم أنا محظوظة لأنك اخترت العيش بالقرب من منزلي.

- بل بالقرب منكِ.

***

عند وصول بيتر وتالين إلى الجامعة بدأت أنظار الطلاب والطالبات تأكلهما..

- لِمَ ينظرون إلينا هكذا؟ سأل بيتر.

ضحكت تالين ثم وضعت يدها على يد بيتر قائلة:

- يعتقدون أن السيد حلول هو عشيق الآنسة مشاكل.

احمرّ وجهه خجلًا وبدأ يتصبب عرقاً:

- ما هذا الهراء؟!

- ربما لأنك وسيم يا صغيري.

- أوه لم أتوقع هذا اللطف منكِ، اعتقدتك ستقولين إننا نشبه قصة الجميلة والوحش.

ضحكت ثم أشارت لبيتر بالتوقف عند إحدى بوابات الجامعة..

- أتمنى لك يومًا جميلًا آنستي.

- ولك سيدي.

نزلت تالين من السيارة وأخذت تلوح بيدها لبيتر حتى مشى مكملًا طريقه إلى عمله..

***

(جثة متكلة على أريكة)

دخل بيتر مركز الشرطة حيث كان متجهًا إلى مكتبه، ولكن الملازم جودي وعددًا من الضباط استوقفوه..

- صباح الخير حضرة المحقق.

- صباح الخير جميعًا.

سأل أحد الضباط بيتر:

- هل سمعت آخر الأخبار؟!

أجابه وهو ينظر في أعين الضباط عاقدًا حاجبيه.

- أي أخبار؟

- حصلت ليلة البارحة جريمة قتل في إحدى مناطق المدينة.

- بل ربما انتحار، صحح الضابط الآخر.

- بالمعلومات التي بحوزتنا، يستحيل أن يكون انتحارًا. أجابت الملازم جودي.

سألهم المحقق بيتر:

- وما هي المعلومات التي بحوزتنا؟

أجابت الملازم جودي وقد غمزت لبيتر في الخفاء مشيرة بأن هناك أمورًا ستطلعه عليها لاحقًا..

- ليس الكثير، ولكن سأشرح لك الأمر إن اكتملت المعلومات.

- حسنًا، بالتوفيق يا رفاق.

ثم أضاف وهو يضع يده على كتف أحد الضباط:

- بالإذن.

دلف المحقق إلى مكتبه ثم تبعته الملازم جودي بعد دقائق..

- ماذا هناك يا جودي؟!

- لم تأتِنا كافة المعلومات بعد من التشريح الجنائي ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن أهي عملية انتحار أم جريمة.

سكتت لبرهة، ثم أكملت:

- في مسرح الجريمة، كانت الجثة متكئة بظهرها على الأريكة في غرفة المعيشة وبيدها اليمنى رسالة انتحار وبيدها اليسرى كانت تحمل حقنة.

- إن التحقيق المبدئي يشير أنها عملية انتحار، إذًا لماذا تعتقدين أنها قد تكون جريمة قتل؟

- كُتب في التقرير الأولي وجود بقع من الدم في منتصف أرضية غرفة المعيشة مجهولة المصدر.

بدأ المحقق بيتر بحك ذقنه ثم أخذ يفكر بصوت خافت لكن الملازم جودي استطاعت سماعه:

- ممم بقع دم في مسرح الجريمة مجهولة الهوية، ربما قد جرحت الضحية نفسها قبل الانتحار، ربما كان هناك شخص آخر مع الضحية وقد يكون هو صاحب تلك البقع.

سكت قليلاً ثم سألها:

- أكانت الجثة لرجل أم لامرأة؟!

- لرجل.

- ومن يكون؟

- اسمه مايك عمره ثلاثة وثلاثون وهو صيدلي يعمل في صيدلية قريبة من شقته التي يعيش فيها وحيدًا.

- متى سيرسل التشريح الجنائي تقريره؟!

- تقريباً بعد ثلاث ساعات.

- أفضّل الذهاب إلى مسرح الجريمة بدلًا من الانتظار.

- وأنا سأكون معك حضرة المحقق.

نهض كل من المحقق بيتر والملازم جودي متجهين إلى سيارة الشرطة الخاصة بالملازم جودي..

قابلهما زحام شديد في الطريق بينما كانا متجهين إلى مسرح الجريمة..

سألت جودي محاولة تضييع الوقت وهما عالقان في الزحام:

- ماذا ستفعل نهاية الأسبوع؟!

- لم أفكر بذلك بعد ثم سأل:

- في أي منطقة يسكن الصيدلي؟!

- في شمال فانكوفر.

ساد الصمت قليلاً..

وفجأة وبحركة سريعة بدأ بيتر يبحث في ثيابه عن شيء يعتقد أنه قد نسيه في مكان ما..

- ماذا هناك حضرة المحقق؟!

- أعتقد أني نسيت سلاحي اليوم في المنزل.

ضحكت الملازم ثم قالت:

- لا عليك فحياتك اليوم ستكون تحت حمايتي الشخصية.

قال بصوت خافت:

- هي السبب في هذا بلا شك.

- لم أسمع ماذا قلت!

- أتذكرين تالين التي أخبرتكِ عنها سابقًا؟!

أجابت بحماس:

- التي تسميها مشاكل نعم أتذكر.

- في صباح اليوم كنا نتناول طعام الإفطار معًا..

- جميل، أكمل.

- ولسبب ما غضبت مني وصرخت في وجهي كلبؤة تزأر، لذا كان عقلي منشغلاً بها محاولاً حل الموقف.

- وهل وجدت الحل يا سيد حلول، كما تقولها تالين؟

- انحلت من نفسها، ولكن سلاحي كان ضريبة تفكيري بالحل.

- دعني أخبرك شيئًا، في الحقيقة لقد أحببت علاقتكما اللطيفة والبريئة، حقا أنا أغبطكما لا أحسدكما.

أخذ ينظر إليها وكأن عينيه تودان قول شيء لكنه اكتفى بالابتسام لها ابتسامة حزينة وقال:

- شكرًا لك.

- إن سنحت لنا الفرصة، أود حقًّا التعرف عليها.

- فكرة رائعة، سأعرفكِ بها.

ثم ساد الصمت مرة أخرى..

عند اقترابهما من شقة الضحية، كانت هناك صورة كبيرة معلقة على لوحة الإعلانات في الشارع العام للفيلم الجديد مولان..

التفتت جودي إلى بيتر وسألت:

- أليس هذا هو فيلمك المنتظر الذي أخبرتني به؟!

- بلى.

- شاهدت الإعلان ليلة البارحة في التلفاز وقد جذبني لمشاهدة الفيلم، أعتقد أنك ستشاهده مع تالين.

أجاب وهو يبعد نظره عن جودي كي لا تفهم حزن عينيه:

- لقد شاهدته.

- معك؟!

- مع صديقتها.

سكتت جودي، فقد فهمت حزن بيتر حينما تذكرت أنه قد أخبرها عن مـدى حـماسه في انتظاره لـهذا الفيلم بـــفارغ الصبر وأنه كان يخطط

لمشاهدته مع تالين.

- سأشاهده لاحقًا. قال بيتر.

وضعت جودي يدها على يد بيتر التي كان يضعها على فخذه ثم قالت بطريقة تحفيزية:

- بل سنشاهده كلانا في نهاية هذا الأسبوع، أنا متحمسة له أيضًا ولم أجد شخصًا يرافقني، لذا سأدعوك على حسابي هذه المرة.

ابتسم حينها بيتر:

- شكرًا على لطفك يا جودي.

- على الرحب والسعة يا صديقي.

دخل المحقق بيتر والملازم جودي مسرح الجريمة، أخذ بيتر يتجول في الشقة وكأنه يبحث عن شيء يجهله، حتى وصل إلى بقع الدم التي كانت على السجادة في غرفة المعيشة، جلس يتأمل البقع، ثم ذهب إلى الأريكة التي كانت الضحية متكئة عليها..

- أوجدت شيئا؟ سألت جودي.

- لا، في الواقع لا يوجد ما يفيد هنا.

- بحثت في غرفة نومه، لا شيء يثير الاهتمام.

- لنسأل الجيران إن كانوا قد سمعوا صوتًا ليلة البارحة.

للأسف لم يكن هناك أحد في الشقة المجاورة ليلة البارحة.

كان المحقق يفكر بصوت مسموع محاولاً إيجاد شيء قد يساعده:

- الغريب أن الشقة نظيفة، كأن الضحية لم تأكل أو تشرب شيئًا، جميع صناديق النفايات هنا نظيفة.

- صحيح.

- ربما قرر فجأة الانتحار بعد عودته من عمله.

- وبقع الدم؟!

- هنا يكمن السؤال، يجب أن أفهم من أين أتت تلك البقع، لأفهم هذه القضية أكثر، لكن حدسي يقول بأنها جريمة قتل بطريقة أو بأخرى.

ساد الصمت في المكان.. لكنه لم يدم طويلًا حتى رنّ هاتف الملازم جودي فجأة..

- نعم سكتت قليلاً ثم بدأت ترتسم ملامح الدهشة في وجهها..

- حقا!!، ضعها في مكتبي، نحن قادمان.

ثم أغلقت الخط والتفتت إلى المحقق بيتر:

- بيتر.

- ماذا هناك؟!

- تطورات جديدة.

- أكان المتصل من التشريح الجنائي؟!

- نعم.

- ماذا قال؟!

- أيدنا بمعلومات مهمة، الضحية لم تنتحر.

أكمل بيتر جملتها ببرود:

- بل قُتلت..

✵✵✵

في الليلة الماضية..

فُتح قفل باب الشقة بطريقة احترافية، أُدير المقبض ببطء ودفع الباب للأمام حتى دخل ذاك الرجل المجهول لابسًا قفازاتٍ من الجلد الأسود وثيابًا سوداء، كان يخبى وجهه خلف قناع أبيض كلاسيكي..

أغلق الباب خلفه ثم أخذ يجوب أنحاء الشقة بهدوء شديد..

إلى أن استقر في غرفة النوم ينتظر شيئًا ما..

بل شخصًا ما..

ضحيته..

بعد وقت من الانتظار، سمع صوت صرير الباب..

كان الصيدلي مايك قد دلف إلى شقته وقد بدت على وجهه الحيرة..

سأل نفسه:

- أيعقل أني نسيت إغلاق قفل الباب هذا الصباح؟!

كانت معدته تقرقر فقرر أن يعد لنفسه بعض الطعام ليسكت جوعها..

لكن هناك شيئًا غير الطعام قد أسكتها إلى الأبد..

لأنه وفجأة..

انقض عليه صاحب القناع الأبيض غارزًا المصل في عنقه، مما أدى إلى فقدان توازنه وسقوطه أرضًا وذلك السبب يعود لانتشار المادة التي كانت مدسوسة في الحقنة..

ولكن قبل أن ينبض قلبه بآخر نبضة أراد الصراخ..

الكلام..

الهمس..

لكنه لم يستطع التنفس وظل صامتًا طريحًا على الأرض ينظر إلى قاتله وعيناه تتلألأ أن بالدموع..

رُفع القناع عن وجه صاحبه، كأن القاتل أراد من الضحية أن يرى هويته..

اتسعت حدقة عين الصيدلي مايك مصدومةً عندما نظر إلى ذلك الوجه الذي كان مختبًا أسفل القناع..

وجه بدأ مألوفًا له..

بل عرفه جيدًا..

وما هي إلا ثوان شعر مايك باختناق وبحرقة تجتاح جسمه وكأنها نار مشتعلة تلتهمه وتحرقه من الداخل..

حتى فارق الحياة..

أحضر صاحب القناع سكينًا من المطبخ، ثم كشف عن ظهر الجثة وجلس بجانبها، وبدأ يخدش ويخدش، في كل مرة كان يغرز السكين في الجلد بقوة أكبر..

لقد كان يكتب شيئاً على ظهر الجثة.. كان الحبر دمًا والقلم سكينًا..

بعد ما انتهى من الكتابة، وضع السكين على السجادة التي بجواره، ثم غطى ظهر الجثة وسحبها ليجعلها تجلس على الأريكة، ثم وضع الحقنة التي استخدمها بالجانب الأيسر من الجثة، أما بالجانب الأيمن فقد وضع رسالة لم تكن مكتوبة بخط اليد بل كتبت باستخدام لوحة مفاتيح الحاسوب..

«لا شيء في هذا المجتمع عاد يهمني، فأنا لدي حرب لا أحد يراها، وقضية أجدني أنا المجني عليه والمتهم فيها، كنت أصرف الدواء للجميع، لكن لم يصرف لي أحد دوائي، لذا قررت أن أداوي نفسي بنفسي وأرحل بسلام مايك..»

سار صاحب القناع إلى خارج الشقة تاركًا الباب مفتوحًا على مصراعيه..

وخلفه جثة هامدة..

***

عاد المحقق بيتر والملازم جودي إلى مركز الشرطة، ثم أحضرت الملازم ذلك الملف الذي كان على طاولة مكتبها وقامت بتسليمه للمحقق ليتفحصا ما بداخله معًا..

فتح بيتر الملف وأخذ يطّلع على تقرير التشريح الجنائي ثم أخذ ينظر إلى بعض الصور المرفقة والتي يظهر فيها جسد الضحية..

ناول بيتر جودي الملف ثم بدأ يحلل ما استنتجه من التقرير:

- لقد تم غرز الحقنة في أسفل الرقبة من الخلف، ولم يجدوا مكانًا آخر غرزت فيه إلا هناك شهقت جودي واتسعت عيناها عندما شاهدت تلك الصور التي تعود لظهر الضحية:

- هذا بشع! أي مجرم هذا الذي يقتل الضحية بحقنة، ثم يستمتع بالكتابة بهذه الطريقة على ظهر جثة هامدة.

أجابها بيتر بحزن:

- هناك الكثير من أمثاله في عالمنا يا جودي، وإن أبيدوا جميعًا فلن يعودَ هناك داعٍ لوظائفنا.

- إذًا بقع الدماء تلك كانت تخص الضحية.

- بلا شك.

- لكن السلاح الذي استخدم على ظهر ذلك الرجل المسكين ليس في مسرح الجريمة.

- ربما أخذه المجرم، وربما استخدم سكينًا من شقة الضحية ثم قام بغسله جيدًا ليزيل آثار الدماء ومن ثم أعاده إلى محله.

عندها تساءلت جودي..

- لكن ماذا تعني هذه الكلمة التي على ظهر الضحية؟!

أعادت قراءة الكلمة:

- آريز.

- للأسف لا جواب لدي.

- ربما هو اسم أو لقب شخصٍ ما.

- سنبحث عن المدعو آريز هذا وستكلف بعض العناصر بالتحقيق في هذا.

أخرجت الملازم جودي ورقة من الملف وقالت:

- أقرأت سبب الوفاة؟!

- نعم بسبب المادة الموضوعة في الحقنة والتي انتشرت في دم الضحية.

- إنها مزيج بين محلولين كيميائيين هما كلوريد البوتاسيوم الذي يؤدي إلى توقف القلب وبروميد البانكورونيوم لإيقاف عملية التنفس.

- الحقن القاتل وهي وسيلة إعدام مستخدمة في عدة دول، يتم فيها حقن المحكوم عليه بجرعات من هذه المواد الكيميائية والتي تؤدي إلى الموت بغضون ثوان.

ثم أكمل بيتر تحليله لباقي أدلة الجريمة إلى أن قال:

- هذا المجرم ذكي حقًّا!

- لماذا؟!

- لأنه طبع ورقة الانتحار باستخدام مفاتيح الحاسوب، لا بخط يده

أخذ يحك ذقنه ويفكر ثم أكمل:

- بهذا سيصعب علينا إيجاد ثغرة يمكننا استغلالها.

- سنعمل بكل جهدنا حتى نحقق العدالة ونمسك به.

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه المحقق بيتر وقال:

- بالطبع فالعدالة تنتصر دائمًا

***

عند نهاية الأسبوع...

ذهبت تالين ووالدها في ذلك المساء إلى مطار فانكوفر الدولي لاستقبال والدتها القادمة من اليونان بعد رحلة دامت ثلاثة أسابيع..

وبعد انتظار دام نصف ساعة..

قفزت تالين من فرحتها عند رؤية والدتها خارجة من بوابة المطار تجرُّ خلفها حقيبتين من ذواتي اللون الأصفر..

- ها قد خرجت يا أبي انظر تلك هي!!

ضحك والدها من ردة فعل ابنته الطفولية والتي لم تتغير حتى بعد كبرها، ثم رفع يده في الهواء مُحيِّيًا زوجته بابتسامة خفيفة قد ارتسمت على وجهه..

ركضت تالين باتجاه والدتها كي تعانقها باشتياق...

كان عناقهما قويًّا..

ما أجمل وأرق ذلك العناق الذي يكون بين الأم وأبنائها..

فهو الأعمق والأصدق بلا أي زيف للمشاعر..

ذلك العناق الذي مهما كنت في شدة ضعفك! سيعيد قوتك أضعافًا مضاعفة..

فالأم هي مصدر قوة واتِّزان هذا الكون..

وحدها القادرة على ذلك..

ووحده عناقها القادر على حل جميع مشكلات الحياة..

- أميييي. قالتها تالين بصوتٍ مرتفع مُعانقةً والدتها

- آآآهٍ يا ابنتي كم اشتقت لرائحتك.

طال العناق..

إلى أن تنحنح والد تالين قائلًا:

- المعذرة، لا أريد تعكير هذه اللحظة ولكن أعتقد أنه يجب أن أحظى بالقليل من هذا العناق الرائع فأنا مشتاق لزوجتي أيضًا.

أزاحت تالين نفسها جانبًا لتسمح لوالدها بمعانقة والدتها... شعرت والدة تالين بالخجل قليلًا واحمرَّ وجهها من عبارة زوجها، ثم تقدَّمَتْ لتحتضنه:

- تينا، اشتقت إليكِ. همس في أذنها.

- وأنا كذلك يا أمجد. ثم ختمت على وجنته اليمنى قبلة حنين.

نظر أمجد في عيني تينا وكأن هناك العديد من الكلمات التي ينوي قولها آنذاك لكنه اختصرها جميعًا بقبلة بين شفتيها..

وفي وسط تلك المشاعر، فهقهت تالين وصفقت بأيديها مُعلِنةً أن وقت مغادرة المكان قد حان..

- هيا هيا أيها العاشقان حان وقت العودة إلى المنزل، أعتقد أننا سنبيت هنا إن لم تتوقفا.

ضحك الزوجان متذكرين أن لديهما طفلة مدللة تحب امتلاك كل شيء بما فيه هذه اللحظة الشاعرية..

- حسنًا يا مدللتي، خذي هذه الحقيبة من يد والدتك وأنا سآخذ الأثقل.

وصلت العائلة إلى المنزل..

كان ينظر بيتر إليهم بابتسامة حنين من إحدى نوافذ منزله في الطابق

العلوي مستحضرًا ذكريات عائلته..

عند عتبة المنزل انحنى أمجد انحناءة احترام ثم قال:

- تفضلي بالدخول إلى قصركِ يا صاحبة الجلالة، وأنتِ كذلك يا سمو الأميرة.

- أوه حبيبي كم أنت لطيف.

- أبي يكون لطيفًا فقط عندما تكونين حاضرة.

شهق أمجد واتَّسعت عيناه من عبارة ابنته، التفت لينظر إلى عيني زوجته قائلًا:

- إنها تكذب كعادتها صدقيني، لقد فعلت كل ما بوسعي.

- دعك منها هذه الثرثارة فأنا أعرف طبعها المشاكس، هي تشبهني في شبابي، ثم إني أصدقك وحدك لا هي.

ضحكت تالين وتنفس أمجد الصعداء..

دلفت العائلة إلى المنزل وقد قضت ليلة ممتعة وجميلة مليئة بالدفء والحنان، ذهب الزوجان ليخلدا إلى النوم، على عكس تالين فقد قرَّرَت أن تخرج للمشي قليلًا، وبالمصادفة خرج بيتر من منزله..

- أوه لقد خرج السيد حلول من وكره.

نظر إليها:

- لِمَ أنتِ خارج المنزل في مثل هذا الوقت من الليل؟!

رفعت حاجبها مستغربةً:

- أتحقق معي يا حضرة المحقق؟!

أجابها ببرود:

- نعم، إن لزم الأمر.

ثم أضاف لإخافتها:

- المجرمون والسفاحون يبحثون عن طرائدهم في هذه الأوقات.

- هذا يعني أنك لا تؤدي عملك على أكمل وجه يا حضرة المحقق، اذهب وحقق العدالة ودعني أختلِ بنفسي.

سكتت قليلًا. أخذت تفكر في تلك العبارة المرعبة، بينما كان بيتر ينتظر شخصًا ما عند باب منزله إلى أن صرخت:

- حلووول! لقد بدأت أشعر بالخوف، لِمَ تخيفني هكذا؟!

- لتدخلي المنزل الآن وتشربي الحليب ثم تنامي يا قطتي المدللة.

سألته مشككةً:

- لا يوجد سفاحون في منطقتنا أليس كذلك؟!

ضحك بيتر حينها بشدة حتى دمعت عيناه:

- عندما أكون موجودًا في مكان ما فلن يكون هناك أشرار، اطمئني.

وما أن أنهى جملته حتى وصل من كان ينتظره..

كانت سيارة سوداء من نوع بي إم دبليو ..

ترجَّلَت منها امرأة شابة سمراء قليلًا تجرُّ شعرها البني ذا الخصلات الشقراء، ترتدي فستانًا قصيرًا برتقالي اللون مزينة معصمها بأساور ملونة

وقد تدلّى من نحرها سلسال لؤلئي ناعم..

- أخيرًا يا جودي! لقد تأخرنا.

- لا عليك يا بيتر ما زال هناك وقت.

في ذلك الوقت كانت تنظر تالين إلى المرأة الشابة في حيرة..

قالت في نفسها:

من تكون هذه؟!

ثم لماذا جاءت لبيتر؟!

وعلى ماذا سيتأخران؟!

وفي لحظات التفكير تلك، التفتت جودي نحو تالين ثم أعادت النظر إلى بيتر وقالت:

- هذه هي؟!

ابتسم وهزَّ رأسه إيجابًا..

ذهبت جودي للتعرُّف على تالين والتي كانت واقفةً لا تفهم ماذا يحدث..

- إذًا أنتِ الآنسة مشاكل الشهيرة.

استغربت تالين وأخذت تنظر إلى بيتر وكأنها تحاول سرقة إجابة ما من بين عينيه..

ثم أجابت باستحياء:

- نعم أنا هي، واسمي هو تالين.

تقدَّمَ بيتر نحوهما ليشرح لتالين..

- تالين هذه الملازم جودي، نحن نعمل معًا في معظم الأحيان، ولكنها أيضًا صديقتي المقربة.

مدَّت جودي يدها لتصافحها بحماس شديد:

- لقد كنت متحمسة جدًّا للقائك يا تالين، فإن بيتر لا يتحدث إلا عنك، ودعيني أقل الحقيقة! لقد أحببتك قبل أن أراكِ.

ارتسمت ابتسامة على وجه تالين ثم مدَّت يدها هي الأخرى لتصافح جودي:

- سررت بمعرفتكِ حضرة الملازم جودي، إن كنت صديقة للسيد حلول فهذا يعني أنك صديقتي أيضًا.

- أوه كم أنتِ لطيفة حقًّا يا تالين، أرجوك ناديني جودي فقط.

- حسنًا، جودي.

ثم التفتت تالين إلى بيتر وقالت له:

- وأنت! سوف أحقق معك عما قلته عني.

قاطعتها جودي:

- لقد قال الكثير من الأشياء الجميلة عنكِ وعن علاقتكما القوية والمتلاحمة.

ثم أضافت وهي تنظر إلى عيني بيتر:

- أنتِ كل أشيائه الجميلة.

تلألأت عينا تالين بعد أن سمعت جملة جودي ثم قالت:

- وهو أجمل ما قد كسبته في هذه الدنيا.

ساد الصمت قليلًا لكن جودي قطعته:

- كان من الجميل لقاؤك يا تالين، والآن اعذرينا فنحن مضطران للذهاب.

- إلى أين ستذهبان؟! المعذرة ولكني معتادة أن أسأل بيتر مثل هذه الأسئلة الشخصية.

- نحن ذاهبان لمشاهدة فيلم مولان.

التفتت تالين إلى بيتر وابتسمت له ابتسامة حزينة مُتذكِّرةً تلك الليلة، لكن بيتر حاول معالجة الموقف فقال:

- لم تقولي لي هل أعجبك الفيلم؟!

- كثيرًا، وأنا واثقة بأنه سيعجبكما أيضًا.

- حسنًا، نحن ذاهبان الآن ولكن لا تتأخري في العودة إلى المنزل أرجوكِ.

- حاضر سيد حلول.

ذهب بيتر ليركب سيارة جودي، وفي تلك اللحظة أمسكت تالين يد جودي وهمست في أذنها:

- أعلم أنه حزين للغاية بسبب خطئي الفادح، لكن أرجوك حاولي إسعاده.

سكتت ثم أكملت على استحياء:

- واعتني به.

وضعت جودي يدها على كتف تالين وقالت:

- لا تقلقي سأهتم به.

ثم ذهب كل منهما في طريقها..

لكن طريق تالين كان الأطول أو هذا ما اعتقدته بسبب كثرة الأفكار التي كانت في رأسها..

✵✵✵

بعد انتهاء الفيلم..

سأل بيتر جودي:

- هل أعجبكِ الفيلم؟!

- أتمزح! لقد كان مُدهشًا وممتعًا لأبعد درجة.

- ديزني لا تخيب آمالي كالعادة، فقد أبدعت في هذا الفيلم.

ضربت جودي برفق على ظهر بيتر وقالت:

- هذا لأنك من عشاقها، فلن تذم أي فيلم لها.

- صحيح أني من عشاقها ولكن لو كان الفيلم ضعيفًا لقلت. تخيلي أنهم قد استغنوا عن شخصية التنين موشو الذي كان العنصر الفكاهي الأقوى في النسخة الكرتونية للفيلم وهي حركة خطيرة من ديزني وما زال الفيلم مُتمسِّكًا بثقله وجماله.

- صحيح لماذا ألغت ديزني شخصية موشو؟!

ابتسمت على استحياء وأكملت:

- لقد كنت أحبه عندما كنت صغيرة.

- تعتبر قصة مولان أسطورة تقليدية من التراث الصيني، ولا وجود لشخصية التنين موشو في القصة الأصلية، ولأن موشو كانت شخصية مستوحاة من خيال ديزني فقد غضبت الصين آنذاك من ديزني وقد منع الفيلم من العرض في جميع دور السينما الصينية لأنهم اعتبروه انتهاكًا وتزويرًا لتراثهم الذي يفتخرون به، واليوم لكي لا تعيد ديزني الغلطة نفسها فقد حذفت شخصية موشو واستخدمت القصة الأصلية وبشخصياتها الأصلية كي لا تبكي الصين مرة أخرى.

- يا إلهي لم أكن أعرف كل هذا، من حسن حظي أنك معي يا حضرة المحقق.

ضحك بيتر ثم سأل جودي عندما سلكت طريقا معاكسًا لطريق المنزل:

- أين سنذهب الآن؟! ألا يجب علينا الذهاب إلى منازلنا؟! فالوقت متأخر.

- ولِمَ العجلة؟! غدًا عطلة. ألا يجب أن نتسلى ونخفف من ضغوطاتنا قليلا؟!

- بماذا تفكرين يا حضرة الملازم؟!

لعبت بخصلات شعرها قليلًا ثم قالت له:

- ما رأيك بأن نذهب ونتسلى قليلًا في أحد الملاهي الليلية القريبة من هنا؟!

قطَّبَ حاجبيه مُستغرِبًا مما تقوله صديقته..

- هيا يا بيتر لا تنظر إليَّ هكذا، دعنا نفعل شيئًا جديدًا ومسليًّا.

فكَّرَ قليلًا ثم قال:

- موافق، لكن ليس لوقت طويل.

- اتفقنا.

فتحت جودي هاتفها النقال وأخذت تبحث عن أفضل الملاهي القريبة منهما إلى أن وجدت مبتغاها..

كان المكان حينها يعج بالكثير من الناس وكانت الأجواء صاخبة جدًّا، كؤوس ترفع في الهواء، الجميع يرقصون ويقفزون عاليًا، حتى أنوار الإضاءة كانت تتراقص بعضها مع بعض..

دخل بيتر وجودي متشبثين بعضهما ببعض وأخذا يتأملان الأجواء الصاخبة والرقص..

- تعال لنحتسي شيئًا. قالت جودي.

ثم اتجها نحو البار...

بدأت جودي بالطلب وقد كان صوتها مرتفعًا لكي يسمع النادل طلبها:

- مرحبًا! أريد قدحًا من الفودكا.

- اجعلهما قدحين من فضلك.

ثم جلسا على الكراسي يتأملان المكان..

- المكان جميل. قالت جودي.

- بالفعل، وكأنَّ جميع من هنا بلا هموم أو مشكلات.

- ألديك هموم؟

رمقها بنظرات حزينة ثم أجابها:

- ومن منا يعيش بدونها؟!

- ماذا هناك يا بيتر؟! صارحني أرجوك.

عندها وصلت الأقداح وأخذ كلٌّ منهما قدحًا..

ارتشف بيتر قدحه دفعة واحدة ثم أشار للنادل طالبًا المزيد..

- قل لي يا بيتر ما الذي يشغل تفكيرك؟!

- وماذا سأستفيد إن تكلمت؟!

وضعت يدها على كتفه لمؤازرته قائلةً:

- ربما سأستطيع التخفيف عما بداخلك.

سكت قليلا ثم تنهد..

- ما الخطب يا بيتر؟! بدأت تشعرني بالتوتر.

- جودي

- تكلم

- كيف لي أن أعرف إن كنت حقًّا واقعًا في الحب أم لا؟!

قطبت حاجبيها مستغربةً سؤاله:

- هنالك فرق بين أن تكون واقعًا في الحب وأن تشعر بأن الطرف الآخر يميل إليك أو بمعنى أصح يحبك، فعندما تقع في الحب تجد نفسك مُبتسِمًا للطرف الآخر لا إراديًّا، وتكون شارد الذهن أحيانًا، أو تشعر بأن قلبك ينبض بطريقة غريبة على غير العادة وغالبًا ترتكب حماقات لا تعي عواقبها إلا لاحقًا.

- وكيف أعرف إن كان يحبني أم لا؟!

ارتشفت جودي القليل من قدحها ثم أكملت شرحها:

- غالبًا تكشفه افعاله، تشعر باهتمام زائد أو تشعر بأنه يفضل أن يقضي معظم وقته معك لا مع غيرك، ولا يجهل عنك شيئًا لأنه قد حفظ جميع ما تحب وتكره، بل أحيانًا تجده يتحدث بطريقتك لأن عقله الباطن قد برمج نفسه حسب شخصيتك، هو لا يقصد التقليد، لكنه يجد في شخصيتك ملاذًا آمنًا ومساحة أكثر راحة بالنسبة له، بالمناسبة لم هذه الأسئلة؟!

- سأخبرك لكن سيكون الأمر سرًّا بيننا يا جودي.

عدَّلت جلستها وأصبحت تعابير وجهها أكثر جدية، كأنها أصبحت مستعدة لسماع شيء مصيري سيحدث في العالم.

- قل الحقيقة أيًّا كانت، ثق تمامًا أني بجانبك.

- أنا واقع في حبها، بل أنا لا أفكر إلا بها.

- ومن تكون؟!

شعر بالتوتر عقب سؤال جودي له، فشرب قدحه حتى يهرب من تلك الإجابة والتي أصبحت أكبر مخاوفه، ثم أشار بيده للنادل أن يحضر له قدحًا آخر..

- كفَّ عن فعل هذا! صرخت حينها جودي في وجهه.

بدأ تأثير الفودكا يظهر شيئًا فشيئًا على بيتر، فقد ثقل لسانه و تراخت ساقاه ثم ثقلتا على حين فجأة، وأحس برغبة قوية بالنوم...

- تالين

أخذت جودي تلتفت يمنةً ويسرة..

- تالين؟! أين هي فأنا لا أراها؟!

- أنا واقع في حب تالين.

شعرت بالدهشة من ذلك الخبر..

- كيف؟! أليست علاقتكما كعلاقة الأخ بأخته!

- لكننا لسنا بأخوين

- بيتر! أتعرف تالين بهذا الأمر؟!

شعر بالحزن وهو يجيب:

- لا، فهي لا تفكر بي إلّا كأخ.

نظرت إلى عيني صديقها الحزينتين:

- أعتقد أنها يجب ألَّا تعرف بالأمر هذه الفترة، على الأقل دعني أتقرب منها أكثر حتى ألمح لها قليلًا، فربما هي تحب شخصًا آخر، أو ربما ستتوتر علاقتكما فور معرفتها بمشاعرك تجاهها.

ربتت على كتفه وأكملت:

- ثق بي تمامًا.

- ما الذي يجب عليَّ القيام به في هذه الفترة؟!

- فقط لا ترتكب أي حماقة، ودع الملازم تتصرف.

ارتشفت ما تبقى من قدحها ثم دفعت حساب أربعة كؤوس، وبعد انتهاء بيتر من قدحه حاول النهوض لكنه لم يستطع بسبب اختلال توازنه، عندها تدخلت جودي وساعدته في الحفاظ على توازنه..

توقفت سيارة جودي البي إم دبليو عند باب منزل بيتر..

كان هو آنذاك غارِقًا في النوم بينما كانت هي غارقة بالتفكير في مصير صديقها وما هو مصير هذا العشق والشغف..

هل سيكون تأثيره على نحو إيجابي أم سيكون أكثر سلبية..

ترجَّلَت من السيارة ثم حاولت إنزال بيتر منها لكنها لم تستطِع..

نظرت إلى منزل تالين وكأنها تفكر في طلب المساعدة، لكنها تراجعت في آخر لحظة وقررت ألا تستسلم..

حاولت رفعه لكن بلا جدوى..

- بيتر استيقظ أرجوك.

أخذت تهزُّ كتفه حتى أفاق قليلًا، ثم جعلته يستند عليها حتى أدخلته المنزل..

- اعذرني لن أستطيع أن أصعد بك إلى الأعلى بسبب ثقلك، تستطيع قضاء ليلتك على هذه الأريكة الطويلة.

وقبل أن تغلق باب المنزل وتغادر قالت له:

- نومًا هنيئًا أيها العاشق.

ثم أغلقت الباب..

***

في الصباح الباكر..

رنَّ هاتف تالين بينما لا تزال هي تغط في نوم عميق..

رنَّ مجدَّدًا..

حتى اختلط رنين الهاتف مع حلم تالين إلى أن أيقظها ذلك أخيرًا..

أجابت بخمول شديد وهي لا تزال مغمضة العينين:

- آلو

- ألم تستيقظي بعد أيتها الكسول؟!

كان المتصل صديقتها إيميلي..

تثاءبت تالين قبل إجابتها:

- أرجوك لا تكثري من الثرثرة، موعد لقائنا بعد ساعتين لذا لا يحق لك الاتصال الآن أيتها الذبابة المزعجة.

- أعلم ولكني شعرت بالملل وظننتك مستيقظة.

- ليست مشكلتي، ويفضل أن تعتزلي الظن، سأقابلك في مجمع بارك رويال كما اتفقنا، والآن سأعود إلى حلمي، إلى اللقاء.

أقفلت الخط في وجه صديقتها وأخذت الابتسامة تظهر على شفتيها سعيدة بهذا الانتصار...

لكن ابتسامتها لم تدم طويلًا..

فقبل أن تسحب تالين اللحاف لتتكوَّرَ وتختبئ أسفله، طُـــــرِق باب

غرفتها...

- تالين! هيا يا ابنتي استيقظي، فطعام الإفطار سيكون جاهزًا بعد دقائق.

كانت والدتها تينا...

خجلت أن تقول لوالدتها إنها لا تريد، لذا قررت النهوض على مضض..

عند نزولها...

رأت والدها في غرفة المعيشة مُنهمِكًا في حل أحجية الكلمات المتقاطعة لإحدى الجرائد كعادته الصباحية على مائدة الطعام بينما كانت والدتها قد بدأت في إعداد طعام الإفطار...

كان المطبخ منفتحًا على غرفة المعيشة..

- صباح الخير جميعًا.

ردَّت والدتها بكل حيوية ونشاط:

- صباح الخير يا أجمل شابة عربية يونانية عرفها التاريخ

ردَّ والدها دون أن يرفع عينيه عن أحجيته:

- صباح الخير يا جميلتي المزهرة.

بدأت تالين حينها تحوم حول والدتها تشتم رائحة الطعام كأنها نحلة تجمع الرحيق..

- آآهٍ كم اشتقت لرائحة طعامك يا أمي. قالتها وهي تعانق والدتها من الخلف.

- ما رأيك يا تالين أن تذهبي إلى بيتر وتوقظيه كي يتناول طعام الإفطار معنا؟! تعلمين أني أعده فردًا من أسرتنا، خاصة بعد وفاة والديه.

- ممم أظنه قد نام متأخرًا ليلة البارحة، لكني سأتصل به الآن.

- لقد حاولت الاتصال به لكنه لم يجب، لذا اذهبي وأيقظيه.

- كما تأمرين يا أفروديت. (إلاهَة الحب والجمال في الأساطير اليونانية)

ذهبت إلى منزل بيتر كما أمرتها والدتها وبدأت تقرع الجرس..

لمرة..

لمرتين..

لثلاث مرات..

لكن الباب لم يفتح..

ثم بدأت بالتخبيط على الباب برفق..

لا من مجيب..

- بيتر. صاحت.

وبالمصادفة أمسكت مقبض الباب وبرمته، وإذا بالباب قد فُتح..

استغربت كيف لبيتر أن ينسى قفل الباب مفتوحًا قبل نومه. ثم دلفت إلى الداخل..

وجدته حينها يغط في نوم عميق على أريكته الطويلة، وما زالت ثيابه كما هي منذ البارحة..

ثم بدأت بهزِّ كتفه..

- بيتر، بيتر، بيتر، استيقظ أيها الكهل.

بدأ بفتح عينه ببطء حيث وجد تالين تقف عند رأسه تنظر إليه قاطبة الحاجبين، لقد كان يشعر بصداع شديد يطرق رأسه بمطرقة خفية..

أخذ يمطِّط جسمه قليلًا ورفع يديه إلى الأعلى ثم قال:

- صباح الخير يا مشاكل.

صاحت عابسة وجهها:

- بيتر ما هذه الحال التي أنت فيها؟! ولماذا كان باب منزلك مفتوحًا؟!

- رأسي يؤلمني يا تالين، لذا كفي عن كثرة الأسئلة أرجوكِ.

- حسنًا، قم واستيقظ فوالدتي تريدك معنا على مائدة الإفطار.

- أشعر بالخمول، اشكريها على لطفها نيابةً عني.

- عندما أقول لك قم واستيقظ! فإنه يجب عليك اتِّباع أوامري سيد حلول، وإلا فسأسكب على وجهك كأسًا من الماء كما أفعلها عادةً.

اتَّسعت عيناه فجأة عندما سمع تهديدها، وفعل كما أمرت:

- سأغسل وجهي وأبدل ملابسي حالًا ثم آتِي إليكم، أنتِ فتاة عنيدة ومجنونة وعنيفة وديكتاتورية.

- نحن بانتظارك لا تتأخر.

عادت إلى منزلها، وأشارت لوالدتها بإصبعها بأن بيتر قادم، ثم جلست بجانب والدها تنظر إليه بكل إعجاب على ذكائه في حل هذا النوع من الأحاجي التي تتطلب التركيز والتفكير، حاولت مساعدته لكن مع الأسف جميع محاولاتها كانت بائسة، إلى أن طلب منها والدها أن تذهب وتساعد

والدتها في أي شيء تحتاجه بدلًا من أن تُشوِّش عليه تركيزه، ذهبت إلى المطبخ والخيبة تغطي وجهها، ثم بدأت بترتيب مائدة الطعام استعدادًا لما هو قادم بين يدي والدتها، إلى أن سمعوا قرع جرس الباب مُعلنًا وصول بيتر..

ذهبت تينا لفتح الباب والحماس كان باديًا على ملامحها، فتحت الباب لترى ذلك المحقق الوسيم الذي لطالما كان في عينيها الطفل اللطيف والملاك الحارس لابنتها يقف أمامها..

احتضنته بقوة وكأنها تحتضن ابنتها..

كان بيتر يشعر بحنان الأم الذي فقده بعد وفاة والدته كلما نظر أو عانق تينا، ذلك العناق الذي يشعره بالأمان ويعيد إليه حنين الماضي وعبقه:

- كم اشتقت إليك يا بني.

- وأنا أيضا يا خالتي تينا، غبتِ عنا ثلاثة أسابيع فقط لكنها كانت فترة طويلة جدًّا بالنسبة لنا جميعًا.

قبَّل يدها ثم أضاف:

- وجودكِ بيننا هو مصدر أمان وقوة لنا.

أمسكت تينا بيده وأدخلته إلى منزلها، شاهد بيتر أن والد تالين مشغول مع جرائده لذا ألقى التحية عليه عن بعد...

- هيا تفضلوا جميعا فالطعام جاهز. قالتها تينا مُشيرةً بيدها إلى المائدة.

تناول الجميع طعام الإفطار وكانت السعادة والراحة عائمتين في المكان.

بعد ساعتين..

استقلَّت تالين الحافلة مُتجهةً إلى المجمع التجاري بارك رويال، كان يقع هذا المجمع في منطقة غرب فانكوفر، لذا كان زمن وصول تالين إليه أسرع بكثير من زمن وصول إيميلي والتي كانت قادمة من شمال فانكوفر بواسطة حافلة منطقتها..

توقفت الحافلة التي كانت تستقلها إيميلي عند نقطة توقف الحافلات في بارك رويال وترجلت منها، لم ترفع عينيها من على هاتفها، كانت تنقر على لوحة مفاتيح هاتفها بحماس شديد..

كانت تبتسم..

- هيه!!

صاح صوتٌ خلف إيميلي، وعندما التفتت وجدت تالين تقف ويداها كانتا على خصرها تضرب الأرض بقدمها اليسرى تنتظرها..

- لِمَ كل هذا التأخير يا إيميلي؟!

أجابتها وعيناها تشعان بهجةً وسعادة:

- اسكتي لقد وجدت تطبيقًا مسلِيًّا في متجر تطبيقات هاتفي، كان هو سبب تأخري، فقد شغلني عنك حتى كدت أنساك.

- وما هو هذا التطبيق؟!

- سأخبرك عنه لكن دعينا ندخل إلى المجمع ونتسوق قليلًا.

ثم سحبت إيميلي يد تالين ودلفتا إلى المجمع..

بدأت الصديقتان بالتسوق والتنقل من متجر ثياب إلى متجر عطورات ومساحيق تجميلية ثم إلى متجر أحذية كأنهما فراشتان تنتقلان بين زهرة

وأخرى في رحاب حديقة مزهرة، ثم اختتمتا رحلتهما في متجر لبيع الكتب كما طلبت تالين..

جلست إيميلي على أحد كراسي المتجر ولم تُتعب نفسها بالوقوف والتجوُّل فيه بسبب كرهها للكتب، لكنها انغمست آنذاك في شاشة هاتفها مستمتعة في نقرها للوحة مفاتيحه..

بينما كانت تالين تحلق في أرجاء الكتب المعروضة وصفحاتها، وكأنها راقصة باليه تمشي ثم تقفز وتدور باحترافية بين رفٍّ وآخر، داعبت أناملها صفحات رواية واختفى كل شيء للمملكة المتربعة على عرش الروايات البوليسية أجاثا كريستي، وجذبها عنوان كتاب اذهب حيث يقودك قلبك للكاتبة الإيطالية سوزانا تامارو، ثم ألقت نظرة على بعض سلسلة روايات الكاتب الآيسلندي أرنالدور أندريداسون مثل رواية جثة في الفندق ورواية مخزن الأعضاء البشرية، ثم أخذت تنظر بين الرفوف بتمعن أكثر وكأنها صقر محلق يبحث عن فريسته، إلى أن وجدت ضالتها..

رواية البؤساء..

عادت إلى إيميلي بعد ما اشترت الكتاب لتجدها مستمتعة بوقتها دون ملل استغربت تالين من صديقتها، هي على غير عادتها هذه المرة، ففي كل مرة كانت تدخل إيميلي برفقتها أي مكتبات أو متاجر للكتب كانت تتململ وتجعلها تشتري الكتب بسرعة دون أي قراءة أولية لمقدمة الكتاب أو إلقاء نظرة على الغلاف من الأمام وما كتب في الخلف كما يفعل معظم قراء هذا العصر..

- غريب؟! لست كعادتك اليوم آنسة إيميلي.

رفعت إيميلي رأسها لترى صديقتها أمامها وبحوزتها كتاب..

- هل انتهيتِ؟! وبهذه السرعة؟! بل أنتِ الغريبة.

- لقد مضى على دخولنا نصف ساعة، وقد كان هدوؤك اليوم رائعًا يصل لدرجة الغرابة.

- لم أشعر بالوقت حقًّا، فقد كنت أتح...

سكتت فلم ترد أن تخير تالين بما قد كانت تفعل...

- أكملي! كنت ماذا؟!

- لا شيء، هيا دعينا نذهب لاحتساء قليل من القهوة.

ثم ذهبتا لأحد المقاهي الموجودة في بارك رويال والذي كان يقع في إحدى زواياه الخارجية، كان المكان مزدحمًا يعج بالشباب ذكورًا وإناثًا، عندها طلبت إيميلي من تالين أن تذهب لتبحث لهما عن طاولة للجلوس ريثما تقوم هي بالانتظار في الطابور لطلب القهوة لكلتيهما...

إلى أن حان دورها..

- اثنين كابتشينو من فضلك.

انتظرت استلام طلبها بالقرب من المحاسب، في ذلك الوقت عاودت استخدام هاتفها مرة أخرى، إلى أن تم النداء على رقم طلبها لاستلامه..

كانت تالين تلتقط صورًا لكتابها الجديد الذي وضعته على طاولة المقهى عندما أتت إيميلي حاملةً كوبي القهوة..

- تفضلي قهوتك. ناولتها ثم جلست بجانبها.

بدأت كلٌّ منهما بتصوير قهوتها باحترافية كي يتم نشرها بمواقع التواصل الاجتماعي..

ارتشفت تالين رشفة قصيرة من كوب القهوة، قبل أن تعيده أمامها على الطاولة، ثم نظرت إلى صديقتها إيميلي وسألتها:

- إذا أخبريني ما هو التطبيق الذي تحدثت عنه صباح هذا اليوم؟!

داعبت ابتسامة ثغر إيميلي:

- إنه تطبيق كبقية تطبيقات التواصل الاجتماعي، لكن الاختلاف هو أنك في هذا التطبيق تختلقين اسمًا مستعارًا لكِ بشرط أن تكتبي معلومات صحيحة عنكِ.

- وضحي أكثر رجاءً.

- على سبيل المثال: تختارين اسم كيليوباترا ثم تكتبين عمرك وطولك الحقيقيين، وتكتبين أيضًا عن اهتماماتك وما الذي يجذبك ومن أين أنتِ، ثم تضعين صورة لصفحتك الشخصية سواء كانت مزيفة أم حقيقية لا يهم، المهم هو أن معلوماتك صحيحة.

فتحت إيميلي التطبيق لتكمل شرحها:

- هناك مزايا ممتعة ومسلية أيضًا، فالتطبيق يظهر لك المسافة بينك وبين الشخص الذي تحادثينه، فمثلًا إن دخلنا إلى الصفحة الرئيسة فسيظهر لنا الكثير من الأشخاص، لكن في المقابل ستعرفين إن كنتِ تتحدثين مع شخص يجلس بالقرب منكِ أم لا.

- جميل!! إذًا أستطيع من خلال المسافة أن أخمن موقع الشخص، لهذا يضعون أسماء وصورًا وهمية.

- بالضبط، تستطيعين أن تتحدثي مع من تشائين سواءً كان في فانكوفر أو حتى خارج كندا، ومعظم مستخدميه يبحثون إما عن صداقات أو علاقات

حب أو حتى عن مواعدات مشبوهة.

- ومن أي نوعٍ أنتِ؟! اعترفي.

أخذت تلعب بشعرها قليلًا ثم أجابتها:

- لا أبحث عن شيء في الفترة الحالية، لكن من يعرف ماذا سيحدث مستقبلًا، على كل حال حمّلي التطبيق الآن ثم قومي بإعداد صفحتك الشخصية.

ثم أعطت إيميلي اسم التطبيق لتالين:

- اسمه (كن لي)

- ألهذا السبب كنت هادئة اليوم في متجر الكتب؟!

أجابتها على استحياء:

- نعم فقد كنت غارقة في الحديث مع أحدهم

- اشكريه نيابة عني، فقد أسدى إليّ معروفا بإشغالك عني.

ضحكت إيميلي ثم ارتشفت قليلًا من كوب قهوتها، عندها بدأت تالين في تحميل التطبيق لكنها أرادت إعداد صفحتها الشخصية لاحقًا..

***

(كن لي)

في منتصف الليل..

وقبل أن تخلد تالين للنوم..

بدأت بإعداد صفحتها الشخصية في تطبيق «كن لي»..

أخذت تسأل نفسها:

- ما الاسم الذي سأختاره لي؟!

ممم سأختار الاسم لاحقًا..

ثم بدأت بكتابة معلوماتها الشخصية في الخانات المخصصة لذلك..

العمر: 24

الطول : 168 سنتيمترًا

الوزن: 53 كيلوجرامًا

الحالة الاجتماعية: عزباء

المهنة: طالبة هندسة

أبحث عن : ....

سألت نفسها:

- عن ماذا تبحثين يا تالين؟!

ثم كتبت..

أبحث عن: لا أعلم عن ماذا أبحث هنا، لكن الأيام ستكشف لي ما ينقصني فعلًا

اهتماماتي: القراءة، الموسيقى، تكوين صداقات

مكان الإقامة: فانكوفر، كندا

عادت تفكر باسم مستعار يناسبها، إلى أن وجدت غايتها..

الاسم: ديفا

ثم وضعت صورة وهمية لحسابها كانت الصورة لفتاة تحمل بين يديها كتابًا تقرؤه

بعد ما أكملت تعبئة جميع الخانات المطلوبة، قامت بالضغط على كلمة «تفعيل الحساب»...

ظهرت لها العديد من الحسابات، قريبة كانت أم بعيدة، عندها بدأت بتصفح الحسابات القريبة منها واحدًا واحدًا دون أن تكتب كلمة واحدة، وبينما كانت تتصفح راسلها عدد من الأشخاص لكنها لم تلق لهم بالًا لأن معظم رسائلهم كانت طلب مقابلات..

الرسالة الأولى..

- مرحبًا!

ما رأيكِ بلقاء لطيف الآن نتبادل فيه القبل وراء شجرة عملاقة كي لا يكشف أمرنا أحد؟!

أرى أنكِ قريبة مني، تعالي لنستمتع.

الرسالة الثانية..

- منزلي خالٍ الليلة، هل تودين المجيء؟!

أنا رجل وسيم إن كنتِ تبحثين عن الوسيمين.

ثم أرسل صورة لرجل في العقد الثاني من عمره وقد ظهرت ملامح الوسامة في وجهه، لكنه كان بلا ثياب تغطي جسده العاري..

الرسالة الثالثة..

- أنا على يقين بأنك جذابة لا تكوني أنانية أرجوك دعيني أرَ صورة تظهر فيها تفاصيل جسدكِ الممشوق.

اشمأزت تالين من تلك الرسائل التي وصلت لها منذ أول دقيقة لها من تفعيل حسابها، دخلت على إحدى الصفحات التي جذبتها طريقة تنسيق صاحبها وما كُتِبَ فيها، فقد كتب عدة اقتباسات من نصوص الأديب الروسي المعروف دوستويفسكي..

كانت الصفحة تحمل اسم يزن

بدأت تالين بمحادثته:

- أهلاً!

أود أن أبدي إعجابي بجمال الاقتباسات التي اخترت أن تضعها في صفحتك، اعتقد أنك قارئ نهم.

قام بالرد:

- أهلًا ديفا! كيف حالك؟!

أشكرك على هذا الإطراء الجميل، نعم أنا أحب القراءة حقًّا فهي ليست هواية بالنسبة لي فحسب بل هي الشغف بعينه..

- لماذا ما زلتِ مستيقظة إلى هذا الوقت ؟!

- كنت أقرأ رواية قد اشتريتها اليوم، لكن دعني أسألك، أنا جديدة في هذا التطبيق ويصلني الكثير من الرسائل المشمئزة، هل هذا شيء طبيعي؟!

- هههههه أهلا بكِ إذًا يا ديفا في هذا العالم الموبوء بالحمقى وتفاهاتهم، للأسف هنالك الكثير من الأشخاص الذين يستغلون أسماء وصورًا وهمية في أمور سيئة

- لاحظت ذلك فعلًا، فقد وصلتني بعض الرسائل البشعة وصور مخلة بالآداب.

- لا تلقي لهم بالًا، أخبريني ماذا كنتِ تقرئين.

- رواية البؤساء للأديب الفرنسي فيكتور هوغو.

- قرأت هذه الرواية فيما مضى كانت فعلًا عبقرية لدرجة أنها ستجعلك تفكرين وتعيدين النظر في العديد من الأمور بعد انتهائك منها.

- سأخبرك برأيي عند الانتهاء منها، سررت بالحديث معك يا يزن، اعذرني لكن النعاس داهمني، لقد حان وقت النوم.

- لا عليك، نومًا هنيئًا ديفا.

أغلقت تالين هاتفها لتتركه يشحن بطاريته المنخفضة على المنضدة الصغيرة

والقريبة من سريرها، ثم أغلقت إضاءة المصباح الذي كان بجانبها ودخلت أسفل اللحاف ثم وضعت رأسها على وسادتها وأغمضت عينيها لتغط في نوم عميق..

✵✵✵

(وهج بلا وهج)

أشرقت الشمس كعادتها من جديد..

لكنها لم تشرق هذه المرة في سماء فانكوفر...

بل أشرقت في مكان أبعد بكثير...

في الطرف الآخر من الكرة الأرضية..

في مكان ما في أحد البلدان العربية..

أشرقت بحرارة أعلى..

بوهج أكبر..

كانت تسير على الرصيف ذاهبة إلى المطعم الذي تعمل فيه كنادلة لمدة ثماني ساعات يوميًّا، حذرة عند عبورها تقاطعات الطرق، كان البعض يبتسم لها والبعض الآخر يلقي عليها التحية لكنها في معظم الأحيان تتجنب الرد سواءً كان بكلمة أو بابتسامة مع أي شخص سواءً كانت تعرفه أو لا تعرفه فهي تفضل الالتزام بالصمت على مجاملة الناس والانقياد لهم..

دخلت مقر عملها من الباب الخلفي للموظفين مُتجهةً إلى غرفة تبديل الملابس للاستعداد ببدء عملها، ارتدت قميصًا أبيض وبنطالًا أسود ثم ربطت على خصرها المريلة ذات اللون الفستقي والمطرزة بشعار المطعم، كان ذلك هو الزي الموحد للموظفين العاملين في المطعم..

نظرت إلى نفسها عبر المرآة المستقرة في جدار الغرفة لتنعكس لها صورة ذات رونق خلاب لفتاة في نهاية عقدها الثاني جميلة وجذابة، تحمل ملامح

حادة، رشيقة القوام، ذات عينين حزينتين وابتسامة باهتة..

كانت تجر شعرها الأسود المموج المنسدل على كتفيها ذاهبة لاستقبال الزبائن عند باب المطعم عندما نادى عليها أحد المشرفين..

- وهج!! هلا أتيتِ إلى هنا لأخذ طلبات هذه الطاولة من فضلك.

نظرت وهج إلى الطاولة ثم أجابت:

- قادمة.

يُعَد هذا المطعم من أجمل وأرقى مطاعم المدينة بسبب موقعه الاستراتيجي ومساحته الكبيرة وإطلالته الرائعة على الشاطئ، فقد حظي بإقبال الكثير من الزبائن والسياح له، وقد صُمم بديكورات أنيقة وفخمة، وكان يقدم العديد من الأصناف والمأكولات الإيطالية المتنوعة..

مضى الوقت سريعًا وأصبح المكان مكتظًّا بالزبائن، ترى العاملين في المطعم كالنحل في خليتهم، بينما كانت وهج أكثر النحلات حركة في تلك الخلية، فهي تهتم بِعدَّة طاولات، تكتب طلبات الزبائن بعدها تقوم بتسجيلها في جهاز الحاسوب المخصص لذلك، ثم تذهب إلى استقبال زبائن جدد دخلوا المطعم، وإذا جهز الطعام يرن موظفو المطبخ على جهازها اللاسلكي لتعود لاستلامه وتذهب به إلى تلك الطاولات...

ذهبت وهج إلى غرفة تبديل الملابس استعدادًا لمغادرة المطعم، فقد انتهى وقت عملها لهذا اليوم الشاق..

وعند دخولها المنزل رأت والدتها وزوج والدتها في غرفة المعيشة يتحاوران في موضوع ما، وكعادتها لم تلقِ التحية عليهما وذهبت إلى حجرتها

في الطابق العلوي..

لكن قبل صعودها السلالم صرخت والدتها بصوتٍ مرتفع:

- وهج! ألم أقل لكِ هذا الصباح بأنه يجب عليكِ الخضوع أمامي وتقبيل يدي كلما خرجتِ أو دخلتِ المنزل؟! لِمَ هذا العصيان؟! متى ستكونين فتاة مطيعة كبقية الفتيات؟!

التفتت وهج إلى والدتها ورمقتها بنظرة حادَّة ثم أجابتها بهدوء:

- عندما تصبحين أمًّا حنونًا كبقية الأمهات.

- أنا لا آخذ إيجار الحجرة التي تبيتين فيها، تسكنين في منزلي بالمجان، ألست حنونًا بما يكفي؟!

- هذا ما تبقى لكِ فقط لتأخذيه، فأنتِ على خلاف باقي الأمهات تأخذين النقود من ابنتك بدلًا من أن تعطيها، أعيش بعرق جبيني دون حاجتي لأحد.

ثم نظرت في عيني والدتها مُكملةً حديثها:

- مكتفية بنفسي وغنية عن العالمين.

- اخرسي يا نذير الشؤم أنتِ، سيئة خُلق وسليطة لسان.

سكتت وهج ثم أكملت صعود السلالم...

بينما صاحت والدتها:

- كتبت بعض اللوازم للمطبخ على ورقة وعلقتها على الثلاجة إياك أن لا تحضريها غدًا.

دخلت حجرتها وأغلقت الباب خلفها ثم رمت نفسها على السرير بعد يوم مرهق، أغمضت عينيها لدقائق معدودة ثم نهضت لتجلس أمام مكتبها

الصغير مُمسكةً القلم بيدها اليمنى وبيدها اليسرى أخذت تفتح أحد الأدراج الجانبية للمكتب لتخرج دفتر مذكراتها الخاص الذي تستخدمه يوميًّا لكتابة مشاعرها التي تخفيها على الجميع...

كُتِبَ في صفحاته الأولى:

أنا وهج..

وهج بلا وهج..

يقال بأن كل شخص في هذه الحياة يأخذ من اسمه نصيبًا، لكني أقول بأن كل شخص يأخذ من عكس اسمه نصيبًا..

فالعتمة أصبحت نصيبي..

ربما قدري الذي جعلني معتمة هكذا، لا أرى سوى الظلام، حتى أصبح الأسود هو لوني المفضل...

قدر..

كلمة من ثلاثة أحرف..

لكنها الشيء الوحيد في هذا العالم الذي لا يستطيع المرء تغييره..

وقدري هو أن أعيش مع امرأة مُستبِدَّة تكرهني تدعى أمي، لا تمت للأمهات بصِلة..

ما رأيكم إن أخبرتكم بأن هذا الكره عمره تسعة وعشرون عامًا، هي تكرهني منذ أن كنت نطفة في رحمها، تكرهني بسبب ذنب لم أقترفه، وتقول إني

كنت ذلك الشؤم الذي بعثر حياتها، فهي تُحمِّلني ذنب رحيل شخص لم أره في حياتي يدعى أبي..

أبي الذي لا يربطني به سوى ذلك الاسم الملاصق لاسمي في بطاقة الهوية..

أنا الغريبة في موطني..

أتُراء موطني؟!

أم أنا حبيسة له؟!

فكلانا لا نشبه بعضنا بعضًا...

ربما لم أختره لكنه اختار أن تبدأ حكايتي من أرضه...

وهج

اعتدت الهدوء..

حتى أصبح الصمت لغتي..

اعتدت البكاء..

حتى نسيت ابتسامتي..

اعتدت الكتابة..

حتى جف القلم ليواسيني..

اعتدت الوحدة..

حتى صار الظل صديقي..

في صغرنا كم تمنينا أن نصبح أشخاصًا ناجحين ومهمين في هذه الحياة..

لكن..

الحياة ليست صديقة لنا كي تلبي أمانينا..

هي ساحرة شريرة..

مهما فعلنا من الأسباب كي نصل إلى تلك الأماني..

تأتي هذه الساحرة لتلوِّح بعصاها السحرية متمتمةً بكلمات غريبة وتبث سحرها الأسود في طريق أمانينا..

كانت لدي أماني كثيرة..

تمنيت لو أني استطعت دخول الجامعة والحصول على شهادتها..

تمنيت أن تحتضنني أمي مرة بلا مقابل..

تمنيت أن تقول لي: (حبيبتي انتبهي لنفسك ولا تتأخري بالعودة) في كل مرة أخرج بها من المنزل..

تمنيت أن أجد رسالة من أبي يعبِّر لي بها عن مدى شغفه واشتياقه لرؤيتي..

تمنيت أن يتذكَّر أن لديه ابنة من دمه تحمل اسمه..

تمنيت أن أحصل على هدية واحدة في يوم ميلادي..

تمنيت أن أعيش حياتي كأي فتاة عادية..

تأخذ مصروفها من والديها، تقابل صديقاتها في أحد المطاعم..

تمنيت أن أحصل على عائلة تحبني وتحتويني..

لكنها مجرد أماني..

النهاية..

مهما كنت ضعيفًا...

لا تظهر ذلك الضعف أمامهم..

فعندها ستكون نهايتك..

لا تنخدع بهذا الثبات الذي أدَّعيه...

فداخلي طوفان ألم يغرقني..

اعتذار..

أعتذر لنفسي..

لأني ضحكت في لحظة أردت فيها البكاء..

لأني راعيت مشاعرهم حتى حطموا مشاعري بشرف..

لأني أرهقتني أكثر من اللازم..

لأني أحببتني أقل من اللازم..

شعور مؤلم أن تنام وفي قلبك حزن لا يعلم به أحد..

شعور مؤلم أن تنام وفي عينيك دموع انهمرت لا يعلم سببها أحد..

شعور مؤلم أن تنام وفي صدرك حديث لا يسمعه أحد..

والأكثر إيلامًا هو أنه لا يوجد من يسألك عن سبب انطفائك.. عتمتك.. حزنك..

أريد الصراخ (في وجوههم)

أريد البكاء (أمامهم)

أريد الهروب (من جورهم)

لكن كرامتي لا تريد من ذلك شيئًا...

إلا الكرامة...

ابكِ يا قلبي واصرخ...

وأنا سأصمت كي لا يرى ضعفنا أحد...

يا من تقرؤني..

دعني أخبرك سر حكايتي..

أنا وهج..

وليدة قصة حب كاذبة..

قصة حب انتهت بكره وانتقام..

وجزئية الانتقام هذه كانت من نصيبي..

جميعهم انتقموا مني..

وكان عمر هذا الانتقام عمري

ما زال الانتقام قائمًا..

أمي تكرهني..

أبي لا يعرفني..

تقول أمي إن أبي كان شابًّا وسيمًا، وقد سحرتها ابتسامته وعيناه العسليتان الناعستان فوهبته نفسها، لكن عندما علمت أمي بأنها أصبحت حبلى، وهذا ما أرادته لتجعل أبي يتزوجها إكراهًا...

كانت سعادتها تعم الأرجاء لحظة إخباره بذلك، فهي تعد نفسها المنتصرة في حرب الحب هذه..

بسبب بعض العادات والأعراف الموجودة في بيئتنا العربية خاف أبي على سمعته وسمعة عائلته فتزوج أمي بالإكراه..

لم يكن يحب أمي أبدًا..

لماذا كانا يتواعدان إذًا؟!

لإشباع غريزتهما الجنسية؟!

لم يصمد ذلك الزواج كثيرًا، فأبي كان ينتظر يوم ولادتي بفارغ الصبر كي يغرز مخالبه في قلب أمي ويهجرها بعد الولادة..

وهذا ما حصل فعلًا..

فيوم ولادتي كان يوم خلاصه المنتظر، بل كان عيدًا بالنسبة له...

ظهر الطبيب من غرفة العمليات ليخبره بأنه أصبح أبًا لابنة جميلة، لا أستطيع أن أخبرك عزيزي القارئ عن مشاعره في تلك اللحظة، فأنا نفسي لا أعرفها..

أكان سعيدًا؟! أم حزينًا؟!

بعد يومين من ميلادي، أنهى جميع أوراقي القانونية، وضع لي اسمًا ونسبني إليه..

وضع الأوراق فوق سرير أمي في المنزل ومعها رسالة وظرف مليء بالنقود..

عاد إلى المستشفى، دخل حجرة أمي، وجدني بجانبها، حملني وقبَّل جبيني ثم قال:

- طفلتي..

سميتكِ وهج، متمنيًا أن تصبح حياتك مضيئة مشعة، أن تكوني قوية كوهج الشمس ولمعتها، وهجٌ منيرٌ لمن حوله

عانقني عناقًا طويلًا ثم أعادني إلى حجر أمي..

ثم غادر..

إلى مكان بعيد يجهله الجميع...

هكذا كان انتقام أبي من أمي..

هجرها ورحل عنها وبين ذراعيها كنت أنا...

كنت أصرخ باكية في وجه عدوتي اللدود «الحياة» البخيلة التي جعلتني ألتقي بوالدي لمدة لا تزيد على يومين فقط..

النهاية..

أنا لا أدعي الحزن..

أنا حزينة فعلًا..

هناك سرٌّ أريد البوح به...

عن أمي..

أعلم جيِّدًا لم كان أبي يكره أمي بهذا القدر..

لأنها وبكل أسًى كانت بائعة هوى...

كانت تحب معاشرة الرجال...

خاصة الوسيمين منهم الذين يملكون النقود..

كان أبي أوسمهم لذا تشبثت به..

وبعد هجرانه لها، أصبحت تتزوج كثيرًا، لكن بلا خطط للحمل منهم، كنت أنا الشؤم الذي تراه، لذا لا تحتاج إلى أن تتجنب شؤمًا آخر..

أمي امرأة جميلة وفاتنة، لذا يطلب الرجال الزواج بها، خاصة الكبار في العمر..

لا أعلم كم هو رقم هذا الزوج الذي يسكن معنا..

لكنه ينظر إليَّ بنظرات غريبة..

ابتسامات لا أفهم معانيها...

أشعر وكأنه غريب أطوار...

لكني لا آبه له...

قلبت وهج صفحات الدفتر باحثةً عن صفحة بيضاء خالية لتبدأ بكتابة شيء ما بداخلها، إلى أن وجدت الصفحة المنشودة لتكتب:

أشعر بأمل بنكهة اليأس..

أشعر بفرح بنكهة الحزن..

أشعر بقرب بنكهة البعد..

أشعر بطمأنينة بنكهة الخوف..

طوال الأيام الماضية، بدأت أبحث عن أحدهم..

عبر الإنترنت وفي مواقع التواصل الاجتماعي..

آملةً أن أجد شيئًا أستدل به عليه..

كان هناك أمل لكن اليأس خالطه..

بحثت..

وبحثت..

إلى أن وجدته أخيرًا!!

شعرت بفرح شديد لكن لسبب ما..

شعور الفرح هذا اختلط بنكهة الحزن..

وجدته قد تزوَّج وأنشأ عائلة دوني..

أتصفح حساباته الاجتماعية..

لم يذكر عني شيئًا..

أرى صورته أمامي..

يبتسم بينما أنا أبكي..

تعانقه فتاة غيري..

أشعر بالقرب منه، لكنه بعيد جدًّا عني..

ملامح وجهه تجلب لي السكينة والطمأنينة..

لكن لماذا أشعر بالخوف الآن؟!

ربما لأنه غريب عني..

غريب وأسماؤنا لم تنفصل بعضها عن بعض يومًا؟!

غريب ودماؤنا واحدة؟!

غريب سعيد في غربته...

بينما أنا القريبة إليه البعيدة عن حضنه..

ها قد وجدتك أخيرًا..

يا أبي..

ربما لا يجدر بي نعتك بهذه الكلمة، لأنك ما زلت ذاك الغريب..

بل يجدر بي نعتك باسمك..

أمجد..

خانت بعض الدموع عيني وهج لتسقط إكراهًا على تلك الصفحة، أغلقت الدفتر لتعيده إلى مكانه، ثم بدلت ثيابها وخلدت إلى النوم...

***

مع مرور الأيام..

باتت تالين لا تفارق تطبيق «كن لي»، بل صار المحبب لها، لوجود شخص ما..

شخص تميل للحديث معه..

شخص اعتادت على قراءة ما يكتبه لها من اقتباسات أدبية لطيفة..

يزن..

- وما هو رأيك يا تالين؟!

تسأل تينا ابنتها، بينما كانت الأخرى شاردة الذهن..

تهز كتفها وتنادي باسمها:

- تالين!؟

- ماذا هناك؟! تجيب تالين وهي تنظر إلى والديها ونظرات الاستغراب تلاحقها.

- بماذا تفكر صغيرتي؟! سألها أمجد

- لا شيء، كنت فقط أفكر في امتحانات نهاية الفصل الدراسي وأنه يجب عليَّ الاستعداد لها مبكرًا.

داعب أمجد وجنتي ابنته:

- لا تقلقي، أنت فتاة مجتهدة ومتفوِّقة، أنا على يقين بأنك ستقدمين كل ما بوسعك لتحققي الأفضل.

- كنت أسألكِ عن رأيك في فكرة دعوتنا لبيتر وصديقته الملازم جودي التي أخبرتِنا عنها. قاطعت تينا حديثهما.

- لا أعلم إن كانا متفرغين لمثل هذه الترهات.

- ترهات؟!

- أقصد أن لديهما أعمالًا أهم بكثير من الزيارات وتناول العشاء والحديث

في أمور خارج نطاق العمل.

- ومن رشحك لتكوني مديرة لأعمالهما؟!

- أميي!! أنتِ من طلب رأيي في الموضوع.

أشاحت تينا وجهها عن ابنتها قائلةً:

- لقد أخطأت، سأقوم بدعوتهما بنفسي، وسنقيم حفلة شواء في المنزل، أريد أن أرى الابتسامة على وجه ابني بيتر، ثم إني أريد التعرف على صديقته تلك.

وضعت تالين يدها على جبينها مشيرةً لوالدتها أن ما تطلبه كثير، ثم أجابت:

- افعلي ما تريدين، لكن بشرط يا أفروديت.

- تستعملين كلمة أفروديت كي تجعليني أوافق على شرطك دون سماعه، ما هو ذلك الشرط أيتها الماكرة الصغيرة؟!

- سأدعو إيميلي.

ابتسمت تينا:

- موافقة.

تدخل أخيرًا أمجد بعد تلك المناقشة النسائية ليقول:

- حدِّدا اليوم المناسب لأقوم بشراء ما نحتاجه لحفلة الشواء هذه.

عندها أتت رسالة لهاتف تالين.

رسالة من الشخص الذي كانت شاردة الذهن به...

فتحت تطبيق «كن لي» لترى ما أرسله يزن لها..

- مساء الخير ديفا

كيف حالكِ اليوم يا سكر؟!

تكتب تالين:

- أهلًا يزن

أنا بخير، شكرًا لسؤالك

ما الذي تفعله الآن؟!

- لا شيء، أشاهد التلفاز، وأنتِ؟!

- لا شيء أيضًا، في غرفة المعيشة برفقة والديَّ

يرسل قلبًا أحمر..

ترسل وجهًا متورِّدًا..

ثم كتبت:

- يزن، أريد أن أعرفك أكثر من فضلك، صحيح أننا أصبحنا صديقين بهذا التطبيق، لكن أود التَّعرُّف عليك أكثر.

ثم أضافت:

- أعلم بأننا لجأنا لهذا التطبيق لأننا لا نود الإفصاح عن هوياتنا الحقيقية، إن كنت لا تريد الإفصاح فهذا حقك وأحترم رغبتك في ذلك.

- عزيزتي ديفا، دعيني أعترف لك بشيء أوَّلًا، طوال الأيام الماضية وأنت ساكنة ومستقرة داخل رأسي، أصبحت لا أدخل هنا إلا لأستمتع معك في

الحديث.

- لِمَ أنا تحديدًا؟!

- لأنك الوحيدة التي تتحدث بعفوية معي، ولا تريدين شيئًا من ذلك سوى الحديث فقط، على عكس باقي الفتيات في التطبيق اللاتي يفضلن المقابلات والخروج مع الشباب، أنتِ ناضجة يا ديفا، وقارئة مثقفة، هذا ما شدني أكثر إليكِ

شعرت تالين بالخجل فاكتفت بإرسال وجه يرمز للمعانقة وبجانبه قلب أزرق..

أكمل يزن الكتابة:

- لذا، شرف لي أن أصبح صديقك ديفا، سأفصح لك عن هويتي الحقيقية..

اسمي الحقيقي هو يزن كما هو مكتوب في صفحتي..

أبلغ من العمر سبعة وعشرين ربيعًا...

تعرفين اهتماماتي، تثقيف الذات وتطويرها..

أنا رجل من أصول عربية، لكني نشأت في كندا منذ ولادتي..

لا أعيش قصة حب مع أحدهم فأنا أعزب، إن كان الأمر مهمًّا لطرحه...

ممم ماذا أكتب أيضًا؟!

أعمل مهندسًا في قسم الصيانة لدى إحدى الشركات الكبرى المتخصصة في مجال إنتاج الطاقة، ولا أفضل إرسال صورتي الحقيقية الآن، ربما لاحقًا...

ماذا عنكِ يا ديفا؟!

- جميل!! لدينا العديد من النقاط المشتركة، أوَّلًا أنا عربية الأب ويونانية الأم، نشأت وترعرعت في أحضان كندا...

أدرس هندسة ديكور، هذه سنة تخرجي أخيرًا...

أقرب شخص لي بعد والديَّ هو صديق طفولتي الجميلة بيتر..

ممم أنا عزباء ولا أعيش حالة حب..

سمِّني ديفا حاليًّا، سأخبرك عن اسمي لاحقًّا، ثم إني أتفق معك في عدم إرسال صورنا الشخصية في الوقت الحالي..

أرسل يزن لها رمز أوكيه وقبلة...

ثم كتب:

- ما معنى اسم ديفا؟! ومن هو بيتر؟!

ثم أرسل وجهًا حزينًا وكتب ممازحًا:

- بدأت أشعر بالغيرة منه وأنا لا أعرفه.

أخذت تالين تشرح:

- ديفا هي كلمة إيطالية الأصل، وفي القرن التاسع عشر أطلق الإيطاليون كلمة ديفا على مغنيات الأوبرا، معناها الحرفي هو إله الغناء ولكن بالطبع لا يقصدون ذلك، بل يقصدون أن صوت هؤلاء المطربات يحمل «مسًّا إلهيًّا» يشبه ترانيم الجنة.

- يا إلهي لم أخمن قطُّ أن يكون هذا الاسم يحمل بُعدًا آخر كهذا البعد، ظننته فقط اسمًا وهمِيًّا تم اختياره بعشوائية، أحببت قصة الاسم يا ديفا

قلبي.

أرسلت وجهًا بلسان متدل مع غمزة، وقلب أزرق، ثم كتبت:

- بالنسبة لبيتر..

لا أعرف كيف أصفه..

فإن وصفته! أكون له ظالمة..

من الصعب أن تصف روحًا ما هي إلا انعكاس لروحك..

هو ملاذي..

وراحتي واطمئناني..

كيف لي أن أصف شخصًا وضع الكون في كفة ووضعني أنا في الكفة المقابلة، هو مستعد ليقدم لي روحه قبل كنوز الأرض..

هو الحل الوحيد لجميع مشكلاتي..

هو قوتي، هو عزتي، هو الجبل الذي أستند عليه..

ثم أرسلت الكثير من القلوب الحمراء..

كتب يزن:

- أمُتيقِّنة أنك لا تعيشين قصة حب؟! أشعر وكأنكِ حقًّا غارقة في حب بيتر لكنك لا تودين الاعتراف بذلك لنفسك..

- أنا حقًّا غارقة في حبه، لا أستطيع تخيُّل حياتي بدونه، لأنه الأخ والملاك الذي وهبتني إياه الحياة، لم أحظ بإخوة لكن بيتر كان كافيًا لي، هو صديقي وقت الشدة، هو حبيبي وقت حزني، هو أخي في جميع ما سبق..

ما أجمل الصديق حينما يكون على هيئة أخ، فهو أصدق وأرق من ألف حبيب..

نعم أحبه، حبًّا لا يضاهيه حب، حبًّا يختلف عن الجميع، يحق له ما لا يحق لغيره، هو أخي..

وأنا أخته المخلصة..

- ما أجمل هذا الوصف حقًّا، لقد لخصتِ جميع الكلمات في «هو أخي، وأنا أخته المخلصة»، ديفا من اهتماماتك وطريقة حديثك، أيقنت أنك فتاة رقيقة حساسة المشاعر، تدخلين القلب بلا حواجز تمنعك، أنا سعيد لوجودك في حياتي.

أرسل قلبًا أحمر وقبلة..

- بل أنا السعيدة لوجود شخص لطيف وصادق القلب مثلك في حياتي.

كانت تالين تكتب والابتسامة لا تفارق شفتيها، وعندها تركت والديها اللذين كانا يشاهدان التلفاز لتذهب إلى غرفتها وتكمل حديثها..

❋❋❋

ذهبت تينا لزيارة بيتر في منزله، فتح لها الباب وقد ملأت السعادة وجهه فور رؤيتها..

- ما هذه الزيارة اللطيفة المفاجئة خالتي تينا؟!

قبَّلَ يدها ودعاها لدخول المنزل..

- كيف حالك يا بني؟!

- بخير يا خالتي، وأصبحت أفضل لدى رؤيتك.

التفتت يمنة ويسرة لترى الأشياء الموجودة في المنزل، ثم أكملت قائلةً:

- هل ينقصك شيء في المنزل؟! إن كان ينقصك شيء فتعال وخذه من منزلنا، فمنزلنا هو منزلك يا بيتر إياك أن تنسى هذا.

- كل شيء مكتمل، لا تقلقي إن احتجت شيئاً فسأزعجكم بطلباتي.

قهقهت تينا ثم جلست على الأريكة المجاورة للنافذة في غرفة المعيشة..

سأل بيتر تينا:

- قهوة سوداء كالعادة؟!

اجابت بابتسامة:

- سوداء كقلبك، مُرَّة كمزاجيتك.

- متذوقتها كحلاوتك، دقائق وتكون جاهزة.

بعد عِدَّة دقائق عاد بيتر حاملًا بيده فنجان قهوة وبجانبه قطع شوكولاتة صغيرة...

- تفضلي.

- كيف حال عملك؟!

- جيد، لكني مشغول في قضية مبهمة هذه الأيام أعجز عن حلها.

- ما هذه القضية؟!

- جريمة قتل.

شهقت ثم قالت:

- يا إلهي، يستحسن تغيير الموضوع، أتعلم ما ينقص منزلك يا بيتر؟!

قطب حاجبيه سائلًا:

- ماذا؟!

- ينقصك زوجة تؤنس وحدتك، لماذا لا ترتبط بأحد يا بني؟! أنت رجل عصامي نبيل طيب القلب والكثير من الفتيات يتمنين الارتباط بشخص مثلك، أخبرني هل توجد فتاة ما تسكن قلبك؟!

ارتبك وبدأ يتصبَّب عرقًا بسبب توتره، حاول الرد لكنه تلعثم في البداية، إلى أن تمالك نفسه وقال:

- صحيح يا خالتي ما تقولينه، لكني في الفترة الحالية مشغول في عملي ولا أفكر بشيء غيره، ربما مستقبلًا، بالنسبة إن كان هناك شخص ما في قلبي! فجوابي هو لا.

قال لا لكنه أجاب بـ «نعم» في قرارة نفسه، كان حينها يتخيَّل تالين تدخل منزله بفستان أبيض طويل يتلألأ كتلألؤ عينيها الواسعتين، مزينة نحرها بعقد من الألماس، مسرحة شعرها الأشقر على الطراز اليوناني القديم..

- بيتر؟! هزَّت تينا بيتر لتعيده لأرض الواقع.

- ماذا هناك يا خالتي تينا؟!

- لقد سألتك إن كنت متفرغًا في نهاية الأسبوع.

حكَّ ذقنه مُحاوِلًا تذكُّر مخططاته لنهاية الأسبوع..

- ليس لدي أية مخططات، متفرغ. لكن لماذا، هذا السؤال؟!

ارتشفت قليلًا من فنجان القهوة:

- في الحقيقة يا بني فكرت في تغيير الروتين قليلًا ولنستمتع جميعنا كعائلة في عطلة نهاية الأسبوع، لهذا قررنا أن نعد حفلة شواء في منزلنا، ونعيش الأجواء العائلية معًا، أريدك أيضًا أن تدعو صديقتك الملازم، فقد أخبرتني عنها تالين أنها من أقرب الأصدقاء إليك وأنها فتاة ذات روح مرحة، لذلك أحببت دعوتها والتعرُّف عليها إن كانت متفرغة طبعًا.

- شكرًا لأنكِ فكرت بمثل هذه الفكرة الرائعة خالتي تينا، حقًّا نحتاج لمثل هذه الأجواء الممتعة والتغيير من الروتين قليلًا ليتجدد نشاطنا للحياة وليزداد عطاؤنا للعمل أكثر، بالنسبة لصديقتي جودي فسأبلغها بخصوص دعوتك اللطيفة، أظنها متفرغة هي الأخرى.

ثم جلسا يتبادلان أطراف الحديث في عِدَّة موضوعات جانبية، كانت عينا تينا كالأم المهتمة بتفاصيل حديث ابنها الصغيرة قبل الكبيرة والابتسامة لا تفارق شفتيها، إلى أن أنهت فنجان القهوة ثم غادرت المنزل مذكرةً بيتر بدعوة صديقته للحفلة، وفور إغلاقه لباب المنزل سحب هاتفه من جيبه، اتصل بجودي ليسألها عن آخر مستجدات قضية الصيدلي مايك لكن للأسف لا يوجد جديد، ثم أخبرها بدعوة تينا لها وأجابت بالموافقة..

***

(العدالة تنتصر دائمًا)

في منتصف الليل..

ما زالت تالين مستمرة في محادثة يزن الذي كان مستمتعًا هو الآخر آنذاك..

كتب لها:

- إن وجدتِ الشخص المناسب الذي يستحق حبك واهتمامك فاعلمي أن ذلك المحظوظ قد امتلك الكون بأكمله، أنت شخص مثالي والمثالية لا تليق إلا بك.

ثم أرسل وجهًا متورِّدًا..

أرسلت قبلة ثم كتبت:

- شكرًا لك على هذا الإطراء اللطيف سيد يزن.

بينما كانت تالين تراسل يزن، فتحت نافذة غرفتها ليتجدد هواؤها، في تلك اللحظة لمحت بيتر يترجل من سيارته اللكزس حاملًا بيده بعض الأكياس..

صرخت ملوِّحةً بيدها:

- هيييه حلووول، ما الذي تحمله بين يديك؟!

التفت بيتر باتجاه صوتها ليراها تلوِّح له مــن النافذة، فأجابها ممازحًا

بصوتٍ مرتفع:

- يا فأرة، هل شممت رائحة الطعام؟!

أرسلت له قبلة في الهواء وهي تبتسم..

وعلى استحياء أشار بيده لها، يطلب منها النزول إليه، هزَّت رأسها موافقة، ثم عادت إلى محادثة يزن الذي كان يكتب آنذاك:

- ديفا

ألوووو ديفا !!؟!

هل ما زلتِ هنا؟!

هل تتحدثين مع أحدهم في التطبيق؟!

ثم أرسل وجهًا غاضبًا..

- صديقي يزن، سأعود لك حالًا، حلول يطلب رؤيتي.

أرسلت وجهًا يرمز للمعانقة وقلبًا أحمر..

ثم أرسلت كلمة بيتر مصححةً كلمة حلول..

نزلت ببجامتها السوداء الحريرية إلى بيتر الذي كان يقف أمام الباب منتظرًا فتحه..

- ماذا هناك يا حلول؟! سألت تالين وهي تلعب بخصلات شعرها الأشقر.

- في الواقع ذهبت لشراء طعام العشاء، ثم مررت على بقالة للحصول على بعض اللوازم التي تنقصني، وبالمصادفة لمحت السكاكر التي تحبينها منذ صغرك.

ثم مدَّ لها كيسًا ممتلئًا بتلك السكاكر:

- تفضلي.

أخذت تنظر إلى ما بداخل الكيس والفرح يملأ وجهها..

صرخت بسعادة:

- بيييتر!! شكرًا جزيلًا لك.

وفجأة باغتته بقبلة على خده الأيمن وعانقته بقوة حتى أصبحت تسمع دقات قلب بيتر السريعة..

ارتعش بيتر فجأة وبقي ساكنًا ينظر إلى تالين التي كانت تضع رأسها على صدره معانقة له، إلى أن حضنها هو الآخر أخيرًا..

- تالين. قالها بهدوء.

رفعت رأسها لترى عينيه اللتين كانتا متلألتين حينها..

سكت قليلًا ثم أكمل كلامه بصوتٍ يرتجف:

- هناك شيء آخر أود البوح به

- ما هو ؟؟

- أنا

ابتلع ريقه:

- أنا

دقات قلبه تزداد أكثر فأكثر..

- أنت ماذا؟!

- أنا أح...

لم يستطع إكمالها..

- بيتر ما بك؟!

- انظري إلى معصمي.

اتَّسعت عيناها عندما رأت ما في معصمه الأيمن..

لقد كان وشمًا باسمها..

مشاكل..

- حلول! ما هذا؟!

- وشم

- لا تكن أحمق، أعرف أنه وشم، لكن لماذا؟!

- لا أدري لِمَ فعلت ذلك حقًّا لكني بينما كنت أسير وحيدًا هذا المساء بين شوارع فانكوفر، رأيت أحد المحال المختصة بعمل الأوشام، لفت انتباهي التصميم فدخلت، ناولني أحد العاملين الكتالوج لأختار من بين تلك الرسومات لكني فضلت أن أضم اسمك على معصمي

- لا أعرف ماذا أقول لكنك لطيف ومجنون جدًّا في الوقت نفسه. قالتها وهي تضحك

ضحك بيتر وهو يحك رأسه:

- هيا ادخلي المنزل

- حاضر سيد حلول، طابت ليلتك

- طابت ليلتك

دخلت تالين منزلها وأغلقت الباب خلفها، بينما دخل بيتر منزله وهو يفكر في تلك اللحظة التي نجا منها بأعجوبة، كان سيتسرع بالاعتراف بحبه لصديقة طفولته في لحظة كان السكوت فيها هو الحل الأمثل..

عادت تالين لمراسلة يزن:

- أما زلت هنا؟!

- نعم، ما الذي كان يريده بيتر منك في مثل هذه الساعة المتأخرة؟!

- كان عائدًا إلى المنزل

- أيقيم معكم؟!

- لا، بل يقيم بالمنزل المقابل لنا تمامًا

ثم أضافت:

- ناداني ليعطيني كيسًا بداخله سكاكري المفضلة

- كم هو لطيف

أرسل وجهًا غير مستمتع..

أتصدق يا يزن أنه أصبح يضع وشمًا على معصم يده. المفاجأة أن الوشم هو اسمي السري «مشاكل»، لقد رأيته قبل قليل، كان جميلًا

- أمره غريب حقًّا، لماذا يفعل مثل هذا الشيء؟! بالإضافة ما معنى اسم «مشاكل»؟!

- هذا الأمر ليس بغريب كما تعتقد، خاصة أن بيتر هو من فعلها، منذ طفولتنا وهو يفعل أشياء جنونية بغرض المتعة، ربما يفاجئني غدًا بشيء جديد، أمر طبيعي مع بيتر

ثم بدأت تروي له قصة مشاكل وحلول كاملة، كانت تكتب له القصة وهي تبتسم وتضحك كلما تذكرت تلك التفاصيل الجميلة التي مرَّت في طفولتها وحتى مراهقتها..

وفجأة..

تحولت تلك الابتسامة التي ارتسمت على شفتي تالين إلى عبوس فور وصولها للجزء المحزن من قصة حلول...

قصة فقدانه لوالديه...

والتي بدأت بفقدانه لوالده الضابط والتر..

كان الضابط والتر من أهم الضباط في شرطة فانكوفر، كان مخلصًا في عمله لدرجة أنه ينام أحيانًا في مكتبه ولا يعود للمنزل إلى أن ينتهي من حل اشتباكات قضية ما، كان يردد دائمًا عبارة في وجه المجرمين والتي توارثها ابنه من بعده: «العدالة تنتصر دائمًا» ..

لكن للأسف فالعدالة لا تنتصر دائمًا في هذه الحياة..

يومها كانت الحياة أكثر قسوة وظلمًا لعائلة بيتر..

خرج الضابط والتر برفقة ابنه بيتر في يوم عطلة للتنزه في الحديقة المجاورة لمنزله..

سأل والتر ابنه:

- ماذا تود أن تصبح عندما تكبر يا بيتر؟!

لمعت عينا بيتر عندما أجاب والده:

- سأصبح مثلك يا أبي، وأحمي المدينة من المجرمين.

- لكنه عمل خطير ويتطلب الكثير من التضحيات، بالإضافة إلى أنه قد يضعك أنت أو أحد أفراد عائلتك في خطر يصعب تفاديه.

- لكني أريد أن أصرخ في وجه المجرمين كما تفعل أنت وأقول: «العدالة تنتصر دائمًا».

- ابتسم والتر ثم قال:

- أحب هذا الحماس والاندفاع اللذين بداخلك يا بني، أحب هذه النظرات الحازمة التي في عينك، أشعر وكأني أنظر إلى نفسي، لكن سأخبرك بسر لا يعرفه أحد سواك.

وضع والتر يديه على كتفي بيتر وقال:

- أحيانًا تكون العدالة غير منصفة، لذلك تحتاج أن تسير في الظلمة وتتخلى عن مبادئك وقيمك التي اتخذتها عهدًا على نفسك في أول يوم عمل لك مع الشرطة، إلى أن تحصل على العدالة التي تعتقد أنها منصفة حقًّا، أعلم أنك لن تفهم ما أرمي إليه ولكن اسمعني يا بيتر، لا تثق دائمًا بمن هم حولك.

وفجأة...

وبينما كانا يسيران ويتحدثان...

توقفت سيارة سوداء أمامهما ونزل منها رجل يرتدي لثامًا وثيابًا سوداء وبحوزته رشاش...

اتَّسعت عينا والتر وعرف أن نهايته قد حلَّت...

كان خائفًا جدًّا...

ليس على نفسه، بل على ابنه الوحيد بيتر..

وبحركة سريعة، أعطى والتر ظهره للرجل الملثم وضم ابنه بقوة ليصبح درعه المنيع...

همس في أذن ولده:

- أحبك يا بيتر

عندها بدأت حفلة إطلاق النار على والتر...

كانت الطلقات كثيرة وسريعة، لكن ظل ذلك الدرع صامدًا إلى أن هوى أرضًا...

هرب الملثم بسيارته، بينما كان بيتر غارقًا في دماء والده غير مصدق لما حدث للتو...

كانت ثوانٍ فقط...

بين شعوره بالأمان بجانب والده إلى ذعر وهلع ورعب قاتل...

- أأأبيييي

كانت صرخته قوية جدًّا والتي نبعت من أعماق قلبه المتألم..

كــان والتر يتحرى ويجمع المعلومات بطريقة غير قانونية، لكنه بذلك

اكتشف موقع خلية إرهابية وعرف أسماء ضباط كانوا متواطئين مع تلك الخلية، كان الضباط هم زملاءه الذين يحتسي معهم القهوة في مركز الشرطة، لكن قبل أن يسلم التقارير والدلائل التي جمعها للعميد عرف أحد الضباط بأمره لذلك قرروا قتله قبل أن يسلم تلك الملفات..

مع مرور السنين كبر بيتر والتحق بكلية الضباط، وبعد تخرجه منها طور نفسه أكثر في مجال التحقيق ودخل عِدَّة دورات والتي كانت توفرها الحكومة الكندية لبعض الضباط الأكفاء، ثم اكتسب الخبرات الكافية في هذا المجال والتي خولته العمل كمحقق تحت إشراف بعض المحققين المهمين في الدولة...

كان هدفه الأول والأساسي هو إلقاء القبض على قتلة والده وزجهم في السجن...

وفي أول يوم له بالعمل كمحقق أمر بفتح ملف قضية والده التي أُغلقت ضد مجهول، وأخذ يجمع المعلومات بشكل قانوني، لكن القضية كانت أكثر عتمة من أن تُحل بشكل قانوني، وفي يوم من الأيام أرسل شخص مجهول لبيتر ملفات تخص قضية أخرى..

قضية تورط عِدَّة ضباط في خلية إرهابية...

كتب في ورقة تابعة للملفات: «هذه الأوراق التي كلفت والدك حياته، لقد كانت أمانة لديَّ إلى أن تكبر، فقد شعر والدك بخطر من حوله، لذلك خبأها عندي وطلب مني أن أسلمها لك عندما تصبح جاهزًا»..

وبذلك أغلق بيتر قضيتين في وقت واحد، قضية والده وقضية الخلية الإرهابية وفساد الضباط الذين أصبحوا بمناصب أقوى من السابق...

شعر بيتر بالنصر والفرح أخيرًا بعد ما انتقم لوالده..

لكن الفرح لم يدم طويلًا في منزل بيتر..

فقد كشفت تحاليل والدته كايلي أنها مصابة بمرض السرطان، لقد كان في مرحلته المتأخرة، لم ينفع معها العلاج لأن المرض قد انتشر في أنحاء جسمها الهزيل بسبب ذلك تأثرت نفسية الجميع بشكل سلبي وملحوظ...

كان بيتر يبكي بحرقة على حالة والدته في الخفاء، بينما كانت تالين تبذل قصارى جهدها لتخفف من ألمه وتهدئه، لكن لا أحد يستطيع أن يخفف عنه شيئًا..

كانت تينا حزينة جدًّا على ما أصاب صديقتها كايلي، لكنها أخفت ذلك الحزن وظلت مبتسمة أمامها محاوِلةً رفع معنوياتها..

نينا هي أقرب الصديقات لكايلي فقد بدأت صداقتهما يوم ميلاد صداقة مشاكل وحلول حتى كبرا..

في كل يوم كانت تشرق فيه الشمس، تذهب تينا لزيارة كايلي في منزلها لتساعدها إما في تنظيف المنزل أو في إعداد الطعام، كانتا تقضيان وقتًا مسلِيًّا بعضهما برفقة بعض..

- أرجوكِ يا تينا إن مت أو حدث لي أي مكروه، فلا تتركي بيتر وحيدًا، كوني بجانبه.

تنهدت قليلًا بسبب الألم الذي تشعر به ثم أكملت:

- كوني أمه الحنون، كما كنتِ لي الأخت الحنون، أنتِ الوحيدة التي أستطيع أن أستأمنها على ابني وقلبي مرتاح.

- لا تقولي هذا يا كايلي فابنك هو ابني، وستعيشين لأجل ابنك عزيزتي.

ثم عانقت تينا كايلي وبدأت تنشج بالبكاء..

مرَّت الأيام حتى توفيت كايلي..

كانت أيامًا عصيبة عاشها كل من بيتر وعائلته الجديدة..

لكن تينا أقسمت على أن تعتني ببيتر كما تعتني بتالين، وأصبحت قريبة منه جدًّا ولم تشعره يومًا بالوحدة، حتى شعر بيتر بالأمان الذي يصنعه الأب والحنان الذي تقدمه الأم اللذان كان يفتقدهما..

سقطت دمعة من عيني تالين بينما كانت تروي هذه القصة ليزن...

كتب يزن:

- لا أعرف ماذا أقول، صداقتكما جميلة وقوية جدًّا.

- تقصد أخوّتنا.

- نعم أخوّتكما.

توقف قليلًا ثم كتب:

- ديفا هل أستطيع مقابلتك؟!

- ؟؟؟!

- ديفا أنا معجب حقًّا بشخصيتك، وأتمنى أن أقابلك فأنا متشوق لهذا جدًّا.

- وأنا أود رؤيتك لكني أشعر بالتوتر، لدرجة أني أشعر بمغص معدتي من شدَّة هذا التوتر.

- لا تتوتري ولا تخافي، فأنا معك يا ديفا ولن أوذيك، هذا وعد مني.

- مممم

- وافقي أرجوكِ

- حسنًا موافقة

ثم أرسلت وجهًا متورِّدًا..

أرسل لها قلوبًا حمراء..

- متى تودين أن نتقابل؟!

- دعنا نحدد هذا لاحقًا أرجوك، فأنا الآن أشعر بالنعاس وعقلي قد توقف عن التفكير

- كما تشائين حبيبتي

- حبيبتك!!

أرسلت وجهًا خائفًا...

- أقصد صديقتي

- تصبح على خير يزن

- تصبحين على خير ديفا

ثم خلد كلٌّ منهما إلى النوم..

✵✵✵

(أما حان وقت الاعتراف؟!)

في يوم دافئ على ضفاف الشاطئ وتحت أشعة الشمس...

جلست فتاة جذابة ورقيقة المظهر ذات شعر أسود مموَّج على حبات الرمل الدافئة وحيدة..

كأنها حورية بحر خرجت من أعماق البحار الباردة المظلمة تبحث عن مكان يشعرها بالدفء العاطفي..

تلعب بالرمال...

اقتربت من الساحل أكثر ..

بدأت بكتابة اسمها بخط عربي كبير..

وهج...

كان منظر الاسم جميلًا عندما ارتطمت أمواج البحر الزرقاء بصخور الشاطئ الكبيرة مبتلعة أثره من الساحل...

كأن البحر أراد أن يحكي قصة هذا الاسم في أعماقه..

فتحت وهج حقيبتها لتخرج هاتفها المحمول..

بدأت بتصفح الأخبار على مواقع التواصل الاجتماعي..

ثم انتقلت إلى إحدى صفحات والدها في تلك المواقع..

دخلت إلى الدردشة الخاصة...

لا تعرف كيف تبدأ المحادثة..

- مرحبًا

ترتجف إصبعها عند زر الإرسال...

تمسح ما قد كتبته، ثم تخرج من صفحة والدها وتغلق هاتفها وتعيده إلى الحقيبة...

تغمض عينيها لتأخذ نفسًا عميقًا...

تفكر:

«إما الآن وإلا فلا»

تقولها لنفسها مستجمعةً قواها..

تعيد فتح حقيبتها مخرجةً الهاتف من بطنها، تفتح صفحة والدها، تدخل الدردشة الخاصة لتكتب...

- مرحبًا

تضغط على زر الإرسال..

تغلق هاتفها وتغمض عينيها..

فجأة!!

رن هاتفها رنة قصيرة معلنًا بذلك قدوم رسالة..

ارتعشت أطراف جسمها فجأة واتَّسعت عيناها وبدأ قلبها بالخفقان عندما رأت اسم المُرسل..

أمجد..

- أهلًا؟!

دخلت إلى الدردشة، رأت الدائرة الخضراء بجانب اسمه، هو متصل الآن..

- كيف حالك؟!

«جارٍ الكتابة» الكلمتان اللتان جعلتا معدة وهج تعتصر من شدَّة التوتر وكادتا أن تصيباها بسكته قلبية..

- بخير، من أنتِ؟!

- أنا وهج

- المعذرة، لكني لا أعرف أحدًا بهذا الاسم

شعرت بالدوار قليلًا ونبضات قلبها بدأت بالتسارع أكثر..

سال الدمع من عينيها عندما صرخت بصوتٍ عالٍ ما كانت تكتبه له:

- أنا.. وهج.. ابنتك.

***

كانت الساعة تقترب إلى الثامنة مساءً عند دخول أمجد منزله، عاد مشتت الذهن متبعثرًا بين الأفكار، جلس في غرفة المعيشة واضعًا كفي يديه على وجهه، انتبهت تينا لقدومه والتي كانت تنزل السلالم، أسرعت بالنزول مُتجهةً إلى غرفة المعيشة..

- لماذا تأخرت في عودتك من العمل إلى هذا الوقت يا أمجد؟! ولماذا أغلقت هاتفك؟! أين كنت؟! كنت قلقة عليك يا حبيبي.

رفع أمجد رأسه ليتأمل في ملامح زوجته التي أرهقها الخوف والقلق، لكنه ظل صامتًا..

- أمجد!! ما الخطب؟! لماذا أنت مهموم هكذا؟!

زفر أخيرًا زفرة طويلة ثم سألها والحزن في صوته:

- هل لنا أن نصلح أخطاء الماضي؟! هل نستطيع التكفير عن ذنوب قد اقترفناها بسبب طيشنا أو جهلنا أو حتى بسبب خوفنا؟! أم نكتفي بطلب الغفران من الرب؟!

عقدت تينا حاجبيها مستغربةً من سؤال زوجها:

- إن كان الخطأ يمكن إصلاحه فلم لا نصلحه؟!

- بسبب الخوف، خوفنا من مواجهة أخطائنا التي ربما قد تكون وصمة عار على جبيننا، لذا نتجنبها ونشيح النظر عنها، لكننا في قرارة أنفسنا نريد أن نضع حلًا لهذه الأخطاء.

- لا تخف من خطأ قد اقترفته فجميعنا نخطى، لكن المخطئ الحقيقي هو الذي يعود لفعل الخطأ ذاته مرة أخرى، بل هو مجرم لأنه أجرم في حق نفسه، وربما في حق غيره.

سكتت قليلًا ثم أكملت:

- ما الذي يشغل تفكيرك إلى هذا الحد؟! أخبرني يا عزيزي ربما أستطيع مساعدتك.

- أحتاج إلى مراجعة نفسي وتعديل الكثير من الأمور، لقد ظلمت أحدهم، كيف للمرء أن يظلم أحدهم ثم يتناسى ذلك بكل سهولة، ما ذنب هذا المظلوم! من سينسيه هذا الظلم! كيف سيغفر لمن ظلمه؟!

- ظلمت من؟!

لم ينبس ببنت شفة..

- حسنًا لن أضغط عليك حبيبي، لكن ثق تمامًا بأني سأكون إلى جانبك في أي خطوة تخطوها وسأساعدك.

عانق زوجته بِشدَّة وظلَّ صامتًا، ثم سأل:

- أين هي تالين؟! لا أسمع صوتها.

- خارج المنزل، مدعوة لتناول العشاء مع إحدى صديقاتها.

- مع إيميلي؟!

- لا لا، تقول بأن اسمها صوفيا وهي تدرس معها في الجامعة.

- ما اسم المطعم؟!

- آآه نسيت ماذا كان اسمه، لقد كان الاسم طويلًا لكنه أحد تلك المطاعم العالمية التي افتتحت مؤخرًا في المنطقة.

❋❋❋

في تلك الأوقات..

ترجلت تالين من سيارة الأجرة لتدخل أحد المطاعم الإيطالية الراقية، كانت أنيقة وبسيطة في لبسها، فستان نيلي قصير، أقراط ذهبية ناعمة، قلادة بسيطة بحجر أزرق، في إصبعها خاتم كلاسيكي من الكريستال الأزرق، مُنتعلةً كعبًا ذهبيًّا عاليًا..

أخرجت هاتفها لتبدأ بالمراسلة...

- أي رجل فيهم أنت؟

- أوسمهم بلا شك

- وداعًا سأعود إلى المنزل

- انتظري انتظري كنت أمازحك يا ديفا، أنا أجلس بالقرب من النافذة عند طاولة لشخصين، ها أنا أرفع يدي.

بدأ قلب تالين بالخفقان عندما رأت تلك اليد ترتفع بالهواء، تقدمت ببطء إلى تلك الطاولة التي يجلس خلفها شاب وسيم يرتدي قميصًا خردليًّا بياقة صينية وجينز داكنًا مائلًا للسواد وفي معصمه ساعة بنية من ماركة آرمني، كان نحيل الجسم طويل القامة ذا بشرة حنطية وعينين عسليتين، شعر أسود قصير مُسرَّح للأعلى ولحية مهذبة، وقفت أمامه مرتبكة تمدُّ يدها...

- مرحبا يزن، أنا ديفا ارتسمت ابتسامة صغيرة على ثغرها لتكمل:

- اسمي تالين

اتَّسعت عينا يزن فور رؤيته للفتاة الشقراء التي تقف أمامه، كانت جميلة وجذابة، وقف ليصافحها والتوتر قد بدأ يظهر على ملامح وجهه...

- إذًا اسمك هو تالين، مرحبا تالين ثم قبَّلَ يدها بهدوء مما جعل تالين تشعر بالخجل، ظلَّت صامتة ثم وضعت يدها اليسرى على مكان قلبها لتستمع إلى دقاته المضطربة..

- يزن بدأت أشعر بالتوتر

أمسك يديها بكلتا يديه ثم نظر إلى عينيها قائلًا:

- لا تقلقي با تالين إنها فقط رهبة اللقاء الأول التي جعلتكِ تتوترين هكذا، سيزول هذا التوتر بعد دقائق أعدك.

سحب الكرسي المقابل له إلى الخلف، طلب من تالين الجلوس، جلس مقابلًا لها، أخذ كلٌّ منهما يتأمَّل ملامح الآخر بصمت، إلى أن كسر يزن ذلك الصمت:

- أنتِ أجمل من الرسمة التي رسمتها لك في مخيلتي

- شكرًا لك على هذا الإطراء، أنت وسيم أيضًا. قالت بخجل وهي تداعب خصلات شعرها

- إذًا ها هي تالين الرقيقة تجلس أمامي أخيرًا

قاطعهما النادل ليقدِّم لهما قائمة الطعام...

- المعذرة، تفضلي سيدتي، تفضل سيدي

بعد أن ألقيا نظرة على القائمة، سألت تالين:

- ماذا تحب أن تطلب؟

- ما رأيكِ أن نبدأ بطبق الريزوتو بالكريمة والدجاج، كطبق مشترك

- جميل، وماذا أيضًا؟

- إنه دورك، ماذا تفضلين؟

- ربما بيني أرابياتا باستا، باقي المائدة على ذوقك. قالتها مبتسمة له

ابتسم يزن لابتسامتها التي جعلته يشعر بالدفء حينها، نادى النادل ليعطيه الطلب...

- نريد طبق الريزوتو بالكريمة والدجاج، بيني أرابياتا باستا، طبق الفيتوتشيني بالكريمة، قطعتين من حلى التيراميسو، قدحًا من النبيذ الأحمر.

التفت سائلًا تالين:

- ماذا تشربين؟

عضَّت على شفتها مُتردِّدةً ما إذا كانت ستأخذ النبيذ أم شيئًا آخر، أجابت أخيرًا:

- مثلك يا يزن

- حسنًا، اجعلهما قدحين من فضلك، شكرًا لك

أخذ النادل قائمتي الطعام بعد أن أنهى ما كتبه من طلبات..

فجأة ضحكت تالين، سألها يزن مستغربًا:

- ما المضحك؟

- أتعرف أني قد كذبت على أمي بسببك! لقد أخبرتها بأنني سأتناول العشاء مع صديقة لي تدعى صوفيا

- ويفترض أن أكون أنا صوفيا. قالها بعد أن ضحك

- بالضبط، أنت هي صوفيا. أكملت ضحكها

وضع يده على يدها وأخذ يتأمَّل في عينيها..

- أنا الغريق في بحر عينيكِ والأمواج تلطمني، متى تخلصينني من تعاسة الغرق إلى نعيم حضنك، أنا الظمآن في صحرائك والشمس تحرقني، ألا أجد بين شفتيك ما يرويني؟!

ابتلعت ريقها:

- أنا السجينة في قصر قلبك مدللة، أرجوك ارفق بحالي من بطش حبك فإن قلبي مرهف

سكتت برهة ثم أكملت:

- أنت نجم متلألئ في سمائي المعتمة

أتى النادل بالقدحين لهما.. ارتشف يزن رشفة صغيرة ثم قال على استحياء:

- لا أعلم ماذا أقول، أنا حقًّا محظوظ بمعرفتك يا تالين، فتاة مثقفة، جميلة وفاتنة، رقيقة ولطيفة، أعترف بأن روحي قد تعلَّقت وأن قلبي أصبح ملكًا لك.

أطبق الصمت عليها، لا تعرف بماذا تجيب، نبضات قلبها مضطربة، تسأل نفسها أهي متوترة فقط أم أنها هي الأخرى تميل له، زفرت أخيرًا زفرة طويلة ثم أجابت بعد أن استجمعت قواها:

- يزن، قبل أن أكتشف وسامتك، تعرفت على قلبك، على شخصيتك وأسلوبك في الحوار، اهتماماتك، أنت حقًّا شخص رائع وتستحق الأفضل دائمًا، بالنسبة لي أشعر بالخوف قليلًا، أنا لم أحب رجلًا في حياتي، أنا فقط أحببت أبي وبيتر، ذلك الأخ الذي لا أستطيع الاستغناء عنه، لم أتخيَّل نفسي يومًا واقعة في الحب، نعم أنا منجذبة لك، نعم أنا أحب الحديث معك، لكني خائفة.

- من ماذا يا عزيزتي؟

- من الحب نفسه، خائفة أن أتعلَّق بك أكثر فلا أجدك أمامي يومًا، خائفة أن أهبك قلبي فتخذله وتهجره، خائفة أن تحب غيري وتستنزف مشاعري

تأملت في وجه يزن قليلًا ثم اختتمت جملتها:

- أنا خائفة منك

عاد النادل إلى طاولتهما لكن هذه المرة برفقة الطعام...

- تفضلا، استمتعا بوجبتكما، نادياني إن احتجتما شيئًا، بالهناءة والشفاء

بدأ يزن يُقلِّب طبق الفيتوتشيني بينما كان يفكر في آخر جملة قالتها تالين، بينما ظلَّت الأخرى صامتة..

- أتعلمين، لأول مرة في حياتي يتعلَّق قلبي بفتاة هكذا، لدرجة أني أدمن التحدث إليك عبر تطبيق كن لي، كنت أنتظر طوال يومي أي كلمة منك، كان الشعور مختلفًا، الانتظار متعب وقد يقتل أحيانًا، لكن انتظاركِ كان ممتعًا ومسليًّا، لم يتعبني بل جعلني أتمسك بك أكثر، وفي كل مرة أحادثك فيها أبتسم لا إراديًّا، لا أريد أن ينتهي الحديث معك، وفي كل ليلة أخلد فيها إلى النوم تظهرين في أحلامي

نظر إليها بعينين واثقتين قائلًا:

- نعم يا آنستي لقد ملكتِ قلبي

- أحقا تحبني إلى هذا الحد يا يزن؟

- أكثر بكثير، أنا عاشق لك، لا بل أنا هائم بك

سحرت كلمات يزن و تعابير وجهه الوسيم تالين

كانت تفكر وقلبها ما زال مضطربًا...

فكرت أكثر..

إلى أن همست مبتسمة له قائلةً:

- يزن، أريدك أن تحبني وحدي، أريدك أن تكون لي وحدي

أجابها وعيناه تلألأتا بالدموع:

- وأنا لك يا أميرة قلبي وسلطانة عرشي

قالت على استحياء:

- أحببتك قبل أن نلتقي، وعشقتك بعد اللقاء

***

دلفت تالين إلى المنزل وأغلقت الباب خلفها، كان والدها يشاهد التلفاز بينما نامت والدتها بين أحضانه، تأملت مبتسمة في منظر والديها الجميل واللطيف، كأنهما لوحة قد رُسِمت من قبل أحد الفنانين بعنوان «بساطة الحب»، تخيَّلت نفسها مستلقية بين أحضان يزن، شعر والدها بوجودها فالتفت خلفه ليراها تقف منسجمة في النظر إليهما، تبادلا الابتسامات قبل أن ترتمي بنفسها بين أحضانه هي الأخرى، أخذ يداعب خصلات شعرها الأشقر، سألها كيف كان العشاء مع صديقتها، طبع قبلة دافئة على جبينها، قبلت يده مستأذنة للذهاب إلى حجرتها لتخلد إلى النوم، دخلت حجرتها وبدلت ملابسها استعدادًا للنوم، وضعت رأسها على وسادتها وابتسمت حينما تذكرت لحظة عناقها بيزن، تلك اللحظة التي لم تتخيَّل يومًا أنها ستتجرأ لتفعلها مع أحدهم غير بيتر...

حينما كان يقف يزن وتالين في الخارج أمام الباب الرئيس للمطعم، شكرته على دعوته لها للعشاء، سألها ما إن كانت تملك سيارة أم لا، وعندما كانت إجابتها لا طلب منها أن يوصلها لكنها رفضت في بادئ الأمر وبعد إصراره وبكثرة إلحاحه وافقت على خجل، في الطريق ظلَّت الحوارات الدافئة هي

المسيطرة إلى أن وصلا للمنزل، شكرته على إيصاله لها ثم ترجَّلت من السيارة، ترجَّل يزن ليلحق بها قبل أن تدلف إلى منزلها..

- تالين. ناداها

توقفت لتلتفت بهدوء..

ما أن التفتت حتى سحبها من يدها وجذبها إليه ليعانقها بشدة، كان العناق مفاجأة كبيرة لها، شعرت بأصابع يده تتخلخل بين خصلات شعرها، لكن كان هناك شعور غريب في هذا العناق شعور لم تستطع تفسيره، شعور دافئ يجذبها لمعانقة يزن، حنت رأسها إلى صدره وأغمضت عينيها، وضعت يدها على قلبه واستشعرت تلك النبضات التي كانت سريعة ومضطربة، كانت رائحة عطره النفاذة تجذبها أكثر، شعرت بارتياح غير مألوف..

قمر يضيء عتمة الليل، هدوء ممزوج بصوت غناء حشرة صرصار الليل، نسمة هواء باردة وناعمة تداعب خصلات شعريهما...

كانت لحظة شاعرية..

لكن في اللحظة ذاتها..

كانت هناك عين ثالثة تراقبهما من بعيد..

عين تنظر إليهما في الخفاء..

أحرقها ذلك المنظر ليتسبب بذرف الدمع خلسة..

حتى انفطر القلب حزنًا من هول ما رأته العين ولم تستطع تصديقه..

شعر بغصة بحلقه..

بضيق في التنفس..

وضع يده على صدره...

كان يقف هناك...

في الطابق العلوي من منزله..

أمام نافذة حجرته، مختبئًا خلف ستارها..

***

(أحتاج معجزة)

في ساعة متأخرة من اليوم..

هدوء يعم أرجاء المنزل..

لا ضجيج..

ولا حتى همس يسمع..

فقط صوت وقع أقدام..

لم يكن أحد في المنزل حينها سوى وهج، فوالدتها كانت في زيارة لإحدى صديقاتها في المنطقة بغرض ممارسة هوايتهن؛ «اغتياب نساء الحي»، وكان زوج والدتها في إحدى الحانات القريبة يتجرع العرق ويلعب الورق مع رفاقه المخمورين كعادته..

كانت أجمل أوقات وهج عندما تصبح وحيدة في المنزل، لا طلبات أو أوامر، لا حوارات تجرح قلبها، لا صفعات تلطم خدها من والدتها، لا ضغوطات نفسية، فقط الراحة، الحرية، الهدوء..

ألقت بجسدها على أريكتها الأرجوانية المفضلة مسترخية أمام شاشة التلفاز، تنقر على شاشة هاتفها، لا يوجد من تحادثه في هذا الوقت، ولا يوجد حبيب يهتم لأمرها كبعض الفتيات، بدأت بتصفح صفحة تالين على أحد تطبيقات التواصل الاجتماعي والتي وجدتها عن طريق صفحة والدها، تتأمل في ملامح أختها، تكبر الصورة أكثر لتنظر إلى تينك العينين الواسعتين اللتين تشبهان عينيها، إلى خصلات شعرها الأشقر الداكن والكثيف، إلى ابتسامتها التي تبعث السعادة لكل من يراها، إلى أناقتها ورشاقتها، قرأت

اهتماماتها المذكورة في أعلى الصفحة، ظلَّت تُحدِّق في إحدى الصور التي كانت فيها تالين مشغولة بربط ربطة عنق لأمجد بينما كان الآخر ينظر إلى عيني ابنته بابتسامة عريضة، بدأت تتخيَّل نفسها تربط تلك الربطة بدلًا من أختها، سرحت في ابتسامة والدها العريضة التي التمست فيها الحنان المفقود الذي لطالما كانت تبحث عنه وتطلبه من والدتها، إلى أن انتفض جسدها ودبت فيه رعشة أيقظتها من شرودها ثم أغلقت هاتفها..

قرقرت معدتها فقررت الذهاب إلى المطبخ لتُسكت جوعها، فتحت الثلاجة لترى ما فيها لكنها وكالعادة كانت شبه خالية. أخذت رغيف خبز و سخنته قليلًا، دهنت عليه القليل من الجبن السائل ثم لفته عدة لفات، قامت بغلي الماء قليلًا ثم فتحت أحد الأدراج لتخرج كوبها المنقط والمفضل، وضعت قليلًا من السكر داخل الكوب ومعه ظرف شاي، ثم سكبت الماء الساخن وأخذت تحرك وتذوب السكر مستعملةً ملعقة صغيرة، جلست إلى طاولة الطعام في غرفة المعيشة تأكل وتحتسي الشاي، إلى أن انتهت..

عادت وهج إلى المطبخ لتغسل كوبها وجميع ما استخدمته، في تلك الأثناء دخل زوج والدتها المنزل لكنها لم تلحظ قدومه، كان ثملًا يسير بترنح، دخل المطبخ ورأى وهج بسرحانها المعتاد منشغلةً بغسل كوبها..

اقترب منها قليلًا...

اقترب أكثر..

خلفها مباشرة...

وفجأة!

سحبها من خصرها بقوة وجذبها إلى جسده العملاق..

- تعالي إليَّ يا حلوة. قالها بلسان ثقيل

اقشعر جسدها فجأة، لم تدرك بسرعة ما الذي حصل للتو!

- ما الذي تفعله أيها السكير المخبول؟! ابتعد عني!!

صرخت بقوة محاوِلةً الإفلات من قبضته لكنه كان متشبثًا بها قوة، بدأ يحرك كلتا يديه متحسسًا جسدها..

- ابتعد أيها المقرف!!

تحاول الخلاص منه..

- لا تكوني أنانية يا وهج، دعيني أتسلَّ قليلًا بجسدك الجميل هذا، قبل أن تأتي أمك العجوز.

كانت يده اليسرى تضغط على ثديها، بينما كانت ذراعه اليمني محيطة بخصرها مما جعلها غير قادرة على التحرُّر من قبضته..

ظلَّت تصرخ بصوتٍ مرتفع:

- ابتعد أنت تؤلمني.

أطبق على فمها بكف يده اليسرى خوفًا من أن يسمع صراخها أحد، تشبث بخصرها بحزم ليقترب بجسده المترهل منها أكثر..

تحاول الخلاص..

لكن بلا فائدة..

تحاول الصراخ..

لكن بلا مجيب..

تشعر بكرشه التي أصبحت ملاصقة لظهرها..

كانت ذراعه الغليظة مسيطرةً على حركتها..

وفجأة!

عضَّت بكل قوتها اليد التي كانت مطبقة على فمها، كذئبة غاضبة غرزت أنيابها بعنف على فريستها، عندها تركها زوج والدتها ليصرخ متألمًا:

- ما الذي فعلته بيدي أيتها الكلبة المسعورة!

لم تتوقف لتجيبه، بل أدارت جسدها لتقابله و هجمت عليه مستعينة بأظافرها كمخالب لتخمش وجهه اللعين..

- آآه جرحتِ عيني يا سافلة. صرخ ممسكًا بعينه

هجم عليها بعنف، لكنها استطاعت مراوغته لتدفعه بعيدًا عنها، ركضت لتصعد السلالم بسرعة، كان خلفها يركض ويلاحقها..

اقترب منها..

اقترب أكثر..

تمكَّنت من دخول حجرتها..

أرادت أن تغلق الباب خلفها، لكنه دفع الباب بقوة بجسده العملاق، مما أدى إلى سقوط وهج أرضًا..

ها أنتِ ذي يا حلوتي الشرسة. قالها بابتسامة عريضة أبرزت أسنانه الصفراء.

أصيبت بنوبة هستيريا حادة، تنتحب وتصرخ بشدة:

- اتركني، ابتعد عني أيها السكير المخبول، لا تقترب مني، مغتصب النساء! النجدة! ساعدوني أرجوكم!

ركضت إلى زاوية غرفتها فوق سريرها متكوِّرةً محتميةً بوسادتها كآخر أمل لها..

يقترب منها وهو يفك أزرار قميصه...

يقترب أكثر وهو يخلع بنطاله...

دبَّ الرعب في قلبها من هول المشهد...

نبضات قلبها باتت مسموعة..

صراخ مختلط بنشيج..

دموع منهمرة ممزوجة برجاءات:

- أرجوك اتركني وشأني، أتوسل إليك، لن أخبر أحدًا، أرجوك دعني

لم يرق قلبه بل انقض عليها مستلقيًا فوق جسدها، رفع ذراعيها وكتفها بيده اليسرى، أخذ يقبل وجهها وشفتيها بهمجية، بينما هي تشيح بوجهها عنه يمنة ويسرة، وضع يده على مؤخرتها متحسسًا، أراد أن يخلع بنطالها بالقوة، لكنها استمرَّت في محاربة محاولته الخبيثة والتصدي لها..

- هيا يا وهج استسلمي، فلن يخلصك أحد من قبضتي، تقبلي هذه الحقيقة

زاد الرعب أكثر بعد تلك الجملة..

باتت أطرافها ترتعش خوفًا...

بمن تستنجد..

من سيخلصها من هذا الخرتيت السكير؟!

هل حقًّا هي النهاية!

نهاية وهج!

أغمضت عينيها مستسلمة لما سيحصل...

ارتخت يدها..

سلمته نفسها..

لكن!

وفجأة!

وفي أسوأ لحظات حياتها!

تذكَّرت صورة والدها، أختها الصغيرة، محادثة والدها الأخيرة..

أنا لدي عائلة تنتظرني، لدي حياة تنتظرني. قالتها في نفسها

لقد وهجت وهج أخيرًا من الداخل..

- كككففففى

أفلتت يدها منه والتقطت مصباحًا كان قريبًا من سريرها لتشج رأسه به بقوة..

دوى صوت صراخه في أرجاء المنزل متألمًا، قام عن جسدها واضعًا يده على رأسه مُحاوِلًا إيقاف الدماء التي باتت تسيل منه مغطيةً وجهه...

قفزت وهج من السرير وراحت تركض لخارج حجرتها، إلى أسفل السلالم، لتجدها تقف أمامها:

- أمي أمي أرجوك ساعديني أرجوك احميني. تصرخ لاهثة

- ماذا هناك يا فتاة؟! ولماذا زوجي يصرخ هكذا؟! ما الذي حدث في الأعلى؟! ماذا فعلتِ به؟! تكلمي! تسألها وهي تهزُّ كتف وهج

اتَّسعت عينا وهج فجأة:

- أنا!! أنا لم أفعل شيئًا!! زوجك تهجم علي وأراد اغتصابي، لو لم أحم نفسي منه لكان قد فعل فعلته بتلذذ.

صفعتها والدتها مزمجرة:

- اصمتي يا كاذبة، يا خبيثة، يا حقيرة، يا وضيعة، أنتِ من أغريته بمفاتنك، ولأنك أجمل مني أردته لك، كي يهجرني أنا، وبذلك تكونين قد انتقمت مني على ما فعلته بك، كيف فكرت بخبث هكذا؟! أخبريني، أردت التخلص مني لكن زوجي كان لكِ بالمرصاد، محبطًا خطتك القبيحة.

بكت وهج أمام ما سمعته، نزلت لتقبل أقدام والدتها برجاء:

- أمي أرجوك كوني بصفي لمرة في العمر، أمي لا تكوني بهذه القسوة، لا تكوني بلا مشاعر أمومة بسبب رجل هجرك فيكون العذاب من نصيبي أنا، هي أحميني منه، خذي بثأري منه، كوني بصفي.

انتحبت بهستيريا، ثم صاحت:

- كوني أمًّا لمرة واحدة

عندها قامت والدتها برفسها على بطنها بقوة، ثم شدت شعرها لترفعها من على الأرض لتصفعها مرة أخرى...

- أنا أكرهكِ منذ يوم ولادتك وحتى اليوم، أنتِ الشؤم الذي كـان ملازمًا

لحياتي، لكني جعلتك تعيشين معي ولم أتركك في دور الأيتام كما يفعل البعض، وحتى إن كان ما قلته صحيحًا من أن زوجي قد اعتدى عليك، ماذا تريدين مني أن أفعل؟! هو من يصرف علي، بدونه سأموت من الجوع.

- أمي أنا سأصرف على كلتينا، لكن كوني بصفي أتوسل إليك

- ألم تفهمي بعد أن أكرهكِ ولا أطيق العيش معك، لا أريد شيئًا منك، أنتِ خطيئة ارتكبتها وأُعاقب عليها كل يوم.

كفكفت وهج دموعها، متلعثمة لا تعرف ماذا تقول:

- ماذا أفعل إذًا يا أمي؟!

- لا تناديني بأمي بعد اليوم، اخرجي من منزلي، لا أريد رؤيتك في حياتي

- أين أذهب؟! سألت والصدمة على وجهها

- لا أعلم، لكنك ستخرجين من منزلي والآن، فأنا قد ضقت ذرعًا بك

ارتعش جسدها عندما رأت زوج والدتها ينزل السلالم والدماء تغطي رأسه..

- اخرجي! صرخت والدتها مشيرة بسبابتها إلى الباب

بسرعة ذهبت لتجمع حاجياتها في حقيبة واحدة..

حقيبة لا تعرف أين ستستقر بها..

تبكي بحرقة..

تمنَّت لو تأتي والدتها من خلفها لتحضنها وتطلب منها البقاء..

نظرت إلى حجرتها آخر نظرة..

ثم تأمَّلت ملامح والدتها لآخر مرة..

أغلقت باب المنزل خلفها معلنةً رحيلها الأبدي منه..

كان المطر قد بدأ بالانهمار بشدة..

السماء تبكي حزينة هذه الليلة..

تنوح برعود مجلجلة..

تسير وهج وحيدة بائسة مرهقة تشهق بالبكاء، لا تعلم إلى أين تذهب في هذا الطقس الماطر، تفكر كيف حال بها الحال إلى ما هي عليه الآن، لا توجد فنادق أو غرف للإيجار قريبة، لا وجود لسيارات الأجرة أيضًا في مثل هذه الأوقات، فقط كانت هناك حديقة صغيرة عامة لسكان الحي، ألقت بنفسها تحت إحدى شجيرات الحديقة، تستمر السماء في البكاء وتستمر هي في بكائها دون توقف حتى غالبها النعاس، نامت كمشردة خائفة بثياب مُتَّسخة ومبللة تحت المطر تجهل مصيرها..

هاتف بدأ بالرنين..

يرن ويرن...

استيقظت وهج من نومها، تسمع صوت رنين هاتف بالقرب منها...

إنه هاتفها...

من المتصل؟!

وفي ساعة متأخرة جدًّا!!

أخرجت هاتفها من الحقيبة..

رقم غريب..

بل رقم دولي!!

من يكون؟!

- ألوو؟! أجابت بتردد

- وهج!

- نعم، من معي؟!

- أنا..

لا يمكن هذا!! تقول في نفسها مستحيل!!

لماذا!!

والآن!!

شعرت بالدوار فجأة..

لا تستطيع النهوض على قدميها..

نبضات قلبها مضطربة خوفًا من تلك الكلمة التي قيلت للتو...

كأن العالم كله قد توقف عن الحركة فجأة دونها..

تلعثم لسانها، شعرت بتوتر فظيع، بدأت تتصبب عرقًا...

- ألوو وهج؟!

- ماذا.. ماذا قلت للتو؟!

- أنا أمجد والدك يا ابنتي

ذلك الصوت.. تلك الكلمة.. في هذه اللحظة.. كانت الخلاص.

بكت بحرقة..

- وهج! ما بك يا طفلتي؟!

بكت أكثر حتى شهقت، ثم صاحت:

- أأأأأأبببببيي، أأأأأأبببببيي، أأأأأأبببببيي.

- أنا معكِ يا ابنتي

- أبي أنا أحتاجك كثيرًا، أبي أريدك بجانبي، أبي لا تتركني كما فعلت هي. استمرت في البكاء

- من هي؟!

- أمي، لقد طردتني من المنزل، أنا أنام الآن في حديقة عامة، والسبب يعود لأنني دافعت عن شرفي

- وهج ماذا تقصدين؟! صرخ سائلًا.

- زوج أمي. سكتت

- مابه؟!

- حاول اغتصابي

توقف المطر عن الانهمار، ثم صمتٌ موحش...

***

أريد الاختباء..

الاختباء فقط..

من كل ما أشعر به..

أريد الاختباء بين ذراعي أحدهم...

لا يهم إن كان يعرفني أم لا..

فأنا أريد الاختباء فقط..

من شعور صار يستنزف قوتي..

فخارجي يبدو قويًّا صلبًا...

لكن داخلي دمار وشتات..

فهل أجد من يخبئني؟!

فأنا أريد الاختباء فقط..

وهج

***

بعد مرور عِدَّة أيام..

سماء صافية...

شمس دافئة..

فراشات تطير هنا وهناك تملأ المكان...

تسير بمرح بين السهول الخضراء تغني مقطوعتها المفضلة مرارًا وتكرارًا...

« Heart beats fast
Colors and promises
How to be brave
How can I love when I'm afraid to fall
But watching you stand alone
All of my doubt suddenly goes away somehow
One step closer
I have died every day waiting for you
Darling, don't be afraid
I have loved you for a thousand years
I'll love you for a thousand more »

تلتفت خلفها لتجد الرجل الذي أسر قلبها بحبه العميق يبادلها الابتسامة...

يقترب منها أكثر ...

يداعب خصلات شعرها الحريري، ينظر في عينيها الواسعتين...

طبع قبلة دافئة على جبينها..

احمرت وجنتاها..

- أتحبني إلى هذا الحد يا يزن؟!

- أكثر مما تتخيلين يا أميرة قلبي

قطف وردة حمراء ليزين بها شعرها الأشقر..

- أحبك. تقولها بخجل

- أثبتي لي ذلك

- وكيف أثبت لك هذا؟!

- قبليني. يجيبها بابتسامة خبيثة

اقتربت منه...

داعبت ملامح وجهه..

قربت شفتيها لتقبله...

القلب ينبض بسرعة...

أغمضت عينيها..

اقتربت أكثر..

- تااااليين. صوت يناديها من بعيد

لم يشتتها ذلك الصوت، بل لم تكترث له حتى...

- تاااالين. كان الصوت أقرب من ذي قبل

فتحت عينيها ببطء شديد لتجد والدتها تقف عند رأس السرير تهز كتفها...

- استيقظي يا كسول هيا فاليوم لدينا الكثير من الأمور التي يجب علينا إنجازها

قطبت تالين حاجبيها مستغربة:

- ماذا هناك يا أمي؟! أعطيني وقتًا إضافِيًّا، فقط لأكمل حلمي الجميل أرجوكِ

- لا مزيد من الكسل يا تالين هيا استيقظي فالليلة سيزورنا بيتر وبرفقته جودي هل نسيتِ؟! اليوم هو عطلة نهاية الأسبوع

سألت متثائبةً:

- والقبلة التي كنت سأطبعها؟!

- أي قبلة تقصدين؟!

أجابت بإحباط:

- لا شيء، حسنًا لقد استيقظت وانتهى الأمر، سأكون بالأسفل بعد دقائق

- حسنًا، لا تتأخري.

خرجت تينا من الغرفة مُغلقةً الباب خلفها، ألقت تالين نظرة على هاتفها، ابتسمت لا إراديًا، فقد وجدت رسالة صباحية تنتظرها من الشخص المطلوب..

«ها قد أشرقت شمس الصباح مخبرة العصافير بقدوم موعد غنائها على

خشبة الأشجار باسمك الرقيق حبيبتي تالين..

صباح ملؤه حب وسعادة...

صباح الخير يا سجينة قلبي»

نزلت تالين إلى الطابق السفلي لتساعد تينا في التجهيز لحفلة الشواء التي ستقام الليلة، دخل أمجد المنزل حاملًا معه مستلزمات الشواء، من لحوم وخضراوات وأسياخ شواء وغيرها، لكن تعابير وجهه كانت مختلفة ولا تنم عن الارتياح..

في المساء...

رن الجرس مُعلنًا وصول الزوار...

كانت إيميلي أول الواصلين، دخلت والحماس واضح على ملامحها، ألقت التحية ثم هجمت مباشرة على تالين:

- هيا أخبريني عن يزن بسرعة فأنا متشوقة لسماع آخر المستجدات

وضعت تالين سبابتها على فمها بسرعة قبل أن ينتبه والداها لما قالته إيميلي:

- أششش اخفضى صوتك، سأخبرك لكن ليس الآن

- كيف حالك إيميلي؟! سألت تينا

- بخير يا خالتي. بالمناسبة شكرًا لكم على هذه الدعوة اللطيفة

- العفو يا عزيزتي، فأنتِ فرد من العائلة، وبمثابة ابنتي

- آآه يا خالتي تينا، كلامك كالعادة يشرح الصدر

التفتت إيميلي لتالين:

- هيا تحدثي أيتها العاشقة

- يا إلهي كم أنت عنيدة يا إيميلي، حسنًا تعالي نصعد لغرفتي، فهناك الكثير مما سأرويه لكِ

عند صعودهما السلالم، سأل أمجد:

- إلى أين يا فتاتان؟! ألن تساعدانا في الشواء؟!

- بالطبع سنساعدك يا أبي، لكن بيتر لم يأتِ بعد لنبدأ الشواء، سنعود بعد قليل

بعد نصف ساعة، رنَّ الجرس..

فتحت تينا الباب، كان بيتر وجودي قد قدما معًا..

- أهلًا أهلًا ببيتر ابني، أهلًا بكما جميعًا، تفضلا بالدخول

- أهلًا بك يا خالتي، هذه هي صديقتي الملازم جودي

صافحت تينا جودي مُرحبةً:

- أهلًا بكِ أيتها الملازم جودي، سعيدة حقًّا بالتَّعرُّف عليكِ، فقد حدثني بيتر وتالين عنكِ كثيرًا.

- شرف لي حقًّا التعرُّف عليكِ سيدة تينا، أشكرك على هذه الدعوة اللطيفة منك، وأرجوكِ ناديني جودي فقط

عرَّفَ بيتر أمجد بجودي، نادت تينا على تالين وإيميلي، ارتبك بيتر عندما رأى تالين قادمة نحوه لتعانقه كعادتها:

- كيف حالك سيد حلول رائحة عطرك جميلة بالمناسبة

- أهلًا مشاكل، شكرًا لك على هذا الإطراء الجميل

- جودي، سعيدة بقدومك، اشتقت لك عزيزتي، بالمناسبة هذه صديقتي المقربة إيميلي.

ابتسمت جودي لهما..

- وأنا أيضًا يا تالين اشتقت لك. أهلًا إيميلي كيف حالك، أنا جودي صديقة بيتر.

ثم أضافت مُمازحةً:

- أعتقد يا إيميلي أننا ستتوافق كثيرًا أنا وأنتِ، فنحن نعد قاسمًا مشتركًا بين هاذين الجميلين، مشاكل وحلول.

ضحكت كل من تالين وإيميلي على ما قالته جودي بينما بيتر اكتفى بابتسامة باهتة..

نظرت تالين في عيني بيتر ثم همست في أذنه:

- بيتر، انظر إلى معصمي، فعلتها البارحة

عندها رفعت كم قميصها الأيمن قليلًا على استحياء لتبرز شيئًا فاجأه مما جعل ضحكته تعود محلها، فقد لمح وشمًا باسم حلول..

- هيا يا شباب دعونا نخرج إلى حديقة المنزل الخلفية. قالها أمجد بحماس

هيا يا رفاق لنخرج إلى الحديقة، فأبي من حماسه الزائد كان سيبدأ بالشواء قبل وصولكم

تعالت ضحكات الجميع..

- إن الفرحة تغمرني جدًّا هذا المساء يا أبنائي، فابتساماتكم وضحكاتكم هذه هي كل ما أتمنى رؤيته. قالت تينا والسعادة تقفز من عينيها

لا إراديًّا احتضن كل من تالين وبيتر تينا بعد جملتها الأخيرة..

بدأ الجميع بالمشاركة في تجهيز مستلزمات الشواء...

الرجلان يشعلان النار استعدادًا للشواء..

النساء يقطعن الخضراوات ويجهزن أسياخ اللحم..

لاحظ أمجد الوشم الذي على معصم بيتر، التفت إلى ابنته ليراها مُستمتعةً في عملها ثم سأل بيتر:

- ما قصة هذا الوشم؟! تلعثم قليلًا ولم يعرف كيف يجيب..

- أأأ، أردنا أن نفعل شيئًا جنونِيًّا لذلك وضعنا ألقابنا على معصمينا.

اتَّسعت عينا أمجد فجأةً، ثم سأل مندهشًا:

- هل قامت تالين بوضع وشم على جسدها؟!

ابتلع ريقه، ثم أجاب مُصحِّحًا:

- على معصمها

- تالين أريني معصمك رجاءً. قالها وهو يقف أمامها

- لماذا يا أبي؟!

- أريد أن أرى ذلك الوشم.

تساءلت تينا وإيميلي وجودي:

- وشم؟!

نظرت تالين في عيني بيتر باحثة عن إجابة، عرف بيتر تلك نظرات جيِّدًا، نظرات مشاكل المستنجدة بحلول...

تدخل حينها بيتر ليقول:

- أريهم يا تالين جنون مراهقتنا التي لم تتغير حتى بعد بلوغنا، أعترف لكم أني طلبت من تالين أن نقوم بعمل جنوني ومضحك، لذلك قررنا أن نضع جميعنا وشومًا بألقابنا

رفعت تالين كمها مجدَّدًا مع ابتسامة خبيثة لبيتر..

- إنه لطيف جدًّا. قالت جودي

- بل رائع. قالت إيميلي

ثم اقترب بيتر ليريهم هو الآخر وشمه...

فجأة! انفجرت تينا ضحكًا مما جعل الجميع يضحكون معها..

- حقًّا ما زلتما ذينك الطفلين اللذين أعرفهما، مشاكل وحلول إذًا. استمرت تينا بالضحك

عاد كل شخص إلى ما كان يفعل، وفي لحظة سألت جودي تالين بصوتٍ منخفض لكي لا يسمعها أحد..

- أتحبينه إلى هذا الحد؟!

تعجبت من سؤالها:

- من تقصدين؟!

- بيتر يا تالين، حلول الذي وشمت اسمه على يدك

- نعم أحبه جدًّا، إلى درجة أني مستعدة بالتضحية بنفسي في سبيل حمايته، أن أكون له ظهرًا يستند عليه عند حاجته، أحبه بكل ما تعنيه كلمة حب

ابتسمت جودي:

- إذا أنتما عاشقان، حب الطفولة أصبح عشق اليوم

- لم أفهم

- دعيني أخبرك الحقيقة، في الواقع بيتر يهيم بكِ كل يوم بل كل ثانية، اعترف لي بحبه لكِ

اتَّسعت عينا تالين فجأةً وتوقفت عما كانت تفعله:

- بيتر يحبني! كعشيقة له!!

- ليس فقط كعشيقة له، بل أكثر بكثير، إنه يريد أن يتزو...

- اصمتي

استغربت جودي من ردها:

- ماذا؟!

- قلت اصمتي. أجابت بحِدَّة.

سكتت جودي لكنها لم تستوعب لم ردة الفعل هذه، بينما ظلَّت تالين تنظر إلى بيتر وضحكاته مع والدها، تنظر إليه وكأنها تحاول التعرف عليه من جديد، بدا غريبًا عليها، الغريب القريب إلى قلبها..

تُحدِّث نفسها:

- بيتر يحبني كعشيقة!! السيد حلول!! أخي الأكبر!! كيف ذلك!! ولماذا لم يخبرني!! هل هو خائف أم ماذا!!

تذكرت تلك اللحظات التي بدا فيها بيتر مُتوتِّرًا مضطربًا أمامها، كانت هناك كلمات قد سكنت شفتيه لكنها شعرت بالاستحياء وقررت عدم الخروج..

أحسَّت وكأنَّ الدنيا قد أظلمت في عينيها..

لاترى سوى سواد..

سقطت دمعة من مقلتها بصمت...

شعرت بأن الحزن قد التهمها بهدوء..

- تالين؟! ما الخطب؟ لِمَ تغيرت تعابير وجهكِ هكذا فجأة؟! سألتها جودي بصوتٍ منخفض

- لقد آذيته، أوجعته بغير قصد

- بيتر؟!

أشعر أني سأكون سببًا في حزنه، سأكون سبب آلامه القادمة

- لماذا تقولين هذا يا تالين؟!

أجابت بحزم:

- جودي، أنا أحب بيتر كثيرًا، كحب الأخت الصغرى لأخيها الأكبر، أنا بجانبه وسأظل كذلك، وأتمنى من كل قلبي أن يحب الفتاة التي تشبه قلبه

صعقت جودي لما سمعته، بينما أكملت تالين حديثها:

- بيتر لا يعرف كثيرًا من الفتيات، وبسبب أني الفتاة الوحيدة التي يعرفها جيِّدًا أعتقد أن مشاعره قد اختلطت بعضها ببعض، لأصدقك القول عندما رأيتك معه تلك الليلة اعتقدت أنكما مرتبطان فشعرت بفرح قد غمر قلبي

- لا لا، على العكس تمامًا، نحن صديقان مقربان فقط

ساد الصمت قليلًا، ثم قالت تالين:

- أنا أعيش قصة حب يا جودي مع أحدهم، لكني لم أخبر بيتر عنها، ولن أستطيع إخباره عنها بعد أن سمعت حديثك، لا أريد أن أجرح مشاعره، بيتر

إنسان لطيف وطيب القلب رقيق جدًّا من الداخل لذلك هو يستحق أن يعيش قصة حب جميلة مع فتاة تستحق أن تكون في قلبه

- لا تقلقي سأحاول شرح الأمور له دون أن أجرح قلبه

أمسكت تالين يد جودي مُتوسِّلةً:

- أرجوكِ يا جودي انتبهي لكلماتك جيِّدًا كي لا تجرح قلبه عن طريق الخطأ، ولا تتركيه وحيدًا بعد أن تُسمعيه كلماتك، أخاف عليه من نفسه، فهو لا يستحق الحزن أبدًا، أبدًا.

ربتت على كتفها مُجيبةً:

- لا تقلقي عليه طالما أني معه.

ابتسمت كلٌّ منهما للأخرى بحزن واستكملتا تجهيز الطعام بينما بدا أمجد قلقًا يفكِّر بشيء ما وينظر إلى الساعة التي في معصمه كل دقيقة..

كان المرح والسرور يملآن المنزل...

أصوات قهقهات عالية..

أطباق تُوزع..

أقداح تُرفع..

نظرات و همسات..

ابتسامات و غمزات...

انقضى الوقت سريعًا، بل ربما اللحظات السعيدة هي من تنقضي بسرعة لا الوقت، بينما لحظات الحزن، الألم، الخوف هي من تسير بذلك البطء الشديد...

بعد أن انتهى الجميع من العشاء، وقبل خروج الضيوف من المنزل، رن الجرس..

- هل نسينا أحدهم؟! سألت تينا مُلتفتةً إلى ابنتها

- لا يا أمي، سأذهب لأرى من يكون

وبعد دقيقتين عادت إليهم قاطبة حاجبها بنظرات مستغربة:

- أبي، هناك فتاة جميلة ذات شعر أسود لكنتها مختلفة قليلًا، تسأل عنك

ذهبت جميع الأنظار لاتجاه أمجد، الذي سقط منه كأس الماء الذي كان يحمله. ارتعش جسده فجأةً، بدأ يتصبب عرقًا، قدماه لا تستطيعان حمله أكثر، شعر بدوران الأرض من حوله فاستند على الطاولة القريبة منه..

- أبي ماذا بك!! صرخت تالين

- أمجد عزيزي ما الذي حصل لك؟! أسرعت تينا لتساعده

- من هي هذه الفتاة التي تريد العم أمجد في مثل هذا الوقت؟! سألت إيميلي الجميع

- سأذهب لرؤيتها. أجاب أمجد باختصار

بينما كان يسير مُتَّجهًا نحو الباب، كان الجميع يسيرون خلفه بفضول لرؤية من تكون تلك الفتاة الجميلة..

وضع يده على المقبض ثم أداره ببطء مُتردِّدًا حتى فُتِح الباب لتظهر أمامهم فتاة برفقة أمتعتها، يظهر على ملامحها الحزن والقوة في آن واحد..

كانت مرهقة متعبة..

تنظر إليهم بصمتٍ مطبق...

بل تنظر نحوه مباشرة..

إلى أعين أمجد..

- وووهج. نطقها أمجد بتردُّد وخوف

كانت هذه هي المرة الثانية التي ينطق فيها هذا الاسم...

تذكَّرَ عندما همس في أذن طفلته يوم ولادتها...

دخل المستشفى بخطوات ثابتة، إلى حجرة زوجته، وجد ابنته في جانبها، حملها وقبَّلَ جبينها ثم قال:

- طفلتي..

سميتكِ وهج، مُتمنِّيًا أن تصبح حياتك مضيئة مُشِعَّة، أن تكوني قوية كوهج الشمس ولمعتها، وهجٌ منيرٌ لمن حوله

عانقها عناقًا طويلًا وبقلب مكسور ثم أعادها إلى حجر أمها..

ثم غادر...

الآن هو يتأمَّل عينيها الناعستين بخوف، كأنه يقرأ ما بداخلها من حوارات وصرخات..

تسأل وهج نفسها:

- هل هذا وهم!! هل حقًّا أنا أمامه!! بعد تسعة وعشرين عامًا أقف أمامه فعلًا!! ماذا سأفعل الآن!! أشعر بخوف يسري بكامل جسمي، لا أستطيع التقدُّم نحوه وكأنَّ أطرافي قد تجمَّدَت في لحظة كنت أنتظرها سنوات عِدَّة، إنه أبي!! لكنه تخلى عني!! والآن ماذا يا وهج؟!

تتأمَّل وهج ملامح أختها الصغرى، تود الابتسامة لـها وأن تخبرها بأنها

تعرفها

جيِّدًا وأنها تحفظ اهتماماتها عن ظهر قلب، لكنها نسيت كل شيء بسبب الخوف الذي اجتاح قلبها، هذا هو حال الإنسان عندما تأتي اللحظة التي انتظرها كثيرًا بفارغ الصبر، ينسى جميع ما خطَّطَ لقوله، ويكتفي بالصمت كوسيلة لإخبار النفس بأنها فشلت...

نبضات قلب تصرخ ألمًا..

عينان ناعستان تمتلئان بالدمع..

يدان ترتعشان...

صوتٌ مبحوح..

مشاعر تتعارك..

روح تختنق..

تصرخ مُزمجرةً والدمع قد انهمر:

- أأأأبببيي

اختُطف لون أمجد فجأة..

شهق الجميع لما سمعوه...

وفجأة!!

شعرت وهج بدوار شديد، بدأت بالترنح يَمنةً ويسرة حتى سقطت أمامهم مغشيًّا عليها..

***

تقف وهج أمام زجاج كبير تنظر إلى الطائرات اللاتي تُحلِّق وتهبط، المكان حولها مكتظ بالمسافرين وأمتعتهم، تضع سماعة في أذنها وتستمع إلى إحدى أغانيها الأجنبية المفضلة بعيدًا عن ضجيج المطار..

« I'm coming home

I'm coming home

Tell the world I'm coming home

Let the rain wash away all the pain of yesterday

I know my kingdom awaits and they've forgiven my mistakes

I'm coming home, I'm coming home

Tell the world that I'm coming »

أطفأت أغنيتها قليلًا لتستمع إلى الصوت الذي بدأ يعلن عن موعد رحلتها ورقم البوابة لتلك الرحلة..

"أرجو الانتباه، أرجو الانتباه

على السادة المسافرين على متن الخطوط الكندية رحلة رقم تسعة ستة ثمانية واحد والمتجهة إلى فانكوفر التوجه إلى البوابة رقم ثلاثة عشر"

تقف الآن أمام البوابة بابتسامة لطيفة، تتخيَّل عائلتها وحياتها الجديدة..

***

- لا أصدق لا أصدق، كيف استطعت أن تخفي أمرًا كهذا عليَّ طيلة سنوات زواجنا. تصرخ تينا في وجه أمجد بهستيرية

- تينا، أخبرتك بأني قطعت جميع علاقاتي بهم حتى أنني أتيت إلى كندا لأتخلص من ذلك الماضي الذي لم أتخيَّل أنه سيعود ليقف أمامي بعد تسعة وعشرين عامًا، تينا بعد تلك السنوات التي عشتها هناك، وجدتكِ هنا تنتظرينني، كأن الرب قد أرسلكِ لي، لقد أحببتكِ إلى درجة أنكِ أصبحت كل عائلتي التي أتمناها، ثم وهبتني طفلة جميلة تشبهك، نسيت الماضي وعشت لحاضري ومستقبلي

كان الآخرون يجلسون في الحديقة الخارجية بينما كان صوت أمجد وتينا يأتيهم من غرفة المعيشة، أما تالين فكانت تستمع إلى حديث والديها من الطابق العلوي، وبين الحين والآخر تذهب إلى غرفتها لتطمئن على الغريبة التي تنام بفراشها..

- ولماذا الآن بعد كل تلك السنين تريد إعادة ابنتك إلى حضنك؟! لماذا لم تخبرني قبل أن تأتي بها من آخر العالم إلى منزلي؟! هل صحت أُبُوَّتك تجاهها فجأةً؟!

- هي من وجدني، هي من كانت تبحث عني، تحبني رغم أني أنا من تركها وحيدةً بلا أب، ويا لسخرية القدر فعندما أردت التواصل معها كانت هي تمرُّ في موقف لا تُحسد عليه أبدًا، كانت في مصيبة شديدة وترتجيني كي لا أتركها، كنت خائفًا جدا يا تينا، خائفًا على ابنتي التي لم أعرفها قطُّ، ولم أستطع إخبارك الحقيقة خشية من أن تعارضي قدومها، رغم أنك قد قلت لي سابقًا بأنك ستكونين معي في أي شيء أتَّخذه

أخذ أمجد يشرح قصة وهج من يوم ولادتها حتى آخر اتصال لهما يوم الحادثة، أخبرها قصة والدتها وبأنها امرأة غير سوية، وكيف دبَّرَ أمور رحلتها حتى وصولها أمام المنزل، الكل كانوا يسمعون تلك القصص التي تروى من غرفة المعيشة، صعق الجميع لقصة الاعتداء التي حصلت لوهج وكيف رمتها أمها خارج المنزل كقطة ملَّت منها صاحبتها، ثم تخلصت منها..

شعر بيتر بالأسى على حال تلك الغريبة، وقد حزن أيضًا على حزن تينا، فهو يعدها في مقام أمه، لهذا لم يرغب بأن يستمر في سماع نبرة صوتها الحزين، فقرَّرَ الخروج من المنزل بهدوء وطلب من جودي وإيميلي مرافقته..

***

(أختي..)

بعد منتصف الليل..

وبعد أن خلد للنوم جميع من في المنزل..

استيقظت وهج لتجد نفسها مُستلقِيةً على سرير أحدهم، أخذت تتأمَّل الغرفة المظلمة التي وُضِعت بها، لاحظت أن أحدهم كان نائمًا على الأرض بالقرب من السرير، حاولت التركيز في ملامحه لكنها لم تستطع بسبب تغطية النائم نصف وجهه باللحاف، أرادت وهج الخروج من الغرفة فأخذت تتسحب ببطء كي لا تصدر أي صوتٍ قد يز عج ذلك النائم، لكن ما أن وصلت إلى باب الغرفة حتى ناداها صوت من الخلف...

- وهج

التفتت خلفها لتكتشف أن ذلك النائم كان تالين..

- تالين؟!

- أتعرفين اسمي!!

ثم فتحت تالين أنوار الغرفة وفهمت وهج أنها كانت نائمة في سرير أختها..

- ابتسمت وهج في وجه تالين، ثم اقتربت منها:

- طبعًا أنا أعرف اسمك، أو بالأحرى أنا أعرفك جيِّدًا

- إذًا أنتِ أختي الكبرى يا وهج! قالتها وكأنها تحاول الاعتياد على كلمة أختي الكبرى

- نعم أنا كذلك، لكن لا أعلم أهو من حسن حظك أم سوء حظك. أجابت بقليل من الخيبة

اتَّسعت عينا تالين فرحًا:

- بالطبع إنه من حسن حظي حقًّا، كنت أتمنى دائمًا أن يكون لى أخت، فما بالك بأن تكون أكبر مني؟

سكتت قليلًا ثم أكملت:

- بالمناسبة، هل لي بمعانقتك؟!

تفاجأت وهج من طلب أختها، شعرت بشعور غريب لم تعهده من قبل، شعور دافئ ولطيف..

- بالطبع يا تالين، كم انتظرت هذه اللحظة طويلا، تعالي يا أختي

أختي..

كلمة قصيرة ذات وزن ثقيل...

كلمة جامعة للعديد من الكلمات...

فالألف اهتمام واحترام..

والخاء خوف وخشية..

والتاء تعاون وتماسك..

وما الياء إلا أيامي الجميلة معها..

ابتسمتا بعضهما لبعض...

- شكرًا لأنك جعلتني أنام في سريرك

- هذا أقل ما يمكنني القيام به تجاه أختي، صحيح يا وهج، إلى أين كنت ستذهبين؟! هل تحتاجين شيئا؟!

-لا أعلم، كنت فقط أريد رؤية أبي

- إنه نائم الآن، أعتقد أنك تشعرين بالجوع أيضًا

أجابت باستحياء:

- قليلًا

- تعالي معي إلى المطبخ لنحضِّر شيئًا لك

ذهبتا معًا إلى المطبخ، أخرجت تالين من الثلاجة بعض الأطعمة المتبقية من شواء المساء ثم قامت بتسخينها، سكبت قليلًا من عصير البرتقال الطازج في كأسين..

- تفضلي، بالهناء والشفاء

شكرًا يا تالين، كم أنت لطيفة فعلًا

- يجب أن تأكلي، فقد كانت رحلتك طويلة جدا

ساد الصمت قليلًا...

- كم أنتِ جميلة يا وهج، شعرك الأسود، عيناك الناعستان، ملامحك العربية، وابتسامتك التي تريح القلب

شعرت وهج بالخجل:

- أشكرك على هذا الإطراء تالين، أنتِ أيضًا جميلة وجذابة بلا شك، أختي المهندسة المثقفة المطلعة على الكتب

تفاجأت تالين من تلك الجملة الأخيرة:

- كيف لك أن تعرفي بشأن تخصصي وهوايتي المفضلة؟!

- أنا أعرفك جيِّدًا، أو بمعنى أصح أحفظك عن ظهر قلب. أجابتها مع ابتسامة خفيفة

- كيف؟! هل أخبرك والدي عني؟!

- إطلاقًا، بل أنا من بحث عنك في صفحات مواقع التواصل، كنت أتأمل صورك ليل نهار، كنت أقرأ كل ما تكتبينه وأحفظه، حتى تعلقت بك، لكني لم أمتلك الشجاعة الكافية حينها كي أراسلك أو حتى أكتفي بإضافتك

شعرت تالين بقليل من الأسى على حال أختها..

- إذًا أنتِ أكبر مني بأربع سنوات صحيح؟!

- نعم يا عزيزتي

- عمرك بعمر حلول

- من هو حلول؟!

- صديق طفولتي وبمثابة أخي الأكبر

علَّقت مُمازِحةً:

- أوه، إذا هناك من أخذ مكاني فترة غيابي

ضحكت تالين بينما كرَّرت وهج الاسم مرة أخرى: «حلول»..

- اسمه بيتر، لكني الوحيدة التي تناديه حلول منذ صغري، سأخبرك الكثير عنه لاحقًا

- أنا متشوقة لذلك، خاصة أنني لاحظت وشمك باسمه

ثم غمزت لتالين مُكملةً حديثها:

- أتحبينه؟!

- لاااا، أرجوك إلا هذا السؤال، أشعر بعقدة منه، سأخبرك كل شيء يا وهج لكن لاحقًا، سعيدة بأنه أصبح لديَّ أخت تشاركني أطراف الحديث

وضعت وهج يدها على يد تالين:

- والهموم يا أختي، سأشاركك الهموم أيضًا وليس الحديث فقط

تبادلت الأختان الابتسامات، ثم عانقتا بعضهما بعضًا..

- بالمناسبة بيتر هو من حملك إلى غرفتي عندما فقدت وعيك.

- كانت لحظة مرعبة بالنسبة لي، لم أستطع حتى نطق كلمة واحدة أمامكم، وأعتقد أني أتيت لكم في التوقيت الخطأ

- لماذا؟!

- كان لديكم زوار، هذا ما أتذكره

- على العكس هم أصدقاء لهذا المنزل، أمي تعدهم بمثابة الأهل، كانت هناك صديقتي إيميلي، وبيتر وصديقته جودي بالإضافة أن بيتر يسكن بالمنزل المقابل لنا، وستعتادين على مجيئه المعتاد إلينا

عادت الأختان إلى الغرفة، طلبت وهج من تالين أن تعود إلى سريرها وتنام هي في الأرض، لكن تالين رفضت ذلك وبشدة..

وقبل أن تناما سألت تالين أختها:

- هل أنت مرتبطة بأحدهم؟! هل لديك حبيب؟!

- لا، وأنتِ؟!

أجابت بابتسامة عريضة ملأت وجهها:

- نعم

- شيء لطيف، أخبريني قصته أيضًا مع باقي القصص التي ستروينها لاحقًا

- مؤكد ذلك، تصبحين على خير أختي الكبرى

- تصبحين على خير أختي الصغرى

***

كانت تينا منشغلةً في إعداد طعام الإفطار عندما سألها أمجد عن ابنتيه

- هل استيقظت تالين ووهج؟!

لم تنبس ببنت شفة..

- تينا، أنا أتحدث معك، هلا أعرتني انتباهك؟!

- اذهب وتحقق بنفسك فهما ابنتاك

- لماذا هذه المزاجية الآن؟! ما الخطب؟!

أغلقت باب الثلاجة بقوة:

- لا أريد أن أراها أمامي، لا أريدها في منزلي، لماذا تفرضها علي؟!

عندها كانت تالين ووهج تنزلان السلالم، ابتلعت تالين ريقها عندما سمعت جمل والدتها اللاذعة، بينما ظلَّت وهج ثابتة مكانها في منتصف

السلالم تخشى النزول وتكره العودة للوراء، حينها شعرت بيد أختها تمسك يدها بحزم:

- وهج أنا معك

أخذت نفسًا عميقًا ثم هزَّت رأسها إيجابًا..

أكملتا النزول بخطا ثابتة..

التفت كلٌّ من أمجد وتينا باتجاه السلالم فور سماعهما صوت الخطوات..

تقف وهج أمامهما..

بلا صوت..

لكن صدى صرخات نظراتها المعاتبة يصدح في المكان..

أطراف ترتعش..

مشاعر متضاربة..

حنين أم جفاء..

صفح أم عتاب..

فتح أمجد ذراعيه مناديًا وهج..

- تعالي يا ابنتي

ولأول مرة تفعلها، ركضت لحضن والدها كطفلة في سنواتها الأولى..

احتضن أمجد ابنته بشدة حتى شعر ببكاء وهج الصامت وشهقاتها المتتالية، كأنها تحكي له عن قصة ألم في كل شهقة تُخرجها..

- آآه يا وهج يا طفلتي التي كبرت بعيدًا عن ناظري، بالأمس احتضنتك وعمرك يوم واحد، واليوم أحتضنك وعمرك تسعة وعشرون عامًا، سامحيني أرجوك على ذنب لن أسامح نفسي عليه، اغفري لي خطيئتي التي لا تغتفر

بينما كانت مستمرة في العناق، أصبح بكاؤها يسمعه الجميع...

- تركتني أسيرة مُعنَّفَة تحت رحمة الحياة، تركتني بلا أبٍ أستند عليه في ضعفي، تركتني تحت يد امرأة مجردة من مشاعر الأمومة، تركتني أكبر وحيدة حتى ذبلت كنت أكبر والخوف ظلي، كنت أكبر والحزن صديقي الوحيد، ها قد كبرت يا أبي دون أم تحن عليَّ ودون أب يحميني، كبرت وتعلَّمت أن لا أثق حتى بوالدي، كبرت وتعلَّمت أن المرء يولد وحيدًا ثم يشقى وحيدًا إلى أن يموت وحيدًا

وفجأةً بكى أمجد بحرقة، كأنَّ كلمات ابنته كانت تجلد ظهره بالسوط..

- لا أستطيع تكفير ذنوبي، لقد سرقت طفولتك وشبابك ووهبت لك الألم والأسى والوحدة، تركتك لخطأ لم تقترفيه كنت أنا المخطى، اقترفت جريمة كنت فيها أنا الجاني وأنتِ المجني عليه، والآن أنتِ القاضي وأطلب منك المغفرة

أنهت وهج ذلك العناق، بدأت تتأمَّل ملامح وجه والدها مجدَّدًا، تنظر إلى عينيه الباكيتين، التفتت إلى أختها قليلًا لتتأملها هي الأخرى، ثم أعادت ناظرها إلى أبيها وابتسمت في وجهه والدمع ينهمر على خديها..

صرخت فجأة:

- سميتني وهج لكني أيقنت أني وهج بلا وهج، عشت في عتمة طوال تلك السنين

سكتت ثم أكملت:

- تمنيت أن تكون صورتي ضمن تلك الصور المنشورة على صفحاتكم، تمنيت أن تذكرني بسطر واحد بل بكلمة، كنت أنظر إلى صوركم الجماعية وأسأل نفسي: «وأنا؟!»، حفظت اهتماماتكم عن ظهر قلب لكن ماذا عن اهتماماتي؟ فأعيد السؤال: «وأنا؟!»، رأيت ذلك الحب العظيم الذي تحكيه عيناك كلما

نظرت في وجه تالين لكن يبقى السؤال: «وأنا؟!».

- أعدك أني سأجعلك تعيشين حياتك القادمة سعيدة وبوهج يا وهج.

ساد الصمت قليلًا ثم نطقت وهج:

- أبي أنت أنقذت ما تبقى لي من حياة، انتشلتني من ظلم خنقني، من بؤس كاد يدفنني حية، أبي أنا أسامحك

اتَّسعت حينها عينا أمجد عندما سمع آخر جملة قيلت، وكأنها الخلاص الذي انتظره لسنوات عديدة والذي أيقن أنه لن يحصل، تلك الكلمة كانت عفو القاضي عن الجاني من حبل المشنقة..

عانق ابنته مجدَّدًا وهو في قمة سعادته، لم تستطع تالين كبت مشاعرها لذا تقدمت وشاركتهما العناق العائلي..

- الفطور جاهز. قالت تينا

عرَّفَ أمجد وهج على زوجته تينا التي بدا انزعاجها واضحًا على قسمات وجهها، جلس الجميع إلى مائدة الطعام، حاول أمجد تلطيف الأجواء قليلًا والابتعاد عن قصص الماضي، ناولت تالين أختها بعض الأطباق البعيدة عنها، شعرت حينها وهج بدفء العائلة المفقود الذي لطالما حلمت به..

بعد ما انتهى الجميع من تناول الإفطار، قرَّرَت تالين اصطحاب أختها في جولة تعريفية بالمدينة، وعند خروجهما من المنزل كان بيتر يخرج من منزله هو الآخر..

- بيتر. نادت تالين

- أوه تالين، صباح الخير

- صباح النور، دعني أعرفك على أختي الكبرى وهج

كانت وهج حينها تختبئ خلف تالين، تقدَّمَتْ قليلًا لتصافح بيتر..

وعلى استحياء قالت:

- مرحبًا أنا وهج

نظر بيتر إلى وجه الفتاة التي حملها ليلة البارحة بين ذراعيه..

أجاب والابتسامة على شفتيه:

- أهلًا بك يا وهج، أنا بيتر

شعرت وهج بشعور غريب انتابها لأول مرة عند مصافحتها لبيتر..

- أشكرك على ليلة البارحة، أخبرتني تالين أنك حملتني إلى غرفتها

- لا شكر على واجب فقد كنتِ مرهقة جدًّا ليلة البارحة لذا سقطت مغشيًّا عليكِ

اكتفت وهج بالإجابة بابتسامة ناعمة..

سألت تالين:

- بيتر هل أنت ذاهب إلى العمل؟!

- نعم عزيزتي مشاكل

ضحكت وهج بخجل فور سماعها ذلك الاسم مما جعل نالين وبيتر يضحكان أيضًا...

- ما رأيك بأن تصحبنا أنا وأختي إلى مركز المدينة على طريقك بما أنك ذاهب إلى هناك أيضًا؟ لا أريد أن أقف لانتظار الحافلة

- طبعًا طبعًا، تفضلا بصعود سيارتي رجاءً فلا داعي لانتظار الحافلة ما دامت

وجهتنا واحدة

صعد الجميع سيارة اللكزس الذهبية، بجانب بيتر كانت تالين و في الخلف جلست وهج تتأمَّل في عيني بيتر من خلال المرآة الأمامية..

وفي الطريق حكى بيتر لوهج عن أختها ومزاجيتها وعن المشكلات التي كانت تفتعلها ويقوم هو بحلها، ضحكت وهج عند سماعها قصص مشاكل وحلول، كانت تنصت بدقة إلى كل كلمة يقولها بيتر لها مُتأمِّلةً تعابير وجهه الجذابة والدافئة..

- شكرًا لكِ يا وهج لأنك ستخففين عني بعض الضغوطات الناتجة من مشكلات الآنسة مشاكل

قهقهت وهج ثم أجابت:

- سنتقاسم المشكلات بالتساوي

كتّفت تالين ذراعيها وقالت معترضةً:

- أنا لا أفتعل المشكلات عمدًا، بل هي من تستمتع بالوقوف والرقص

أمامي

- بكل تأكيد. قالها بيتر باستهزاء

- بيييتر اصمت. بصوتٍ مرتفع

ترجلت الأُختان من السيارة عند وصولهما إلى أحد الشوارع الرئيسة لمركز المدينة..

- شكرًا حلول

- شكرًا بيتر

- أتمنى لكما يومًا جميلًا كجمال وجهيكما، ولطيفًا كلطافة قلبيكما

وفي تلك اللحظة بدأت أول رحلة في أرجاء المدينة التي لجأت إليها وهج من بطش الحياة وقسوتها..

كان طقس المدينة مختلفًا عن ذلك الطقس الذي عهدته وهج في مدينتها التي عاشت تحت سمائها وشمسها اللاهبة ورطوبتها الكاتمة للأنفاس، فالشمس هنا حنون تختبى على استحياء خلف بعض صديقاتها الغيمات، ونسيم الهواء العليل يداعب خصلات شعرها الأسود..

ناطحات سحاب متناثرة، شوارع مكتظة بصوتِ محركات السيارات والحافلات، أرصفة تشتكي من كثرة العابرين عليها، أسواق، مطاعم ومقاهٍ في كل زاوية، ظلَّت تتأمَّل جميع هذه الأشياء كأنها تعيش الحياة للمرة الأولى...

بينما كانت تالين تشير إلى بعض المعالم الفاتنة والغريبة التي تتميَّز بها مدينة فانكوفر وتطلب من وهج التقاط بعض الصور لهما كنوع من الذكرى لأول يــوم يجمعهما بعضهما ببعض، طلبت وهج من أختها أن تحدثها أكثر

عن بيتر والخجل يملأ وجهها..

أجابت تالين بابتسامة خبيثة:

- ما الذي تريدين معرفته يا وهج؟!

قالت والتوتر بدا واضحًا على ملامحها:

- لا شيء تحديدًا، فقط أريد معرفة الشخص الذي احتل مكاني كأخ أكبر لك طيلة تلك السنوات

ضحكت تالين وشعرت بأن هناك رجفة في صوت أختها:

- لا تتوتري يا أختي فأنا وأنتِ من الآن وصاعدًا روح واحدة انقسمت في جسمين، لا داعي للقلق طالما أننا سنحتفظ بأسرارنا معًا

ثم أشارت إلى أحد المقاهي الهادئة أمامهما وقالت:

- تعالي لنجلس في ذلك المقهى ونتسلى بالحديث بينما نحتسي القهوة

- موافقة

ذهبت الأُختان إلى ذلك المقهى الذي كان شبه خالٍ من الزبائن، طلبت كلٌّ منهما كوب قهوة ثم جلستا إلى طاولة في زاوية المقهى، بدأت تالين تحكي لأختها عن بيتر واهتماماته وحياته بالتفصيل الممل وعن طريقة تعارفهما المضحكة، في تلك الأثناء ظلَّت وهج صامتة تستمع إلى جميع تلك القصص والحماس يظهر في عينيها..

***

قاربت الشمس على غروبها، المدينة تبدو أكثر شاعرية عندما تحمر سماؤها خجلًا...

الطيور تعزف ألحانها الموسيقية عائدةً إلى أعشاشها بعد يوم شاق..

السكون يعم أرجاء المدينة..

وهناك..

منزل صغير يظهر على خارجه هدوء موحش، وفي داخله كان يسكن الرعب بعينه...

جدران متشققة، مصابيح محترقة وأخرى تشع بومضات متقطعة، الصدى هو الحارس للمكان، أثاث قديم ستائر ممزقة سقف متهالك، غرف مهجورة، حشرات تزحف في الممرات، إضاءة خافتة تعيق الرؤية، ورجل وحيد مفتول العضلات طويل القامة يجلس على كرسي في إحدى الغرف يتحدث إلى نفسه بصوتٍ مرتفع كأنه يخاطب شخصًا آخر يقف أمامه...

- هيا يا جوليان إنه يوم قيامنا بانتقامنا الثاني لمارثا

- لكني غير مستعد

يصرخ بصوتٍ مرتفع:

- كيف لك ألا تكون مستعدًّا ونحن من خطَّطَ معًا لهذه الجريمة وفي هذا التوقيت تحديدًا؟!

- حسنًا حسنًا لا تغضب

أجاب الصوت الذي بداخله والذي كان غليظًا:

- لن أغضب منك، فأنا أنت وأنت أنا، نحن نساعد بعضنا بعضًا لا نغضب بعضنا من بعض، أنا معك يا جوليان لذا اهدأ لكي نستطيع تنفيذ الخطة بإحكام

وقف جوليان وبدأ يدور في أرجاء الغرفة ويحدث نفسه بطريقة مخيفة، وقف أمام مرآة قد كُسِرت من قبل، ينظر إلى نفسه بملامح حزينة، يبتسم للمرآة ثم يضحك بطريقة هستيرية، تعود ملامحه الحزينة لوجهه البائس..

حزن وفرح، هدوء وغضب، بكاء وضحك، ضعف وقوة، مشاعر تتشكل بين لحظة ولحظة انفعالات واضطرابات، شخصان يسكنان في جسد واحد، صوتان يخرجان من الفم نفسه..

تحدث الصوت الغليظ المليء بالشر:

- هيا يا جوليان لنذهب إلى مكان حفلتنا

- مكان جريمتنا يا آريز

- وما جريمتنا إلا حفلة صاخبة مليئة بصرخات ممتعة سنستمتع بحضورها

- تقصد صرخات مرعبة راجية رحمتنا

- لكننا لن نرحم أحدًا، فهم لم يرحموا مارثا ولم يرحموا قلبنا المسكين حينها

- أشعر يا آريز بأننا سنقضي وقتًا ممتعًا الليلة

- بالطبع عزيزي جوليان، ستحتفل وترقص أنت مع الضحية، ثم سيحين دوري بالاستمتاع في تقطيعها إلى أجزاء متناثرة

وبخفة بدَّل جوليان ثيابه استعدادًا للخروج؛ الثياب السوداء، قفازات الجلد السوداء، وفي يده كان يحمل القناع الأبيض الكلاسيكي..

خــرج الرجل المفتول العضلات الطويل القامة من منزله مُتَّجهًا إلى مقر

حفلته القادمة..

إلى ضحيته التالية..

دلفت الأختان إلى المنزل بعد يوم ممتع وشاق، وعند دخول غرفة تالين تفاجأت وهج بوجود سرير آخر جديد بالغرفة. الغرفة أُعيدَ ترتيبها لتصبح لشخصين، التفتت وهج إلى أختها مستوعبةً ما يحصل بينما بادلتها الأخرى بابتسامة عريضة..

- ويا لسعادتي فمن الآن وصاعدًا نحن ستتشارك الغرفة ذاتها

عانقتها وهج بشدَّة ثم قالت:

- شكرًا لك يا تالين على هذا اللطف الذي غمرتني به

- لا تقولي هذا يا أختي فأنا سعيدة كونك معي، بالإضافة إلى ذلك فالشكر لوالدي أيضًا فهو من قام بشراء هذا لك ورتب الغرفة عندما كنا في الخارج

- يجب أن أشكره حقًّا

وجدت وهج والدها في غرفة المعيشة ينقر على لوحة مفاتيح حاسوبه الشخصي...

وقفت أمامه قائلةً:

- أبي شكرًا جزيلًا لك على شرائك سريرًا خاصا لي

- لا شكر على واجب يا ابنتي

- هل لي بمعانقتك؟! سألت على استحياء

ابتسم أمجد في وجهها مجيبًا:

- بكل تأكيد، تعالي يا وهج

ثم فرد ذراعيه لها ليحتضنها بشدة..

عادت وهج إلى الغرفة لتجد أختها تالين مُستلقِيةً على السرير تُحدِّق بشاشة هاتفها بشغف، تضحك بضحكات متقطعة، تنقر على لوحة المفاتيح بسرعة، تنظر إلى السقف وتسرح في خيالها..

- ما سر هذه الضحكات؟! سألتها وهج ممازحةً

- أتحدث مع أحدهم

- من يكون هذا الذي يجعل أختي الصغرى سعيدة إلى هذا الحد؟!

احمر وجه تالين خجلًا:

- إنه. سكتت قليلًا

- إنه ماذا؟!

أخذت نفسًا عميقًا ثم أجابت:

- إنه الشخص الذي أحبه، اسمه يزن

بدأ الحماس يظهر على ملامح وهج:

- أخبريني عنه

- سأخبرك، لكن عديني أنك لن تخبرني أحدًا عنه، فأمي وأبي لا يعرفان عنه شيئًا

- أعدك

ثم بدأت تالين تقصُّ على وهج قصة الأمير اللطيف يـــزن والأميرة التي

ظنَّت أنها لن تحب يومًا رجلًا ويصبح فارس أحلامها..

قصَّت لها طريقة تعرفهما وعن الآنسة ديفا، وكيف تطوَّرَت العلاقة لتصبح رسائله جزءًا لا يتجزأ من يومها، حتى أصبحت مشاعرها تميل له لكنها لم تفصح بذلك خوفًا من التعمق في الحب، لكنها وبعد مقابلته واعترافه بحبه لها قرَّرَت المجازفة والاعتراف بحبها له أيضًا..

كانت وهج كعادتها تستمع لتلك القصص بصمتٍ وابتسامة خفيفة..

- أحبه يا وهج، أحبه كثيرًا

«عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذه النسخة على شكل كتاب مطبوع فتأكد من أنك تقرأ نسخة مسروقة وليس لمن طبعها الحق في البيع والشراء.. وهذه النسخة بالأصل هي نسخة إلكترونية تم تجهيزها من فيلق مكتبة ضَاد[!] الإلكترونية على تطبيق تيليجرام! فتأكد من أنك تحمّل هذه الرواية وتقرأها من قناتنا الرسمية. نعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة..

- الحب شعور جميل، ويصبح أجمل إذا توافق الطرفان توافُقًا تامًّا

أشعر كأنه يحبني أكثر من حبي لنفسي، يهتم لأمري ويفهمني

- إني أرى الحب يخرج من عينيك تالين وأنت تتحدثين عنه، أتمنى لك السعادة دائمًا يا أختي

- وماذا عنك؟!

- ماذا؟!

[!] للانضمام إلى القناة الرسمية أدخل اليوزر التالي في محرّك بحث تيليجرام: @twinkling4

- هل يوجد شخص تحبينه ويحبك؟!

تصنعت الضحك ثم أجابت:

- لو كان هناك شخص يحبني لحماني من هذه الحياة الشريرة، شخص واحد فقط لما حصل لي ما حصل

- لا تقلقي ستجدين من يستحق قلبك ويحبك بكل عيوبك قبل محاسنك

أغلقت تالين هاتفها ووضعته بجوارها ثم أغمضت عينيها استعدادًا للخلود إلى النوم، بينما ظلَّت عينا وهج مستيقظتين تنظران من نافذة الغرفة إلى مكان شعرت وكأنَّ قلبها قد ضل طريقه هناك..

تطيل النظر إليه..

إلى منزل بيتر..

***

(ليلة برائحة الموت)

ظلام دامس في الغابة...

نسيم هواء بارد..

صوت حركة أوراق الشجر..

هدوء يعم المكان..

لكنه لم يدم طويلًا، لأنه وفجأة استيقظ أحد الأكواخ الكبيرة التي كانت تسكن الغابة..

استيقظ مُعلنًا وجود حفلة تنكرية كبيرة في محيطه..

شبان وفتيات قد ملؤوا المكان، صوت الموسيقى الصاخبة يعلو، أجسام تتراقص، أقداح تُرفَع في الهواء، أقنعة أنيقة تُخفي ملامح الوجوه، أحاديث جانبية بين الأصدقاء، قبلات في زوايا الكوخ، إضاءة خافتة وأخرى قوية..

- هيلدا لِمَ أنتِ جالسة هنا وحدك؟! الجميع يبحثون عنكِ في الداخل. سأل أحد الفتيان صديقته

- أنا قادمة يا عزيزي، فقط كنت أنتظر أحدهم لكنه لم يصل بعد

كانت هيلدا ذات الشعر الأرجواني جالسةً عند عتبة باب الكوخ تحمل بيدها هاتفها مُنتظرةً صديقها الإلكتروني الذي تعرَّفت عليه قبل ثلاثة أسابيع..

عادت هيلدا إلى الداخل لتستمتع بوقتها مع أصدقائها لحين قدوم صديقها الجديد..

- أين اختفيتِ فجأةً يا فتاة؟ سألت إحداهن

- كنتُ أنتظر صديقًا قد دعوته سابقًا إلى الحفلة لكنه أخبرني أنه سيتأخر قليلًا في وصوله

- هممم صديق؟! تساءل بقية الأصدقاء

أجابت بخجل:

- نعم صديق لطيف

رفع الجميع أقداحهم قائلين:

- نخب هيلدا

- نخب هيلدا

ثم قال أحدهم بحماس:

- هيا البسوا أقنعتكم ودعونا نرقص قليلًا مع باقي الحضور

بدأ الجميع يرقصون ويقفزون عاليًا على أنغام الموسيقى العالية، صوت الضحكات يصدح في المكان، الجميع سعداء بوقتهم، البعض يترنح من كثرة شربه للكحوليات، أناس يعرفون بعضهم بعضًا، وآخرون لا يعرفون بعضهم بعضًا، فقد كانت هذه الحفلة الصاخبة عامة لجميع من أراد الحضور والاستمتاع..

في تلك اللحظات وصلت رسالة إلى هاتف هيلدا، فتحتها وابتسمت..

كُتِب فيها:

«أنا هنا يا قطتي الأرجوانية لكني لا أعرف أين أنتِ من كثرة الأقنعة التي تملأ المكان، بالمناسبة ما هو شكل القناع الذي يخبئ ملامحك الساحرة»

فتحت هيلدا كاميرا هاتفها مُلتقطةً صورة لهــا تظهر فيها قناعها الأسود

المُطرَّز الذي يغطي نصف وجهها العلوي مرتديةً فستانًا مفتوحًا من الساق، ثم كتبت رسالة قصيرة..

«ها هي قطتك الأرجوانية تنتظرك بالقرب من غرفة الجلوس، أخيرًا سأرى من أسر قلبي بكلماته الشاعرية وحرمني من رؤية صورة له وأخفى ملامحه عليَّ، تخيلتك كثيرًا لكني مُتيقِّنة من أنك أجمل مما تخيلته»

أرسلت صورتها مرفقة الرسالة معها إلى صديقها المنتظر والذي كان اسمه ظاهرًا في أعلى الشاشة «آريز»..

بعد عِدَّة ثوانٍ فقط شعرت هيلدا بذراع تلتف على خصرها، التفتت لتجد شابًّا طويل القامة ذا شعر كستنائي اللون عريض الأكتاف يلبس قناعًا أبيض يغطي الوجه بأكمله..

- أهلًا قطتي

اقشعر جسمها فجأة..

- أهلًا آريز، كيف حالك؟

- بخير، المكان جميل هنا. ثم أخذ يلتفت يَمنةً ويسرة

- أتفق معك فالأجواء رائعة وحماسية جدًّا

- لكنكِ الأجمل هنا يا قطتي الأرجوانية

لعبت بخصلات شعرها والخجل بدا واضحًا عليها:

- لماذا لا تخلع قناعك قليلًا، أودُّ رؤية وسامتك

- أعدك بأنك سترينها وأنتِ من سيخلعه بنفسك

- ما رأيك بأن نرقص قليلًا؟

- لا أحب الرقص، لكن لا بأس بالقليل منه لأجلكِ فقط

رقصت هيلدا مُمسكةً يد آريز والحماس يشع من عينيها، رقصت و قفزت حتى تبعثر شعرها، توقفت لتحتسي قدحًا ما، تقدَّمَ أصدقاؤها ناحيتها فبدأت تعرفهم على آريز الذي ظلَّ لابِسًا قناعه ثم أخبرهم أنه سيذهب ليأخذ جولة في الكوخ الكبير، وقبل انصرافه همس في أذن هيلدا:

- سأعود يا عزيزتي وعندها سأطلب منك نزع قناعي بنفسك

استمرَّت هيلدا بالشرب قدحًا تلو قدح، حتى وصلت إلى حد الثمالة، عاد آريز لها بعد ما رأى أصدقاءها يبتعدون عنها، عانقها من الخلف ثم قال بصوتٍ كان غليظًا قليلًا:

- هل أنت مستعدة يا قطة؟!

أجابت بلسان ثقيل:

- بكامل استعدادي آريز

- تعالي معي هناك غرفة جميلة بالطابق العلوي خالية تمامًا من أي شخص

- احملني فأنا عاجزة عن الوقوف تمامًا

حملها بين ذراعيه وذهب بها إلى أعلى السلالم ثم إلى الغرفة المنشودة، وضع هيلدا في السرير الذي كان موجودًا حينها ثم أقفل الباب خلفه..

ابتسمت له، اقترب منها أكثر، ظلَّ واقفًا ينظر إلى الفتاة الثملة المبتسمة والمستلقية على السرير، ساد الصمت قليلًا حتى سألها:

- كيف حال صديقتك مارثا يا هيلدا؟!

تغيرت ملامح ابتسامتها إلى حزن..

- آآآه صديقتي مارثا، لقد انتحرت قبل عِدَّة أشهر وتركتني

- ما سبب انتحارها؟!

- أظنها كانت تمرُّ بظروف عصيبة مما أثر على نفسيتها وتفكيرها حتى قرَّرَت الانتحار

- لكنكِ كنت أحد أسباب انتحارها يا هيلدا

انخطف لون وجهها تمامًا:

- من قال ذلك؟! هل عادت مارثا وأخبرتك؟! وما هي علاقتك بها؟! ولماذا تسأل عنها الآن؟!

فجأة تغيَّرَ صوت وأسلوب الرجل من شخص لطيف إلى شخص متوحش وبدأ يصرخ:

- أنتِ شيطان متلبس على هيئة ملاك، كيف استطاع قلبك أن يخون ثقة من أحبه؟ لقد وثقت بك مارثا كثيرًا، أعرف أنك كنت السبب وراء طردها من عملها خوفًا من أن تأخذ الترقية عوضًا عنك

صعقت من تلك الكلمات التي أيقظتها من سكرتها..

- نعم أنا من جعلتهم يطردونها، أنا من كانت تستحق تلك الترقية، أنا التي كنت أعمل لساعات أكثر

- بذلك جعلتهم يقطعون رزقها الذي كانت تعول عليه

أجابت ببرود:

- لكني لم أنصحها بالانتحار إطلاقا، من أراد الانتحار فكل الطرق سهلة

للوصول إليه، ومن أراد الحياة فعليه التمسك بها مهما كانت الطرق صعبة

ابتسمت في وجه آريز وقالت:

- هي اختارت الأسهل

- وأنت ستتبعينها

قطبت حاجبيها مُستنكِرةً رده:

- من أنت؟! ولم يهمك أمرها كثيرًا إلى هذا الحد؟! لا أذكر أنه كان لها أصدقاء حينها

خلع القناع ليكشف عن وجهه الذي خبأه:

- بل كان هناك قلب ينبض لها ويغنيها عن كلمة «الأصدقاء»

اتَّسعت عيناها فجأة عندما تعرَّفت على تلك الملامح الحادة..

شعرت وكأن جسمها قد شُلَّ بأكمله...

تثاقلت الكلمات على لسانها..

- أأأ.. أأنن.. أأننت

- من الجميل أنك ما زلت تتذكرينني

- أنت هو جوليان حبيب مارثا

- تقصدين حبيبًا بلا حبيبة

ثم أخرج من جيبه قفازاته السوداء ولبسها، فتح أحد الأدراج وأخرج منه سكينًا مُسنَّنة كان قد خبأها سابقًا، بدأ يقترب من هيلدا شيئًا فشيئًا، قفزت مذعورة من السرير مُتَّجهةً نحو باب الغرفة لكنها فقدت توازنها بسبب

إكثارها من شرب الكحوليات مما أدى إلى سقوطها أرضًا، وقف جوليان أمامها ينظر بابتسامة باهتة، زحفت للوراء ببطء مُتوسِّلةً:

- أرجوك لا تقتلني، أرجوك أنا لم أقصد أذيتها، سأعطيك كل ما تريد فقط اتركني، أتوسل إليك ارحمني جوليان

قال الصوت الغليظ والغضب يخرج من عينيه:

- أنا آريز الذي عاد لينتقم لشباب مارثا الذي هُدر ولقلب جوليان الذي كُسر أنا آريز الذي سيطهر العالم من الشياطين أمثالك، أنا آريز عديم القلب والمشاعر أسلط عليك عذابي

وبحركة سريعة قبض آريز بيد واحدة على عنق هيلدا بشدَّة ورفعها للأعلى، أصبحت أقدامها تتراقص في الهواء، بدأت تختنق ثانية تلو الأخرى، تنظر إليه بعينين تنهمر منهما الدموع راجيةً الغفران، تحاول الصراخ عاليًا:

- النجدة ساعدوني أرجوكم النجدة هذا المختل سيقتلني، أنا أخ.. تن.. ق

وفجأة..

أتت الإجابة لنداءاتها سريعًا..

اتَّسعت عيناها أكثر فأكثر ..

شعرت بحرارة أسفل معدتها..

بدأت أطرافها تبرد شيئًا فشيئًا..

دماء تسيل من جوفها لتشكل بحيرة أسفلها..

لقد تلقت طعنة من آريز بالسكين التي كان يحملها بيده الأخرى..

تنظر إليه وينظر إليها مبتسمًا...

يطعنها للمرة الثانية..

الثالثة..

الرابعة..

نبضات قلبها تهدأ..

حتى فارقت روحها جسدها..

ألقى بذلك الجسد أرضًا، تأمَّلَ ملامحها الشاحبة، ضحك بهستيريا، ذهب إلى مرآة كانت مركونة في زاوية الغرفة، نظر إلى نفسه وبدأ يتحدث:

- كيف كان أدائي الليلة آريز؟!

- لقد لعبت دور الفتى اللطيف بإتقان جوليان، بالمناسبة أنت ترقص باحترافية

ضحك قليلًا ثم قال:

- سميتها رقصة الموت، بينما كنت أنت الأفضل في هذه الحفلة يا آريز، تبهرني قوتك و وحشيتك دائمًا

- أرأيت كيف رفعت جسدها بيد واحدة؟! أجمل فقرة كانت حينما حشرت السكين بين أحشائها

- نعم نعم لقد كان المشهد جميلًا جدًّا، أنت مبدع لكني لم أنتهِ بعد من هذه الجثة، أريد أن تكون الغرفة ملوَّنة بالدماء المتناثرة

- ماذا ستفعل؟!

ألقى نظرة سريعة إلى الجثة ثم قال:

- سترى الفن يتشكَّل هنا

جثا بالقرب من الجثة، مزَّقَ ثيابها من الخلف، بدأ يخدش بالسكين على ظهرها ليكتب اسمه، يخدش بقوة أكبر والدماء تسيل حتى أصبح اسم «آريز» واضحًا، أمسك بالذراع اليمنى وبترها، ثم أعاد الكَرَّة باليسرى، ثم الساق اليمنى حتى انتهى باليسرى، دماء تناثرت على جدران الغرفة وأرضيتها، على الستائر والأثاث، وضع ما تبقى من جسد الجثة على السرير ثم غادر..

خرج يركض مسرعًا من الكوخ لابِسًا قناعه، يضحك بطريقة مخيفة وغريبة، يُحدِّث نفسه ويجيبها، استغرب المحتفلون حالة ذلك الغريب، تساءل البعض إن كان مُختلًّا أم يتقصَّد ذلك السلوك المريب، إلى أن أتت صرخة حادَّة مرعبة من الطابق العلوي دوت في المكان وأسكنت الحاضرين، الجميع يصرخون مرتعبين، البعض يبكي خوفًا، آخرون تركوا المكان هاربين، بينما كان ذلك الغريب يختبئ خلف إحدى الأشجار يراقب ما يحدث بابتسامة خبيثة..

عاد الهدوء إلى الغابة مجددًا..

لكن هذه المرة ممزوجًا برائحة الموت..

***

بينما لا تزال وهج مُتَّكِئةً على نافذة الغرفة تنظر إلى منزل بيتر لساعة متأخرة، لمحته يخرج من منزله راكضًا والقلق على وجهه، ركب سيارته ثم غادر مُسرِعًا..

شعرت وهج بالخوف حيال أمر بيتر، بدأت تجول في الغرفة ذهابًا وإيابًا، تفكر بالسبب الذي جعل بيتر يخرج من منزله هكذا وفي هذه الساعة المتأخرة تحديدًا، لم تستطِع تمالك أعصابها فقرَّرَت إيقاظ تالين..

- تالين، تالين، تالين. تهزُّ كتفها بهدوء

- هممم. تجيبها مغمضة العينين

- تالين هناك أمر حصل لبيتر، لمحته يخرج من منزله مضطربًا، أظن أن هناك مكروهًا حدث

- هل أنت مُتيقِّنة يا وهج؟! تسألها وهي تفرك عينها اليمنى

- أقول لك رأيته! ماذا يجب أن نفعل الآن؟!

أسندت تالين ظهرها على السرير، ثم قالت:

- لا شيء، سأتصل به وأسأله

بينما كانت تتصل تالين على بيتر، لاحظت توتر أختها..

- ما بكِ يا فتاة؟! لم هذا القلق؟! اهدئي قليلًا

أجاب بيتر:

- مشاكل؟! ما الأمر؟! لماذا تتصلين في هذا الوقت؟!

نظرت إلى عيني أختها ثم قالت:

- لا شيء فقط أردنا الاطمئنان عليك

- من أنتم؟! ولماذا ؟!

- لقد شاهدتك وهج تخرج مُسرِعًا من منزلك، لذلك شعرنا بالقلق قليلًا، هل كل شيء على ما يرام؟!

- حصلت جريمة قتل في أحد الأكواخ الكبيرة التي تسكن الغابة، لذلك طلبوا مني الحضور شخصيًّا

- لكن لماذا أنت؟!

لأنهم يعتقدون أن القاتل له علاقة بإحدى الجرائم التي أعمل على حلِّها

قالت بنبرة خوف:

- حلول اعتنِ بنفسك أرجوك

- لا تقلقي

- وهج تقول لك أيضًا: اعتنِ بنفسك

ابتسم..

- أخبريها أني سأفعل، شكرًا لاهتمامها

ثم أغلق الخط..

وصل المحقق بيتر إلى الكوخ، كانت الملازم جودي قد سبقته إلى هناك..

ألقى التحية ثم سألها:

- ما الذي حدث هنا يا جودي؟!

- جريمة بشعة، بشعة جدًّا، لقد قُتلت فتاة هنا، ليس ذلك وحسب بل قُطعت إلى أجزاء

- يا إلهي!!

- كانت تُقام هنا حفلة تنكرية، لذلك استطاع القاتل ارتكاب جريمته دون أن يتعرَّف أحد عليه

ثم أضافت:

- تعال لأريك مسرح الجريمة المرعب

عند دخوله ارتعدت أطرافه واتَّسعت حدقة عينه من هول ما شاهده أمامه، بركة من الدماء على أرضية الغرفة، الجدران ملوَّنة باللون الأحمر، جسد قُطع بوحشية، أطراف أعضاء هنا وهناك..

- يا إلهي ما الذي حدث هنا، أي قاتل سنواجه يا جودي؟!

- فعل جريمته بدم بارد و قلب ميت

نظرت إلى السرير ثم أضافت:

- لقد كتب على ظهر الجثة كلمة «آريز»، بالطريقة نفسها التي تم فعلها بجثة الصيدلي مايك، إنه القاتل نفسه يا بيتر

كرَّرَ بيتر الكلمة مشددًا:

- آريز، آريز، من يكون آريز هذا

هدوء مرعب يعم المكان..

- بماذا تفكر يا بيتر؟!

- هل وجدتم هاتف الضحية؟!

- إنه بحوزتنا، وطلبت من المختصين أن يقوموا بفتح القفل عنه

- جميل، إذا لنتعقب جميع الاتصالات التي صدرت من الهاتف حتى التي

وردت إليه، ولنقرأ جميع الرسائل، ربما نحصل على رسالة تشيرنا إلى القاتل نفسه أو مكان عمله

- سأبلغهم بطلبك حضرة المحقق. قال أحد رجال الشرطة

وعند خروج بيتر وجودي من الكوخ، صاح أحد عناصر الشرطة مُناديًا:

- حضرة المحقق، حضرة الملازم، هناك أمر أريد إطلاعكما عليه

- تكلَّم. قالت جودي

- بعد أن حققنا مع أصدقاء الضحية وبعض الأشخاص الذين كانوا موجودين بالحفلة كما أمرت حضرة الملازم، هناك ثلاثة أشخاص شاهدوا أحدهم يدخل إلى مسرح الجريمة برفقة الضحية، وبعد أن وصفوا لنا مظهره الخارجي، تعرَّفَ أصدقاء الضحية على تلك الأوصاف وقالوا إنه صديق جديد للضحية وإنها كانت تبادله بعض المشاعر الحميمية

قال بيتر مُعقِّبًا:

- ربما ليس هو الشخص الذي نبحث عنه، ربما خرج هذا الشخص من الغرفة ومن ثم دخل القاتل عند الضحية، لا يوجد دليل يقطع بأنه القاتل

- حضرة المحقق، إنه هو القاتل، فقد شاهده الجميع يخرج من تلك الغرفة هاربًا وبطريقة غريبة

- كيف؟! سألت جودي

- كان يضحك بطريقة مخيفة كما قال البعض وكان يُحدِّث نفسه بصوتٍ مرتفع والدماء تغطي ثيابه

نظر كلٌّ من بيتر وجودي بعضهما لبعض، ثم هزَّ رأسه إيجابًا كمــا فعلت

هي..

- أخبرنا عن تلك الأوصاف التي أخبروك بها

- قالوا يا حضرة المحقق بأنه شاب مفتول العضلات طويل القامة ذو شعر كستنائي، كان يلبس قناعًا أبيض كلاسيكيًّا يغطي جميع ملامح وجهه

- أضف إلى ذلك أن لديه اضطرابات نفسية

- ذلك واضح من طريقة قتله لضحيته، بالإضافة إلى حديثه مع نفسه. قالت جودي

سأل بيتر بِحيرة:

- ماذا عن سلاح الجريمة؟! هل وجدتموه؟!

- نعم أيها المحقق، كانت السكين متروكة أسفل السرير، لكنها للأسف لا تحمل أي بصمات للقاتل

- لكل مجرم هفوة، لذلك يجب علينا البحث عن تلك الهفوة

✵✵✵

(جسر النسيان)

داعبت أشعة الشمس بشرة وهج، التي كانت تغطُّ في نوم عميق بابتسامة تظهر على شفتيها...

لا يعلم أحد عما كانت تحلم به، وإلى من تبتسم...

كان حلمًا ورديًّا برائحة الزهور، كان جميلًا لدرجة أن وهج انزعجت عندما فتحت عينيها وانقطع حلمها بسبب أشعة الشمس المتساقطة عليها...

ألقت نظرة إلى سرير تالين الذي كان مُرتَّبًا وخاليًا..

استغربت من عدم وجود أختها، سألت نفسها:

- متى استيقظت هذه الفتاة؟! فالوقت مبكر جدًّا

ثم نظرت إلى هاتفها الذي كان يشحن آنذاك لتجد رسالة مرسلة قبل ساعة من تالين...

«صباح الخير يا وهج قلبي..

أعلم بأنك ستستغربين من عدم وجودي، لكني استيقظت باكرًا لأن يزن هاتفني، يريدني أن أتناول طعام الإفطار معه.. سأتصل بك لاحقًا..»

ثم اختتمت رسالتها بقلوب حمراء..

في تلك الأوقات..

كان يزن و تالين يسيران في حديقة كابيلانو الشهيرة بعد انتهائهما من وجبة الإفطار، ممسكين بعضهما بأيدي بعض..

قالت تالين:

- آه الطقس رائع هذا اليوم

- رائع بإشراقتك عزيزتي. أجابها بابتسامة

ضحكت على استحياء..

- ما رأيكِ أن نذهب ونجلس على ضفاف النهر؟

- فكرة شاعرية، موافقة

- إذًا دعينا نسر على جسر النسيان كي نصل إلى الضفة الأخرى للنهر، فالمكان هناك هادئ وساحر

- تقصد الجسر المعلق

- هذا الاسم القديم، فحديثًا أصبح يطلق عليه جسر النسيان لأنك بمجرد أن تعتليه وتبدأ خطواتك بالسير فوقه سوف تنسين كل همومك

قهقهت تالين عاليًا:

- بالطبع سوف ينسيك همومك، ويصبح همك الوحيد هو الوصول للطرف الآخر من الجسر من شدة الرعب، يزن أنا أخاف المرتفعات، لذلك سأغمض عيني حينها وستكون أنت دليلي

- حسنًا، لا تخافي طالما أن يزن معك

سارا في الحديقة متجهين إلى جسر النسيان، وعند وصولهما نظرت تالين إلى أسفل الجسر ثم إلى يزن والخوف يسكن عينيها، تشبثت بذراعه بقوة، طلب منها أن تغمض عينيها ثم تقدما نحو الجسر حتى صارا فوقه تمامًا، شعرت تالين بحركة الجسر يَمنةً ويسرة، ارتعش جسمها فزعًا وبدأت ساقاها

بالانتفاض، كان يزن يسير بها على مهل مراعاةً لها، إلى أن وصلا أخيرًا للجهة المقابلة فتنفست الصعداء..

جلسا أمام النهر يتأمَّلان روعة المنظر، فراشات تطير بألوان متنوعة، رائحة الأزهار تنتشر في المكان، صوت مجرى ماء النهر يعزف مقطوعته العذبة بلا توقُّف طيور تغرد محلقةً حول المكان، كانت تالين تستند على يزن بظهرها بينما هو كان يحتضنها ويقبِّل وجنتها..

همس في أذنها بينما كان يداعب خصلات شعرها:

- أحبك تالين

- أحبك للدرجة التي جعلت جولييت تغرس خنجرًا بقلبها وتكون آخر أمانيها أن ترقد بسلام بجوار روميو

- أحبك لدرجة أني لا أريد لأحد أن يقضي وقتًا معك سواي إنني أغار من ذلك الوقت حينما يكون لغيري، وأغار على ثغرك الباسم حين ينطق باسم غير اسمي

بصوتٍ منخفض وخجول:

- يزن

- بالمناسبة، أيحق لي تقبيل ثغرك عندما ينطقني؟!

- يحق لك ما لا يحق لغيرك

وما أن انتهت تالين من جملتها حتى باغتها بقبلة دافئة طبعها على شفتيها...

- لقد أسرتِ قلبي برقتكِ

- وهل تعلم أنت ماذا فعلت بي؟!

- ماذا؟!

- لقد سرقت عقلي قبل قلبي وغيَّرت مفاهيمي ومبادئي، بل إنك هدمت جميع معتقداتي عن الحب وأعدت تشكيلها من جديد، جعلتني أومن بالحب وأن لكل شخص في هذه الحياة روحًا أخرى تنتظره في مكان ما كي ترتبط به، وها قد وجدتك

- وبحبك لي! جعلتني أسعد رجل في العالم، أريدك معي ولي وحدي وللأبد

- وأنا هي فتاتك الوحيدة والمتفردة داخل قلبك، ثق بأن قلبي لم يخفق ولن يخفق لرجل غيرك يا أميري الوسيم

نظرت إلى عينيه العسليتين وقبلته:

- يزن

- ماذا يا عزيزتي؟

سألت على استحياء:

- هل حقًّا يجدر بنا العودة من الطريق نفسه إذا أردنا الخروج من الحديقة؟!

ابتلعت ريقها ثم أكملت:

- هل يجب علينا عبور جسر النسيان مرة أخرى؟!

انفجر يزن ضاحِكًا بصوتٍ مرتفع، ضحكت تالين معه:

- للأسف يا أميرتي ستنسين همومك مرة أخرى، وسيكون جل تفكيرك في كيفية الوصول للضفة المقابلة

مضى الوقت سريعًا بينما كان العاشقان سعيدين معًا وهالة من الحب تحيط بهما..

هذا هو حال الوقت، إذا شعر بأنك سعيد! يمضي سريعًا كي لا تستمتع به كثيرًا،

بينما إذا شعر أنك حزين يتوقف لينظر إلى حزنك حتى يجعلك تشعر ببطئه..

وهذا ما حصل مع وهج تمامًا..

فقد كانت تجلس في غرفتها طوال اليوم، تتذكَّر ذلك اليوم الماطر، الشجيرات التي نامت أسفلها وفرط بكائها، خروجها من منزلها بلا عودة، تتذكَّر وجه والدتها وهي تطردها، الرعب الذي عاشته وحدها، النظرات القذرة التي كان زوج والدتها ينظر إليها بها، ذلك اليوم الذي ترك جرحًا لا يلتئم في قلب وهج..

فتحت باب الغرفة لتخرج منها أخيرًا، لكن سرعان ما تذكَّرت خوفها من مقابلة زوجة والدها التي كانت تشاهد التلفاز بالطابق السفلي، إلى أن تشجَّعت وقرَّرت النزول..

رأت تينا وهج تنزل السلالم بهدوء وصمت، تظاهرت بعدم رؤيتها لها، بدأت تقلب بين محطات التلفاز، توجَّهت وهج إلى المطبخ سكبت لنفسها كأسًا من الماء الفاتر، كانت تشعر بالجوع لذا فتحت باب الثلاجة لترى ما يوجد داخلها، لا تعرف ماذا تريد تحديدًا، أغلقت باب الثلاجة، التفتت حولها بحثًا عن شيء يُؤكل لكنها لم تجد شيئًا، خرجت من المطبخ، ألقت نظرة إلى ما تفعله تينا، أرادت الجلوس معها لكن الخوف مـــن ردة فعلها

أوقفها، صعدت السلالم مجدَّدًا..

- وهج. نادتها تينا من بعيد

عادت للطابق السفلي لترى ما تريده منها تينا بقلق..

- نعم يا خالتي. أجابت بتوتر

- تعالي واجلسي معي، إني أشعر بالملل قليلًا

- حاضر

ذهبت نحو غرفة المعيشة وجلست على إحدى الأرائك..

- كيف كانت ليلتك البارحة؟! هل أزعجتك تالين بكثرة حديثها؟!

- على العكس تمامًا فقد خلدت تالين إلى النوم قبلي، كانت ليلة هادئة وجميلة

- يبدو أنك كنت تفكرين بشيء ما طيلة الليل أليس كذلك؟!

- لا إطلاقًا، فقط كنت أتأمَّل سماء فانكوفر ونجومها اللامعة

بدأت تينا تتأمَّل في ملامح وهج بصمت، تنظر إلى عينيها الناعستين أكثر..

- وهج. قالت بهدوء

- نعم خالتي؟

- حدثيني عن نفسك، عن حياتك السابقة، عن والدتك

سكتت قليلًا ثم أكملت:

- أريد أن أعرفك أكثر، لا أريـــــدك أن تخافي مني، نعم في البداية قابلتك

بطريقة فظة، لكنها كانت نتيجة لصدمتي وعدم تصديقي للأمر، لم أتقبل وجودك في حياتي، فتاة غربية من آخر العالم تكون ابنة لزوجي وأختًا لابنتي وستعيش في منزلي، لكن بعد أن سمعت تلك الجمل التي قلتِها لأمجد، شعرت بهالة من الثقة تحيطك، كنتِ قوية جدًّا لدرجة أنك عفوت عن والدك الذي تركك وحيدة طوال حياتك، لم أرَ في حياتي شخصًا يمتلك كل هذه القوة والثقة اللتين تمتلكينهما يا وهج

تفاجأت وهج من كلمات زوجة والدها..

- افتحي لي قلبك يا وهج، أرجوك

تردَّدت قليلًا ثم قالت أخيرًا:

- خالتي تينا، من أين يجب علي البدء، طفولتي التي كانت بلا أصدقاء؟! حبي

للعتمة الذي ازداد يومًا بعد يوم؟! أمي التي كانت تهينني كل يوم وتطلب مني أجرة مكوثي معها بالمنزل؟! الرجال الذين كانوا يدخلون منزلنا في عطل نهاية الأسبوع وبرفقتهم بعض الخمور؟! كنت أحارب العالم وحيدة، كنت أطلب من الرب أن يبدل حالي، أن يهبني عائلة تهتم بي وتشعرني بالدفء الذي كنت أشاهده في الأفلام

وفجأةً قامت تينا عن مقعدها لتجلس بجوار وهج وربتت على كتفها:

- لا تقلقي يا ابنتي فقد انتهى كل شيء، أنت بين عائلتك

ثم عانقتها بشدة..

اتَّسعت عينا وهج، دقات قلبها تتزايد، شعور غريب ينتابها شعور دافئ مريح، سألت نفسها: «هل هذا هو حضن الأم الذي يريح جميع القلوب

المنهكة؟! أشعر براحة عجيبة، لدرجة أني أود البكاء، نعم أريد البكاء الآن»..

بكت وهج وهي تحتضن تينا:

- خالتي حضنك مريح للغاية، لماذا لم تحضني أمي يومًا هكذا؟! هل استكثرت على ابنتها هذا الشعور؟!

- لا تبكي يا ابنتي، لا تبكي فأنا سأكون معك من الآن فصاعدًا، ولن أجعل أي مكروه يصيبك

ضحكت وهج وهي تبكي..

- ابنتك؟! لم أسمع أمي يومًا تقول لي هذه الكلمة اللطيفة، لا لا هي ليست أمي وأنا لست ابنتها، أنتِ أمي أنتِ أمي وأنا ابنتك أنت، هل لي أن أقول لك أمي؟!

- بالطبع يا وهج تستطيعين، يا ابنتي الجميلة

طال العناق، وساد الصمت..

كانت صورتهما جميلة لو التُقطت، أمٌّ تحتضن ابنتها التي عادت بعد غياب طويل..

وبدون سابق إنذار، قرقرت معدة وهج، ضحكت تينا قائلةً:

- يبدو أنك تشعرين بالجوع، تعالي إلى المطبخ لنعد لك طعام الإفطار

- حسنًا. أجابت على استحياء

- بالمناسبة، كيف تعلَّمتِ التحدُّث باللغة الإنجليزية؟!

- كنت أعمل في أحد المطاعم الشهيرة في مدينتي التي كانت وجهة أساسية للسياح الأجانب الذين يتطلعون لتناول الطعام هـناك، وبسبب احتكاكي

بالزبائن تعلَّمت الكثير منهم، ثم طوَّرت لغتي بنفسي عن طريق الإنترنت

- جميل، جميل جدًّا، أحب عزيمتكِ وإرادتكِ في الوصول إلى ما تريدين مهما كانت الطريقة

بدأت تينا تعدُّ وجبة الإفطار لوهج بكل سعادة وامتنان، بينما ظلَّت وهج تحكي لها عن حياتها وكيف عاشت، حكت لها الكثير عن والدتها ومعاملتها، عن زوج والدتها وخبثه، كانتا منسجمتين معًا لأبعد درجة، وكان حلم وهج بدأ يتحقق شيئًا فشيئًا..

***

في المساء، وكأي مساء..

عاد أمجد من عمله ويصادف عودته عودة ابنته تالين من الجامعة، تقابلا عند عتبة الباب، تفعل تلك العادة العربية التي تعلمتها وتربت عليها منذ صغرها من والدها وهي تقبيل يده، قبَّلت يد والدها احترامًا له وتقديرًا لتعبه في عمله ليُلبي حاجاتها ولتعيش عيشة هنيئة، دخل الاثنان للمنزل، اشتما رائحة طعام العشاء الشهية الخارجة من المطبخ وفي كل مساء يخمنان معًا ماذا قد أعدت تينا للعشاء من تلك الرائحة، لكن هذا المساء لم يكن يبدو كأيٍّ مساء معتاد، فقد لاحظا شيئًا غريبًا للغاية كان يحدث، شيئًا جعلهما ينظران بعضهما إلى بعض مستغربين ما يسمعانه..

ضحكات في المطبخ..

ضحكات تينا..

ثم تتبعها ضحكات وهج..

اقتربا من المطبخ شيئًا فشيئًا..

حتى وجدا وهج هي من تطبخ طعام العشاء هذا المساء، بينما كانت تينا تجلس على أحد كراسي طاولة المطبخ مُبتسِمةً مُستمتعةً بالحديث مع وهج..

- هل ترى ما أراه يا أبي؟! سألت تالين غير مصدقة ما تراه أعينها

- أرى يا ابنتي، هل نحن في الحلم ذاته أم هو واقع نعيشه؟! أيها الرب إن كان هذا حلمًا فلا تجعلني أستفيق منه

أجابت بصوتٍ منخفض يكاد يسمعه:

- آمين

التفتت وهج لترى والدها وأختها الصغرى يقفان عند باب المطبخ والدهشة مرسومة على وجهيهما..

ضحكت ثم قالت:

- ها قد وصلا يا أمي، انظري إلى ملامحهما

- أمي!! قالت تالين

- أمي!! -قال أمجد- أيقنت الآن أني أحلم، نعم أحلم، فهذا لن يحدث إطلاقًا في الواقع

استدارت تينا لتراهما، قهقهت عاليًا:

- بل هو الواقع بعينه يا عزيزي

- كيف!!

- لا تسألني، اسأل ابنتك اللطيفة

- كيف يا وهج !؟

- لا شيء يذكر، كنا وحدنا في المنزل وقد شعرنا بالملل فقررنا أن نصبح رفقة. ضحكت

- لن أكترث كثيرًا بالتفاصيل، سأعيش هذه اللحظة الخيالية الرائعة كما هي

- يفضل ذلك. أجابت تينا

دخلت تالين المطبخ لترى ما الذي تطهوه أختها..

- ما هذا يا وهج؟!

نطلق عليها في بلادنا بـ «المحاشي»

- المحاشي؟!

اتَّسعت عينا أمجد:

- المحاشي!! هل حقًّا تعرفين طريقة إعدادها وطهيها؟!

أجابت تينا عنها:

- لو لم تعرف لما أخذت الإذن مني في إعداد طعام العشاء لنا اليوم، قالت لي إنها تود أن تذوقنا أحد الأطباق العربية الشهيرة، لذلك هي من أعد الطبق الرئيس لليوم، بينما أنا اكتفيت بإعداد السلطة اليونانية

- رائحتها شهية. قال أمجد

- جدًّا جدًّا. أكملت تالين واللعاب يسيل من فمها

- ها قد جهز الطعام، اذهبوا واغسلوا أيديكم ريثما أعد المائدة. صاحت

وهج بحماس

ثم بدأت بترتيب المائدة، وضعت الأطباق، الشوك، السكاكين، ساعدتها تالين في وضع الصحون والكؤوس، تأمَّلت تينا بابتسامة تعاون الأختين، ثم أتى زوجها احتضنها بقوة شاكِرًا لها على ما فعلته مع وهج..

جلس الجميع إلى المائدة متحمسين لتذوُّق ذلك الطبق العربي الشهي، نظرت تينا في أحد كراسي المائدة الذي ظلَّ خاليًا، الكرسي الأخير، سرحت في فكرها قليلًا ثم سألت ابنتها:

- هل تحدثت اليوم مع بيتر يا تالين ؟!

- لا، تحدثت معه ليلة البارحة، لماذا؟!

- أود أن يكون برفقتنا وأن يشاركنا العشاء ويتذوَّق هذا الطبق الجديد، أريد أن تكتمل جميع الكراسي اليوم، بلا كرسي خالٍ، اتصلي به وناوليني الهاتف

اتصلت ثم ناولتها الهاتف..

أجاب بصوتٍ متعب:

- أهلًا مشاكل

- أنا أمها

- أهلًا خالتي تينا، كيف حالك؟!

- بخير يا عزيزي ما بك؟! لِمَ صوتك هكذا؟! هل أنت مريض؟!

- لا، أشعر فقط بالإرهاق، كنت أعمل منذ ليلة البارحة على إحدى القضايا المتعِبة ولم أعد للمنزل إلا قبل ساعة

- كان يومًا مُتعِبًا إذًا، لم تتناول العشاء بعد أليس كذلك يا صغيري؟!

- لا، أشعر أني عاجز حقًّا عن الطبخ اليوم، ربما سأطلب من أحد المطاعم، أو ربما أخلد للنوم دون عشاء

- لا تطبخ شيئًا، ولا تطلب من أي مطعم، ولا تخلد للنوم الآن، تعال إلى هنا نحن ننتظرك على العشاء

- شكرًا يا خالتي، لكني مرهق حقًّا، ثم إني مرتدٍ بجامتي، أشعر بالكسل حتى في تغييرها

- قلت لك تعال لن آكل إلا وأنت معنا، الطعام على المائدة ونحن ننتظرك

- خالتي أرجو...

- تعاااال، تعال ببجامتك لا يوجد بيننا غريب

نظرت تينا إلى وهج مُكملةً حديثها:

- ثم إن عشاءنا الليلة طبق عربي جديد من صنع وهج، تعال وتذوقه معنا، يبدو لذيذًا جدًّا

ابتسمت وهج لها بخجل..

- حسنًا سآتي، لا أريد أن يفوتني هذا الطبق، دقائق وسأكون بينكم

- هيا سأقوم بفتح الباب لك حالًا. ثم أغلقت الخط

نظرت إلى ابنتها وقالت:

- سيأتي، لكنه يشعر بالإرهاق، جهزي مكانه وأحضري له صحنًا ريثما أفتح الباب

ذهبت تينا لفتح الباب، رأت بيتر يقترب إلى المنزل، لم يُلقِ التحية، بل ارتمى في حضنها، رأت التعب يسكن عينيه، أدخلته إلى الداخل، ألقى التحية على الجميع ثم جلس على الكرسي الذي كان ينتظره، نظر إلى الطعام ثم ابتسم في وجه وهج والتي كانت تنظر إليه باستحياء:

- الرائحة جميلة، ما اسم هذه الأكلة؟!

أجابت تالين بسرعة:

- المحاشي

- هممم المحاشي، هلا شرحت لي قليلًا عنها يا وهج؟ أقولها للمرة الثانية: «يا وهج» أسمعتِ يا مشاكل؟! لا تتدخلي ودعي وهج تتكلم

- فهمت فهمت هيا تكلمي يا وهج أسمعيه صوتك العذب، أوامر أخرى سيد حلول؟!

ضحك الجميع على تالين، ثم بدأت وهج بالشرح:

- تعتبر المحاشي من أهم الأطباق في مختلف بلدان الوطن العربي، وتختلف طريقة إعدادها من منطقة إلى أخرى، ويقدم هذا الطبق ساخنًا كوجبة رئيسة، وتتميَّز المحاشي أيضًا بوفرة الخضار المستخدمة فيها، فيمكنك حشو الباذنجان أو الكوسا، ورق العنب، الخيار، البصل، اليقطين، البطاطس أو الفليفلة، وغيرها من الخضار الشهية والمفيدة

- جميل، لا بل رائع جدًّا، لن أنتظر أكثر لتذوقها، فقد سال لعابي

بدأ الجميع بتناول العشاء والحماس في وجوههم، وبدأت معها بعض الحوارات والنقاشات الاجتماعية، شعرت وهج بالفرح يملأ قلبها، فقد نال الطعام استحسان الجميع..

وأهمهم بيتر..

✵✵✵

استلقت كلٌّ من تالين ووهج على فراشها استعدادًا للنوم، تنظران إلى السقف بصمت، صمت التفكير، صمت السرحان، إلى أن كسرت وهج ذلك الصمت:

- ما الذي تفكرين به أختي تالين؟!

- لا شيء، ماذا عنك أنت؟!

سكتت قليلًا ثم أجابت أختها:

- أفكر كيف عشت مع امرأة كانت تقسو عليَّ دائمًا، كيف صبرت على ظلمها، والأفظع من هذا كله كيف كنت أناديها بما لا ينطبق عليها!! كنت أقول أمي لكن دون أن أستشعرها، لم أشعر يومًا بالحنان الذي يتغنى به المغنون عن الأم، أو بالاهتمام والتضحيات التي كنت أسمع بها، كانت فقط كلمة عابرة في حياتي، اسم أنادي به أقسى امرأة عرفتها

- وهج لا تفكري بالماضي أرجوك، فكري في حياتك القادمة، في مستقبلك، ماذا ستكونين، أنت قوية يا أختي، قوية بما يكفي كي تصنعي ما تريدين، وأنا فخور كوني أختك

- أنا هي من يفتخر بك حقًّا يا تالين، يا مهندستي الصغيرة، لكن أتعلمين اليوم شعرت بذلك الحنان، الاهتمام، الخوف، شعرته في والدتك، في حضنها، في ابتسامتها، لذلك هي من يجب أن أناديها بـ «أمي»، أمر غريب أن تجد هذا الحب من شخص لم تعرفه من قبل، أنت محظوظة بوالدتك يا تالين

- إنها والدتك أيضًا، كما قالت لك أمي هذا المساء، أصبح لديها ابنتان جميلتان تعتني بهما

- نعم، ذلك لطيف منها حقًّا، وأبي كان يبتسم لي طوال المساء، بالمناسبة ابتسامته جميلة

- طبعًا وإلا لما تعلقت أمي به في شبابها

ضحكتا بصوتٍ مرتفع..

- اصصص، اخفضي صوتك كي لا يستيقظا. قالت وهج

- دعيني أخبرك ماذا فعلت اليوم، لكن هذا سيظل سرًّا بيننا مفهوم؟!

- قولي أنا أسمعك

اعتدلت تالين في جلستها مُتحمِّسةً:

- قبّلت اليوم يزن

شهقت وهج:

- كيف!!

- كيف!! كقبل الأفلام. ثم ضحكت

- أعرف أنك تحبينه لكن هل تثقين به؟!

- أحبه جدًّا يا أختي أحبه لدرجة أني أشعر بنبضات قلبي تتسارع حينما أكون معه، أحبه ولا أريد العيش بدونه، نعم أثق به وبحبه لي ثقة عمياء، يزن شاب صادق طيب القلب، ووسيم أيضًا

- أتمنى أنه يحبك كما تحبينه أنت، أتمنى أن يستحق هذه الثقة العظيمة

التي منحتها إياه

- هو لا يحبني فقط، بل يهيم بي أنا متيقنة من ذلك

ساد الصمت للحظة..

- هل يعلم بيتر بأمر يزن؟!

- بالطبع لا، لا أحد يعرف بهذا الأمر غيرك

- غريب، لماذا تخفين على بيتر أمرًا مهمًّا كهذا؟!

سكتت تالين، تذكرت حديثها مع جودي تلك الليلة..

- لماذا يا تالين؟!

- سأخبره سأخبره، لكن ليس في الوقت الراهن

- لم تبرري لي سبب صمتك لكن حسنًا

- أوه نسيت أن أخبرك بشيء أيضًا

- ما هو؟!

- قابلت اليوم صديقتي المقربة إيميلي في الجامعة وتحدثت معها عنك كثيرًا حتى أصبحت متشوقة جدًّا للقاء بك

- بي أنا؟!

- نعم أنتِ، تريد التعرُّف عليكِ، أعرف أنك لن تتذكريها لكنها كانت هنا يوم مجيئك إلى المنزل

- للأسف لا أتذكر، كنت خائفة ومتعبة في تلك الليلة، لكن لا مانع لديَّ بما

أنها صديقتك المقربة

- إذا سأخبرها غدًا عن موافقتك

- حسنًا

- هل نخلد للنوم الآن؟! فلديَّ بعض المحاضرات صباحًا

- هيا أغمضي عينيك يا صغيرتي

أُغمضت العيون..

بدأت الأفكار تجوب في الأذهان..

بل ربما بعض الأشخاص أيضًا قد داهموا تلك الأذهان..

***

(جوليان ومارثا)

ما أجمل السماء هذه الليلة، نجوم متلألئة، قمر مكتمل، غيوم تحجب ضوءه، وطقس بارد..

كانت مدينة فانكوفر مكتظة هذا المساء، الشوارع، المتنزهات، المحال التجارية، المطاعم المقاهي، الحانات، كلها مستيقظة..

في شارع روبسون، وفي مطعم ريد روبن، وفي الطابق الثاني تحديدًا، كان الزبائن يملؤون المكان، وهناك وعند تلك الطاولة المجاورة للنافذة المُطِلَّة على الشارع، تجلس فتاة نحيلة ذات شعر عسلي مُموَّج ومجعد، مرتديةً سترتها الصوفية الزرقاء الطويلة الأكمام، تنتظر قدوم أحدهم، تنظر عبر النافذة إلى المارة، تنظر والحزن بات واضحًا على ملامحها، عينان ممتلئتان بالدموع، يدان ترتجفان غارقة في فكرها، تفتح حقيبة يدها، تُدخِل إحدى يديها المرتجفتين لتُخرِج ورقة، تقرؤها، تعيد القراءة ثانية، إلى أن لمحت دخوله إلى المطعم، أعادت الورقة، أغلقت الحقيبة، مسحت تلك الدموع، اعتدلت في جلستها، ابتسمت ابتسامة عريضة كاذبة، أشارت بيدها له كي يراها، اقترب نحوها، كان شابًّا طويل القامة، مفتول العضلات، حسن المظهر..

قال مُبتسِمًا وهو يجلس أمامها:

- آسف على التأخير يا مارثا، جعلتك تنتظرين كثيرًا، لكني علقت وسط زحام فظيع

- لا عليك حبيبي، المهم هو أنك وصلت، أما بالنسبة للانتظار فهو في بعض الأحيان مسلٍّ

قطب حاجبيه مُستنكِرًا:

- وكيف يكون الانظار مُسلِّيًا يا فيلسوفتي المدللة؟

- على سبيل المثال عزيزي جوليان، عندما كنت أنتظرك جلست أتأمَّل في وجوه عابري الطريق، أحدهم كان يبدو سعيدًا لخبر تلقاه عبر هاتفه عندما كان يسير على الرصيف، وآخر بدا منزعجًا بسبب تصرفات أطفاله المشاكسين، وأخرى رأيتها تشتري وردة من بائعة على الرصيف ثم جلست بمفردها على ذلك الكرسي المقابل للحديقة وفجأة بدأت بالبكاء وبيدها الوردة، وكأنَّ الوردة هي الوحيدة التي كانت تواسيها وشاهدة على حالها، هنا سألت نفسي ما سر تلك الدموع؟! أهو حنين لأحدهم؟! أم أنه انتظار شخص وعدها بالقدوم لم يأتِ؟! أو في الغالب ضغوطات الحياة هي من جعلتها تنفجر بالبكاء وحيدة، نعم فضغوطات الحياة تفعل هذا وأكثر صدقني

- أتفق معك يا مارثا، فالضغوطات تهدر طاقة الإنسان سواءً كانت نفسية أو جسدية

- هناك قصص كثيرة تحكيها وجوه العابرين، فقط انتظر وتأملها

- ووجهك ماذا يحكي؟!

أجابت باستحياء وهي تداعب خصلة شعرها:

- ماذا ترى أنت؟! أخبرني

- يحكي قصة كفاح، يحكي عن الجمال والبراءة، يحكي عن أرق فتاة عرفتها في حياتي، يحكي قصة حبيبتي

ثم أمسك يدها وقبلها..

- جوليان، تعرف كم أحبك، وتعرف أنك ملجئي الوحيد، ففي عينيك أرى السعادة، وعندما أكون بين ذراعيك أشعر بالأمان، لكني..

سكتت..

- لكنك ماذا؟! أكملي يا مارثا

- لا شيء، أشعر أني جائعة، ما رأيك أن نطلب؟ نظر إلى عينيها، قبض على راحة كفها:

- أكملي، ماذا بك حبيبتي؟

- لا شيء مهم، سأخبرك لكن بعد أن نتناول طعام العشاء، فأنا جائعة حبيبي جوليان

ابتسمت له..

نادي جوليان النادل، طلب وجبته المعتادة، رويال ريد روبن برجر، التي تحتوي على قطعة لحم يوضع فوقها اللحم المقدد المدخن والبيض المقلي والجبنة الأمريكية، والخس، والطماطم، سأل النادل مارثا عن طلبها، كانت محتارة في عِدَّة أطباق، أعاد النادل السؤال:

- ماذا تودين أن تطلبي آنستي؟!

نظرت مارثا إلى جوليان وسألته:

- ماذا لو كان هذا عشاءك الأخير، ما الذي تفضل أن تأكله؟!

ضحك بسبب حيرتها:

- لو كان هذا عشائي الأخير، أفضل أن آكل شيئًا اعتدت على تناوله، لن أغامر في عشائي الأخير لأطلب شيئًا لم أجربه من قبل

استمر ضاحكا، ثم أكمل:

- على الأقل أموت وأنا أشعر بالشبع لا الجوع

نظرت مارثا إلى النادل لتجيبه أخيرًا:

- أريد أن أطلب برجر الدجاج المقرمش

- حسنًا أيها السيدان، أمهلانا بعض الوقت ليتم إعداد طعامكما على أكمل وجه

ذهب النادل إلى المطبخ ليوصل طلبات الزبائن، ذهب جوليان إلى دورة المياه ليغسل يديه، وهناك أمام المرآة أخرج صندوقًا مخمليًّا أحمر صغيرًا كان في جيبه ثم فتحه وتأمل الخاتم المستقر داخله، كان خاتم زفاف مُرصَّعًا بالكريستال ذا بريق يخطف الأنفاس..

تخيَّلَ أن مارثا أمامه فقال:

- مارثا هل تقبلين الزواج بي؟!

ابتسم بخجل ثم أغلق الصندوق وأعاده في جيبه، عاد إلى الطاولة التي لم تبرح مارثا عنها، بدأ يُحدِّث حبيبته عما فعله طوال يومه، بينما هي ظلَّت صامتة تنظر إليه بابتسامة باهتة، إلى أن وصلت وجبتاهما، وبينما كانا يتناولان الطعام، حدثت مارثا جوليان عما حصل لها مساء البارحة، أخبرته أن مديرها في العمل قد طردها من وظيفتها، قالت له إنها كانت مظلومة، وإن سبب طردها كان مُدبَّرًا من إحدى الموظفات اللواتي يعملن معها، بل كانت صديقتها هي السبب الرئيس في طردها، غضب جوليان وسألها لماذا لم تخبره بهذا ليلة البارحة..

أجابت بكل برود:

- لم يعد يهمني شيء، لا الوظيفة ولا أي شيء آخر، فمنذ أن توفيت أمي قبل أسبوعين وأنا ما عدت أنا، ماتت مشاعري يوم فقدي لأمي

- لا تقولي هذا أرجوك، أنا معك، وسأحاول حل المشكلة، سأبحث لك عن وظيفة تليق بك يا مارثا، فقط لا أريدك أن تحزني، لا أريد للحزن أن يسكن عينيك اللتين هما جنتي

- شكرًا جزيلًا لك عزيزي جوليان، لكن لا داعي لهذا حقًّا، لن أحتاج إلى وظيفة مجدَّدًا

- كيف ستعيشين؟!

- لا تقلق، فقط دعنا الآن نستمتع بعشائنا

ظلَّ جوليان صامتًا يفكر في حال المسكينة، إلى أن انتهيا من تناول طعامهما، ذهبت مارثا إلى دورة المياه، في تلك الأثناء أخرج جوليان الصندوق من جيبه وبدأ يعيد قول جملته، وكأنَّ الجملة كانت صعبة الحفظ، شعر بالتوتر الشديد عندما تذكَّرَ أن اللحظة قد اقتربت..

بدا الوقت ثقيلًا على قلبه...

يشعر بأن الثواني أصبحت دقائق..

والدقائق أصبحت ساعات..

ينتظر حبيبته بلا صبر..

لقد تأخرت..

ينتظر هو أكثر..

ينتظر وينتظر..

وإذا به يسمع صراخ الزبائن وهم يشيرون بأيديهم إلى شرفة المطعم الخارجية، ينظرون والرعب بات واضحًا على أعينهم، يطلبون النجدة للمساعدة، تخرج بعض السيدات والسادة إلى الشرفة، لم يفهم ما يحدث، يلحق بالجميع إلى الخارج ليرى ماذا هناك..

عندها رآها..

رأى مارثا تقف على حافة شرفة المبنى مبتسمة، والناس مجتمعين حولها يطلبون منها النزول عن تلك الحافة، لم يصدق ما رآه، اقشعر جسده فجأة، بدأت أطرافه ترتعش، أراد الصراخ لكن صوته بدا مكتومًا، تلعثم لسانه، ينظر إليها ويبكي، تقدَّمَ أكثر نحوها حتى أصبح أمامها مباشرة:

- مارثا، لا تفعليها، أتوسل إليك

كانت كلماته ممزوجة ببكاء..

- لا تبكِ جوليان، أنت أقوى وأشجع رجل عرفته، لا تبكِ، لا أريد أن تكون آخر صورة لك في ذاكرتي حزينة

صرخ غاضبًا:

- هل جننتِ!! مارثا اتركي تصرفاتك الصبيانية وانزلي هنا حالًا!!

- اليوم هو يومي الأخير في هذه الحياة البائسة، الحياة المليئة بالشر، المليئة بالنفوس الشريرة، مليئة بالشياطين التي تسير بيننا بلا رحمة، تفتك ببراءتنا، بإخلاصنا، بصدقنا، بعفويتنا، بمحبتنا

- أرجوك أرجوك مارثا انزلي. يقولها والدموع تنهمر من عينيه

- كل ما أردته الليلة هو تناول عشائي الأخير مع أصدق وأرق قلب أعرفه، مع حبيبي

تقدَّمَتْ أكثر نحو الحافة..

شهق الجميع..

تنظر إلى جوليان ببراءة:

- جوليان، أحبك أحبك جدًّا يا شخصي الوحيد

- لا، لا تقولي هذا الآن، لا تقوليها وكأنك تودعينني

- أنا حقًّا أودعك الآن يا حبيبي الجميل

جثا على ركبتيه وانهار باكيًا، توسَّلَ إليها ألا تفعلها، توسَّلَ معه أيضًا كل من كان شاهدًا على الحادثة، وقف جوليان وقرَّرَ أن يقترب منها، صرخت في وجهه تطلب منه الرجوع مكانه

يصرخ مجدَّدًا:

- لكن لماذا؟! لماذا الانتحار

سقطت دمعة من عينها:

- لم يبقَ لي شيء لأعيش من أجله، تعبت كثيرًا جوليان، كنت التزم الصمت عن أشياء كثيرة حدثت لي حتى شعرت أني أختنق، أرهقتني جدًّا ضغوطات الحياة، معاملة الناس لي، وفاة أمي، جميعها كانت مؤلمة لروحي التي أرادت الراحة فقط

سكتت قليلًا عندما رأت حال جوليان المحزنة أمامها:

- تركت لك في حقيبتي رسالة، لم أرغب يومًا بتركك جوليان أرجو أن تتفهم رغبتي وموقفي، أنا فقط أريد الخلاص

- جميع مشكلات الحياة تُحَل، أنا سأحل جميع مشكلاتك، سـأكون إلى

جانبك ولن أتركك، فقط لا تفعلى هذا أرجوك

- لقد استسلمت

صرخت بصوتٍ أعلى:

- أعلن استسلامي أيتها الحياة، لقد انتصرت أخيرًا عليَّ

- مااارثاااا

- لقد اتَّخذت قراري ولا رجعة فيه

- ماااارثاااا

- الوداع جوليان

- لاااااا

وفجأة!!

ألقت بنفسها من أعلى الشرفة، أمامه وأمام جميع الموجودين..

سُمِع صوت ارتطام قوي من الأسفل..

ركض جوليان إلى الحافة ليرى..

كانت الجثة هامدة على الرصيف وسط سيل من الدماء والناس حولها كقطعة سكر تحيطها عشيرة النمل..

شهق وصاح عاليًا:

- ماااااارثاااا

قفز جوليان من فراشه فزعًا من نومه، شرب كأس الماء الذي وضعه قبل

أن ينام بالقرب منه، تذكر تلك الليلة السوداء البشعة، ليلة العشاء الأخير، ليلة انتحار مارثا، قبل أن يطلب يدها للزواج، ليلة فقدانه السيطرة على نفسه، ليلة تحوُّل شخصيته إلى شخصية عدوانية تكره الناس وتمقتهم، ليلة انفصامه..

سأل نفسه:

- إلى متى سأظل أحلم بتلك الليلة؟

أجاب آريز عن سؤاله:

- إلى أن ننتقم من جميع من كان سببًا في عذابها وانتحارها، عندها فقط سننام مرتاحين، وبلا كوابيس

فتح أحد أدراج طاولة السرير الجانبية وأخرج ورقة مطوية كانت مخبأة بين بعض الدفاتر، كُتِب على ظهرها: «عزيزي جوليان»، بدأ يقرؤها بتأنٍّ كأنها المرة الأولى له:

«جوليان..

أكتب لك رسالتي وأنا أشعر بغصة في حنجرتي، لم أتخيَّل يوم أني سأودعك هكذا..

حتى أطرافي ترتعش خوفًا من فكرة الرحيل..

أحبك جوليان..

أحب أهتمامك..

عفويتك..

نظرتك..

ضحكتك..

مزاجيتك...

حتى عصبيتك..

أحبك..

ولأني أحبك! لا أريد أن أرى حزنًا في عينك سببه أنا..

لن أدعك تتألم معي أكثر، لن أجعلك تستنزف طاقتك بسببي أكثر..

لقد ضقت ذرعًا بمن حولي يا جوليان، فهم عديمو المشاعر، قلوبهم من حجارة، بلا وفاء، مخادعون، استغلاليون وحدهم من خنقني، وحدهم من قتلني حية..

فبسبب قلة المال، لم يصرف لي الصيدلي مايك دواء أمي، مما أدى إلى وفاتها..

بسبب غيرة وحقد صديقتي هيلدا فقدت سمعتي ووظيفتي..

بسبب عدم قبولي بالزواج من الجشع ديفيد رفع إيجار شقتي إلى الضعفين..

بسبب خطأ طبي أصبحت حياة أمي في خطر دائم..

جميعهم بلا إنسانية وبلا ضمير..

لكن وحدك المختلف..

كنتَ الخشبة التي أطفو بها في بحر حزني..

كنت النور الوحيد الذي أضاء عتمتي..

كنت عائلتي بعد وفاة أمي..

لكني اليوم أرحل عنك وفي قلبي آلام لا تنتهي..

أرحل متمنيةً لك السعادة في حياتك..

أكره الوداع لكنه الخلاص الوحيد...

الوداع...

مارثا»

سقطت دمعة من عين جوليان بعد قراءته رسالة حبيبته، شعر بالغضب والحرقة لما حدث لها وما عاشته من بؤس..

يقول في نفسه وهو يقبض يده:

- هي لا تستحق هذا كله، هم من يستحق العذاب، سأعذبهم إلى أن يؤمنوا بأن خلاصهم الوحيد هو الموت

أعاد الورقة إلى الدرج، أراد أن يطفئ النور الخافت القريب من رأسه لكن تركه مضيئًا، أخذ يتقلَّب على السرير إلى أن خلد للنوم مجدَّدًا..

***

في فترة ما في حياتك، ستشعر وكأنك تائه في عالم ليس بعالمك، مُحاط بأناس ليسوا بعائلتك، لا تشعر بالانتماء لهم، وكل ما يربطك بهم ليس إلا مجرد دم من الفصيلة نفسها، أفكارك تناقض أفكارهم، اهتماماتك تختلف عن اهتماماتهم، حتى طريقة حديثك مختلفة عنهم، ثم يرغمونك على أن تبدو مثلهم، يفرضون عليك فكرهم سواءً كان صحيحًا أم خاطئًا، ولن يحترموا رغباتك، المهم هو أن تشبههم، عندها ستفضل الوحدة على أن

تخدع نفسك بتقبُّل ذلك، ففي بعض الأحيان تكون الوحدة أجمل وأفضل من أن تخالط من يعكر صفو مزاجك، ستكون العزلة سلاحك الوحيد ضد من يحاول تغييرك إلى شخصية لا تناسبك، ربما ستطول مدة عزلتك، بل سترهقك أكثر كلما طالت مدتها، ربما سيُعرف عنك أنك غريب أطوار انطوائي بلا علاقات، بلا أصدقاء، منبوذ، كل ذلك في سبيل العيش على سجِيَّتك، إلى أن تجد شخصًا يشبهك، شخصًا يفهمك بطريقة مختلفة عنهم، عندها ستشعر بروحك قد تعلَّقَت بروحه، كأنَّ روحه أتت كي تخلصك من كل ما قد كبَّلك، تتشبَّث به ولا تريد الابتعاد أو الانفصال عنه، ذلك لأنك وبكل بساطة لم تجد شخصًا مثله..

وهذا ما حصل لي..

تركت وهج القلم وأغلقت دفترها الخاص، تنهدت قليلًا، وقفت بجانب نافذة حجرتها تنظر إلى منزله مُحتضِنةً الدفتر، دخلت تالين الحجرة بعد انتهائها من يومها الجامعي الذي كان شاقًّا، تثاءبت ثم ألقت بنفسها على السرير..

- آآه كم كان اليوم شاقًّا

نظرت إلى وهج التي بدت أنها لم تسمعها:

- بينما كنت أشق طريقي نحو المستقبل، لم تفارقي أنت هذه النافذة، بالمناسبة ما هذا الدفتر الذي بحوزتك؟!

لم تُجِب..

رمت إحدى الوسادات عليها..

- ماذا؟! ماذا يا تالين؟!

- إلى أين وصل خيالك؟!

- عاد إلى هنا بسببك، ماذا كنت تريدين؟!

- كنت أسأل ما هذا الدفتر الذي بين يديك؟!

نظرت وهج إلى دفترها مُبتسِمةً:

- إنه صديقي الوحيد و مخزن أسراري، هذا الدفتر عاش معي لحظات ضعفي، انهزامي سعادتي، بكائي، عاشها جميعها معي

سكتت قليلًا تتصفَّح صفحاته:

- أتعرفين ما الجميل فيه يا أختي؟!

- ماذا؟!

- أنه مستمع جيِّد، يستمع إلى شكاويك وصراخك دون أن يقاطعك أو يشعر بالضجر منك، يجعلك تُخرجين جميع ما بداخلك فيه إلى أن تشعري بالارتياح، ويذكرك بأخطائك دائمًا كي لا تعاودي تكرارها أو تنسيها

- هذه الصفات لا تكمن في معظم أصدقائنا، فالبعض يشعر بالملل من الشكاوى، فيفضلون الابتعاد عنك عوضًا عن الخوض في مشكلاتك الشخصية، يريدونك فقط وقت المرح، عدا ذلك فلا

- إنه أفضل من البشر، فالبشر يُفضَّل أن لا تستأمني سرًّا عندهم، لأن معظمهم سيستخدم سرك كسلاح يصوبه نحوك دون تردُّد إذا غضب أو استاء منك، بالنسبة لي شخصيًّا كانت الكتابة دواء لجميع الهموم والآلام، اكتفيت بهذا الدفتر صديقًا لي، ولن أجد صديقًا أفضل منه

سكتت قليلًا ثم أكملت:

- لهذا يا تالين أودُّ أن أشجعك على الكتابة، اجعلي دفترك يكون صديقك الخفي، احتفظي بأسرارك لنفسك ولا تجعلي أحدًا يعرف عنها سوى دفترك المخلص كي لا تتم أذيتك لاحقًا

فكرت تالين بكلام أختها الكبرى:

- أعتقد أني سأفعل بنصيحتك يا وهج، نعم أحتاج لبعض الخصوصية لنفسي، أريد البوح بأمور لكن ليس لمن حولي، سأبوح بها في دفتري الخاص

- هذا ما يجب عليكَ فعله، لا تثقي كثيرًا بمن حولك، هذه النصيحة كلفتني

عمرًا بأكمله كي أفهمها

ثم ساد الصمت..

ألقت تالين نظرة على شاشة هاتفها، لم تجد أي رسالة قد وصلتها، تمنَّت لو وصلتها رسالة منه تحديدًا، فتحت المحادثة التي دارت بينهما هذا الصباح وأرسلت دون تردد:

- أحبك

أتبعتها بقلب أحمر..

تركت هاتفها بجانبها ثم استلقت على السرير، ما أن أغمضت عينيها ووضعت ذراعها على رأسها حتى صدر صوت رسالة وصلتها:

- أهيم بك

- أتحبني لدرجة الهيام بي؟!

- لدرجة الهذيان باسمك

- ماذا فعلت بي؟!

أرسلت وجهًا يتورَّد خجلًا..

- ماذا؟!

- أصبحت لا أفكر بشيء إلا بك

- هذا ما أريده، ممنوع عليك التفكير بغيري

- حاضر، طلبات أخرى؟!

- لا

أرسل قلبًا أحمر..

ابتسمت، ثم كتبت له:

- ماذا ستفعل الليلة؟!

- كالعادة، أتخيَّلك معي

أرسلت ضحكات:

- يالك من مخادع ماكر

- ماذا ستفعلين أنت؟!

- لن أتخيَّلك طبعًا، سأخرج للتنزه مع أختي وصديقتي إيميلي

- بالمناسبة، كيف حال أختك؟! هل اعتادت على بيئتها الجديدة؟!

- نعم هي تتكيَّف شيئًا فشيئًا، أحاول مساعدتها قدر الإمكان كي تتأقلم أكثر على الحياة هنا

- لطيفة كعادتك، هذا ما أحبه فيك

- سآخذ قسطًا من الراحة قبل موعد الخروج، أتريد شيئا مني قبل أن أترك هاتفي؟!

- أريد قبلة صوتية سجلت له بنبرة مليئة بالدفء

- أموووواااح

- آه قلبي لا يتحمل هذا

- وداعًا أميري

- وداعًا أميرتي

تركت تالين هاتفها، لاحظت أن وهج كانت مقطبة حاجبيها وتنظر إليها باستغراب، ضحكت على شكل أختها..

- لمن كانت تلك القبلة؟!

- للذي سكن الفؤاد

- يزن؟!

- وهل هناك غيره؟! سنتسكع مع إيميلي هذا المساء في المدينة لذا كوني مستعدة

- حسنًا

في المساء..

التقى الفتيات بعضهن ببعض في أحد الشوارع التجارية وسط المدينة، كانت إيميلي أكثرهن حماسًا، تحدثت كثيرًا عن نفسها وعن صداقتها بتالين وعلاقتهما القوية، وجَّهَت العديد من الأسئلة لوهج عن حياتها السابقة، لكن وهج أجابت على القليل منها، أما الباقي فاكتفت بالإجابة لها بابتسامة صامتة، كأنها تقول لإيميلي بشكل مهذب: «لا شأن لك بحياتي»، احتسين القهوة الباردة بين الطرقات، تسوقن في بعض المحال الموجودة في إحدى ساحات فانكوفر الشهيرة، استمتعن بمشاهدة عرض غنائي قام به بعض الشبان على الرصيف، إلى أن جلسن أمام الشاطئ والبرد يداعب وجناتهن بلطف..

صاحت إيميلي مُستمتعةً:

- الجو رائع يا فتيات

ضحكت تالين مجيبة:

- نعم إنه كذلك حقًّا

قالت وهج بهدوء:

- لقد كان المساء جميلًا برفقتكما، فقد استمتعت معكما حقًّا

- كم أنت لطيفة يا وهج، مسرورة بمعرفتك

- وأنا كذلك

قاطعتهما تالين:

هل هناك قصة جديدة يا إيميلي؟!

- ماذا تقصدين؟!

ابتسمت بخبث قائلةً:

- قصة عاطفية، شخص جديد في حياتك، أعرفك تحبين تلك القصص

ضحكت:

- للأسف لم أجد الشخص المناسب إلى الآن

- لن تجديه أنت، بل سيجده قلبك من تلقاء نفسه

غمزت لها مجيبة:

- هل هذا كلام الكتب التي تقرئينها، أم أنه من واقع تجربة؟!

قضمت شفتها:

- أمممم، من واقع تجربة عزيزتي

- يبدو أن حب يزن قد وصل إلى أعمق نقطة في قلبك حتى أصبح المتحكم الرئيس بمشاعرك وسعادتك، من يصدق أنه في يوم من الأيام كنت لا تؤمنين بالحب وقصصه؟

- إلى أن أتى يزن وصحح مفاهيمي

- ماذا عنك يا وهج؟! سألت إيميلي

- ماذا؟!

- ماذا عن قلبك؟!

- لا يشكو من شيء. ضحكت

- إذًا لا يوجد رجل في حياتك بعد

- لا، مكتفية بحب عائلتي

سكتت قليلًا ثم أكملت:

- حاليًّا

- أسمعتِ يا تالين؟! أعتقد أن أختك تُخطِّط أيضًا للارتباط

- ألا يحق لها ذلك؟!

حينها كانت وهج تفكر بأحدهم حقًّا، تفكر ما الذي يفعله الآن، أين هو، مع من يقضي وقته، تفكر ماذا لو لم يبادلها المشاعر، ماذا لو كان يحب أخرى..

في طريقهن إلى المنزل كانت الفتيات يسرن مشيًا مستمتعات برفقة بعضهن بعضًا، يتمايلن من كثرة الضحك، الضحك الذي أبكى وهج لأول مرة، ها هي تجربه الآن، تسقط من عينيها دموع فرح عوضًا عن دموع الحزن التي اعتادت وجنتاها عليها، عادت إيميلي معهما، فقد قرَّرَت قضاء الليلة والمبيت في منزل صديقتها المقربة، كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة عند منتصف الليل، الطريق هادئ، لا يُسمع فيه إلا صوت أوراق الشجر وتلك البومة اللعينة التي تقف على أحد الأغصان تنظر إليهن بأعين حادة، عند اقترابهن من المنزل كانت هناك سيارة تسير خلفهن ببطء، دق بوق السيارة، التفتن فإذا صاحب السيارة يكشف الضوء العالي في وجوههن..

- ماذا يريد هذا الأحمق؟! صرخت إيميلي بغضب

وهج مُحاوِلةً التبرير:

- أظنه يريدنا أن نفسح له الطريق للعبور

- لو كانت شاحنة لاستطاعت العبور من جانبنا. أجابت تالين

في البداية لم تستطع تالين تمييز السيارة بسبب الضوء الساقط على وجهها، لكنها وبعد التركيز عرفتها جيِّدًا..

- هذا السيد حلول المغفل. ضحكت

ابتسمت و هج..

- يبدو أن مزاجه جيِّد هذه الليلة للمزاح. قالت إيميلي بنبرة تهكمية

لم تعجب وهج تلك النبرة..

اقترب منهن، فتح نافذة السيارة..

- ماذا تفعل ثلاث جميلات بمفردهن في هذا الليل؟

- عائدات للمنزل يا حلول

- يبدو أنكن حظيتن بمساء ممتع

- كان ممتعًا قبل أن تقاطعنا

- إيميلي! ما خطبك؟! ردت وهج بسرعة

- هيه يا صعلوكة، أوَّلًا هذا الحي حيِّي وسأفعل ما أريد، ثانيًا كيف لشيطانة أن تسير بين ملاكين؟!

ضحكت الملاكان بشدَّة بينما استشاط وجه الشيطانة غضبًا..

- هيا هيا اذهبا إلى المنزل بسرعة فإني أرى شرًّا آتيًا من عيني الشيطانة

- هه لن أعكر مزاجي الجيِّد بسبب معتوه مثلك، هيا يا بنات

لم يرد بيتر على وقاحتها، التفت إلى وهج مُبتسِمًا:

- صحيح كدت أنسى، هلا أعطيتني رقم هاتفك يا وهج؟!

فاجأها طلبه:

- أنا!! لماذا؟! أقصد بالطبع تفضل

بدا التوتر واضحًا في نبرة صوتها التي فضحتها، رددت الرقم، سجله هو ثم رنّ عليها لتحفظ رقمه في سجل هاتفها..

أكمل الجميع طريقهم للمنزل، لكن ما أن وصل بيتر حتى وجد ضيفًا ينتظره عند عتبة باب منزله..

ضيفًا غير متوقع..

ينظر إليه بملامح باهتة..

كانت جودي..

❋❋❋

(لم أحب أحدًا مثلما أحببتها)

خذلان..

خيبة أمل..

تشتت وضياع..

عجز وقلة حيلة..

كل هذه الكلمات لا تستطيع وصف ما يشعر به الآن..

وحده الدمار الذي يصف حالته..

الدمار الذي تتركه الحروب بعد معارك طاحنة..

بعد قتل للأبرياء..

بعد إبادة جماعية..

حطام ورماد..

فوضى عارمة في كل مكان..

مدينة جميلة قد نُسفت..

نُسفت داخل قلب أحبها بشغف وصدق..

حتى انفطر ذلك القلب حزنًا..

يجلس بيتر وحيدًا على حافة السرير، أمام تلك المرآة التي تظهر تعابير ذلك الوجه الشاحب، المكسور، المحبط، ينظر إلى انعكاسه ثـــــم يخبئ

وجهه بين

كفيه ويقول بصوتٍ منخفض ومخنوق:

- لماذا يا تالين؟!

زفر أخيرًا صرخة من أعماق الركام..

- لمااااااذا!!!!

❋❋❋

قبل ساعة..

أدخل بيتر صديقته جودي منزله و استضافها في غرفة الجلوس، كان يسأل نفسه عن سبب قدومها إلى منزله في مثل هذا الوقت المتأخر ودون سابق علم، لماذا تبدو مرتبكة قليلًا على عكس عادتها، هل هي في مأزق مما جعلها تأتي دون الاتصال به، أم أن هناك مستجدات حدثت مرتبطة بقضيتي ولا تستدعي التأخير، ولماذا تنظر إليَّ هكذا؟..

- ما الأمر يا جودي؟!

- هل لي بكأس ماء؟! أشعر بالعطش قليلًا

- بالطبع

ذهب إلى المطبخ ليحضر لها طلبها، في تلك اللحظة بينما كان يسكب الماء بالكأس تناولت جودي بعض المناديل الموضوعة على المنضدة المجاورة لها وبدأت تمسح العرق الذي ظهر في مقدمة وجهها وفي أسفل رقبتها، ثم أغمضت عينها وأخذت نفسًا عميقًا حتى زفرته ببطء، بدأت تُتمتم بكلمات بصوتٍ لا يُسمــع كأنها تتدرب على طريقة نطقها أو تبحث

عن نبرة صوت بين تلك الكلمات..

- بيتر، هناك شيء يجب عليك معرفته

لا ليس هكذا يا جودي، كوني أكثر جدية. تقول هي

- بيتر -سكتت قليلًا- هناك أمر هام يجب أن أطلعك عليه. قالتها بصوتٍ مرتفع وحازم

ما هو عزيزتي جودي؟! أجابها بيتر من خلفها

ارتعش جسمها وجمدت محلها، لم تتوقع أبدًا وجوده خلفها، التفتت بهدوء لتراه ينظر إليها باستغراب وكأس الماء بيده اليمنى:

- تفضلي -ناولها الكأس- إذًا ما هو هذا الأمر المهم جدًّا الذي جعلك تزورينني دون موعد في ساعة متأخرة من الليل ولا يحتمل التأجيل؟

ابتلعت ريقها:

- في الحقيقة هنالك موضوع أشغل تفكيري جدًّا طيلة الأيام الماضية، شيء أشبه بالألم يستقر بقلبي، تفكيري مشتت و...

قاطعها:

- ماذا هناك؟! تكلمي بوضوح رجاءً

- لا تقاطعني، فأنا أختنق الآن، ولا أعرف كيف أرتب الكلمات سأخبرك بكل شي لكن لا تضغط عليَّ أكثر

سكتت..

- أسمعك، أكملي

- ماذا لو أخبرتك أني أحب أحدهم؟!

- سأسعد لك بالتأكيد

- ولو قلت لك إني أحبه بجنون ولا أرى سواه

- ماذا عنه هو، أيحبك كما تحبينه؟!

تنهدت قليلًا ثم أكملت:

- لا

- كيف ذلك! كيف تحبين شخصًا لا يحبك؟!

- مشاعري هي من فرضت علي ذلك يا بيتر، فهو الوحيد الذي يلازمني ويساندني

- لكن هذا لا يكفي يا جودي!! لا يكفي أبدًا، الحب يجب استشعاره من قبل الطرفين معًا، لا يكفي أن يستشعره طرف واحد فقط دون الآخر، وإن حصل ذلك فهو لا يسمى حبًّا إطلاقًا بل هلاكًا

- لكنك فعلت

استنكر جملتها:

- ماذا تقصدين؟!

وفي لحظة شعرت بحرارة تحيط بجسمها، نبضات قلبها تتسارع، أنفاسها تتسابق، تحاول النطق ولا تستطيع..

- جودي؟!

تنظر إليه وعيناها تتلألآن بالدموع..

- ما خطبك يا جودي؟!

أغمضت عينيها، أخذت نفسًا مُطوَّلًا حتى نطقت أخيرًا:

- لقد فعلت خلاف مبدئك وأحببت شخصًا لا يحبك، بيتر أردت إخبارك هذا قبل أن تدخل في دوامة الهلاك

تغيَّرت ملامح وجهه:

- وماذا يعني هذا؟!

- ألم تفهم بعد!!

أمسكت بكلتا يديه مُحاوِلةً تهدئته:

- تالين لا تحبك كما تحبها أنت بيتر

- لا تكوني ساذجة أرجوك. غير مصدق ما تقوله جودي

- أخبرتني تالين نفسها بهذا

صرخ في وجهها:

- كاذبة، أنا أعرف تالين أكثر من الجميع، تالين تحبني، تحبني

- تحبك نعم كالأخ الأكبر لها والسند الذي تستمد منه ثقتها وقوتها، تحبك كونك السيد حلول

سكتت برهة ثم تابعت:

- وهناك رجل آخر في حياتها

اتَّسعت عيناه في تلك اللحظة

- تحبه؟!

- ويحبها كما قالت، حب متبادل من الطرفين

أجاب مُطأطئًا رأسه بصوتٍ يائس حزين:

- لكنها تحبني

- تحبك لكنكما كالأخوين يا بيتر، مشاكل وحلول هما أخوان، تفهَّم مشاعرها أرجوك فهي لم تفكر أبدًا بإيذائك، تحبك كما أنت، أقرب شخص لها

- ماذا عن مشاعري؟!

- هناك العديد من الفتيات حولك لكنك لم تتجرّأ يومًا على الاقتراب من إحداهن، اكتفيت بعلاقتك بتالين إلى أن اختلطت مشاعر الصداقة بمشاعر حب كان الأجدر أن تكون لغيرها، أعلم بأننا لا نختار من نحب لكن أعلم أيضًا بأنه يجب علينا أن نكون مع من يحبنا وهذا الأهم يا عزيزي، التفت حولك ستجد من يحبك بالخفاء، فقط أعطه فرصة الاقتراب منك

لم ينبس ببنت شفة..

- أعرف أن الأمر صادم جدًّا بالنسبة لك، لكنك قلت لي قبل دقائق إن الحب يجب استشعاره من قِبَل الطرفين معًا، ولا يكفي أن يستشعره طرف واحد فقط دون الآخر، وإن حصل ذلك فهو لا يسمى حبًّا إطلاقا بل هلاكًا، لذا انس هذه المشاعر أرجوك

أجابها وهو لا يزال مُطأطئًا رأسه:

- لم أتخيَّل يومًا حدوث هذا

رفعت رأسه:

- ارفع رأسك، أنت قوي بما يكفي لتتجاوز كل عقبة تواجهك، تجاوزت الكثير في حياتك وستتجاوز هذا أيضًا، النسيان هو أملنا الوحيد

- النسيان هو أملنا الوحيد

عانقته بهدوء مُحاوِلةً تخفيف ما يشعر به..

«ليت العناق يشفي عِلَّة القلب»

- سأتركك لترتاح الآن، لا تذهب إلى العمل غدًا، لا عليك سأقوم بمهامك الإدارية نيابة عنك، فقط استرِح

- شكرًا لك، شكرًا لوجودك بجانبي

- هذا واجب الأصدقاء

سارت جودي نحو الباب، أمسكت المقبض ثم التفتت لترى صديقها الجالس على الأريكة وحيدًا واليأس يلتهمه، خرجت وأغلقت الباب خلفها برفق، حدَّقَت في المنزل المقابل، إلى تلك الغرفة، إلى تلك النافذة تحديدًا..

- أتمنى أنك لم تخطئي يا تالين

***

ألقى جسمه الرياضي على السرير، أغمض عينيه الممتلئتين بالدموع، أفكار تجوب مخيلته، يسأل نفسه: «هل كنت مُندفِعًا؟! هل حقًّا تالين واقعة بحب أحدهم؟! لماذا لم تخبرني؟! هل هو ذاته الشخص الذي رأيته تلك الليلة ؟!»..

- لماذا يا تالين؟!

في لحظة صمت اهتزَّ الهاتف، رسالة جديدة تنتظره، لم يكترث، ظلَّ يُفكِّر ويُفكِّر، تذكَّرَ تلك اللحظات التي كان يرتبك فيها كلما رأى تالين، نظر إلى الوشم الذي وضعه على معصمه الأيمن «مشاكل»، اهتزَّ الهاتف مجدَّدًا برسالة أخرى، نظر إليه فوجد عِدَّة سائل من شخص غير متوقع..

الرسالة الأولى:

- أهلًا بيتر كيف حالك؟!

الرسالة الثانية:

- أما زلت مستيقظًا؟!

وجه يبتسم

الرسالة الثالثة:

تم إزالة هذه الرسالة من قبل المرسل

أرسل هو:

- أهلًا وهج

نعم ما زلت مستيقظًا، هل هناك شيء؟!

- لا لا شيء أبدًا، فقط أردت تجربة مراسلتك

وجه يضحك

- لِمَ لَمْ تخلدي للنوم بعد؟!

- كيف سأنام وتالين وإيميلي لا تسكتان لحظة واحدة، لِمَ لَمْ تنم أنت؟!

- يفترض أني نائم في هذه الساعة لكن لا أعلم، لا أشعر بالنعاس

- هل كل شيء على ما يرام؟!

سكت..

بدأ بالكتابة..

توقف..

أكمل الكتابة..

توقف..

مسح ما كتبه قبل أن يرسله..

- بيتر؟!

- معك

- هل كل شيء على ما يرام؟!

- نعم

- كاذب

لم يجب..

- ماذا بك أخبرني؟ ربما أستطيع المساعدة

- وهج

- تكلم

- قلبي يؤلمني

انتظر سأطلب الإسعاف لك!!

- عِلَّة قلبي لا يداويها الأطباء

- من إذًا؟!

- أنت

نبضات قلبها تزداد:

- انتظرني سأخبر تالين لنأتي إليك

- لا تخبريها بشيء رجاءً، أحتاج إليكِ وحدكِ، هلا أتيتِ؟

- حسنًا، قادمة إليك

في تلك الأثناء كانت تالين وإيميلي تتحدثان بشكل مُطوَّل عن يزن، عن وسامته، أسلوبه، واهتماماته، كانت تالين تتكلَّم عنه بحماس شديد و بابتسامة لم تفارق شفتيها، بينما لعبت إيميلي دور المستمع الشغوف..

- بالمناسبة ماذا كان اسم يزن في تطبيق كن لي؟

ابتسمت ثم أجابت:

- كان يزن كما هو

- حتى اسمه له وقع جميل

- آآه يزن

ضحكتا..

قاطعتهما وهج:

- سأخرج لأمشي قليلًا

- لماذا؟! سألت إيميلي

- بك شيء يا أختي؟! هل أزعجناك؟!

- لا لا مطلقًا، مستمتعة بحديثكما لكني أريد التنزه بمفردي قليلًا قبل أن أخلد للنوم، لن أتأخر

- كما تشائين يا وهج، اعتني بنفسك واتصلي بي إن احتجت لشيء. ردت أختها

- لا عليك لن أذهب بعيدًا، إلى اللقاء

- أختك هادئة جدًّا على عكسك تمامًا. قالت إيميلي لتالين بعد خروج وهج

- نعم جدًّا

خرجت مسرعة من المنزل ونبضات قلبها تزداد سرعة كلما اقتربت من منزله، ليس شوقًا بل خوفًا عليه، خوفًا من أمر تجهله ولا تعرف سببه حتى، لماذا هي خائفة لهذا الحد، تطرق بابه للمرة الأولى، يفتح الباب بهدوء، تنظر إلى وجهه الشاحب، عينيه المنتفختين من شدة البكاء، وابتسامته الحزينة المُرحِّبة بها..

- بيتر ما بك!!

دون أي مقدمات، دون أن ينبس ببنت شفة، ودون أن يشيح ناظره عنها، اقترب منها وعانقها..

عناقًا يرجو منه أن يخفف ما يشعر به، كمسكن يخفف من حِدَّة الألم لبعض الوقت..

ليتنا نجد في العناق خلاصًا لأوجاعنا..

استشعرت وهج الحزن الذي يحيط ببيتر، روحه منطفئة كروحها التي كانت منطفئة في وقت مضى، لم تستطع فعل شيء في ذلك الوقت سوى معانقته هي الأخرى..

همست في أذنه:

- لا تقلق أنا معك

أطالا العناق حتى شعر بيتر بالارتياح قليلًا، أفلت وهج وجلس يتأمَّل في عينيها الناعستين..

- لماذا عيناكِ مملوءتان بالحزن؟

- كعينيك هاتين

- أهما واضحتان لهذا الحد؟!

أجابت بابتسامة باهتة:

- وحدهم المخذولون من يميِّز بعضهم بعضًا

- المخذولون هم ضحايا صدقهم

خرج وأغلق الباب خلفه، أمسك يدها:

- وهل بوسع المخذولين المشي معًا؟!

ضحكت:

- أظن أن هذه الليلة خُلقت لهم، هيا بنا

سارا معًا في ذاك الطريق الطويل الأشبه بالمظلم، الإنارة خافتة بعضها بين ضعيفة ومحترقة وأخرى متذبذبة، لا أحد غيرهما في المكان، الجميع نائمون في هذا الوقت، مرَّ نسيم هواء بارد ينعش القلب، جلسا يتحدثان مُطوَّلًا عن حياة كلٍّ منهما، لم يخبرها بيتر عن سبب حزنه الليلة، ولا عن خيالاته وطموحاته التي هُدمت، ولا عن حبه الذي كان مخبأً بين أضلعه، لكن عندما وصلا لنهاية ذاك الطريق وقرَّرا العودة تساءلت وهج:

- ها نحن عائدان لنقطة البداية ولم تخبرني عن سبب هذا الحزن الذي أحرق عينيك هكذا

توقَّفَ قليلًا ثم تنهد:

- إنه الحب يا وهج، الحب يتعب من يغوص في بحره، تعلَّقَ قلبي يومًا بفتاة حسناء لطيفة وبريئة، في كل يوم أستيقظ فيه يزداد حبها في صدري حتى تعلَّقَ قلبي بها وحدها، بنيت أحلامًا وردية، بل تخيلتها تقف أمامي بفستان زفافنا الأبيض الذي صُمِّم خصِّيصًا ليليق بجمالها، وتاج مُزيَّن بالألماس، كانت أميرة لقلبي، احتفظت بهذا الحب داخلي ولم أخبر به أحدًا حتى هي نفسها لا تعلم، كنت خائفًا أن أستيقظ من هذا الحلم، أردته أن يكون للأبد، إلى أن..

توقف فجأة..

- إلى أن ماذا؟!

سقطت دمعة من عينه:

- إلى أن اكتشفت أن كل هذا ما هي إلا أوهام أحطت نفسي بها

- لماذا يا بيتر؟ سألت متفاجئة

- لأنني وبكل بساطة الليلة عرفت أني أحببت الفتاة الخطأ، أحببت فتاة ليست لي، لم تكن يومًا لي ولن تكون، هي تراني بطريقة عكس الطريقة التي أراها فيها، هي واقعة في حب غيري، ولم تأبه لي قطُّ

شعرت وهج بالأسى لما سمعته:

- خيبة الأمل تدمي القلب، أعرف هذا الشعور جيِّدًا

أمسك كتفيها بكلتا يديه وهزهما:

- هذا الحب حطم قلبي يا وهج أتفهمين، أنا من غرس الخنجر بصدري، أنا من سمَّمَ نفسه بيده، أنا المذنب، كان الأجدر ألا أخوض بمعارك الحب لأنه لا أحد يخرج منها سليمًا

- أنت لم تحارب من أجل الحب، بل اكتفيت بالانسحاب يا بيتر، حرب الحب هي أن تدخل المعركة وأنت على يقين بأنك ستُقتل لكنك لا تعرف كيف ومتى، أن تدخلها وأنت على أكمل استعداد للخسائر التي ستصيبك، لكنك تظل تحارب ببسالة مهما كلف الأمر

- تعبت من الحروب التي عشتها، أريد فقط السلام

- ستحصل على السلام وعلى الحب من شخص يحارب العالم لأجل أن يجعلك سعيدًا

لم يُجب..

استكملا المشي بصمت، أرادت أن تمسك يده، تحاول الاقتراب منها، تلمسها ثم تشعر بالخجل فتقبض يدها، عاودت الكَرَّة مجدَّدًا، لكنها لم تستطع فعلها، إلى أن أمسك بيتر يدها دون أن ينظر إليها مُكمِلًا طريقه، ارتسمت ابتسامة لطيفة على ثغرها، سارا والصمت يحكي عوضًا عنهما، إلى

أن وقفا أمام المنزل..

أخيرًا ابتسم بيتر في هذه الليلة:

- شكرًا لك يا وهج على الوقت الذي قضيته معك، شكرًا لأنك معي ولم تتركيني وحدي

- سأكون بجانبك دائمًا إن احتجتني، كما أنك هنا، أشارت إلى قلبها

عانقها بلطف:

- اعتني بنفسك

أمسك بلطف خصلة من شعرها ووضعها خلف أذنها..

دخل كلٌّ منهما منزله بمشاعر متذبذبة..

بين راحة وخوف..

وخيبة وأمل..

***

كنتِ ملجئي..

والآن أبحث عن ملجأ منك، فأين ألجأ؟!

بيتر

إلى كل المخذولين..

لا بأس فقد حاربتم ببسالة في وجه الحياة..

آن لكم الآن أن تستريحوا..

وهج

❋❋❋

كان مركز شرطة فانكوفر يعمل على قدم وساق، بلاغات ومراجعات، شكاوى وطلبات، كان أشبه بحالة استنفار، تلك هي الأجواء التي يعيشها المركز بشكل روتيني، لكن هناك في نهاية الممر مكتب مقفل من الداخل، يسكنه الهدوء، التركيز، التفكير، أوراق على الطاولة، تحليلات وأدلة، حاسوب يظهر على شاشته بعض الصور الملتقطة من مسرح الجرائم، ومن خلف تلك الطاولة تجلس الملازم جودي غارقة بالبحث عن طرف خيط يساعدها في القبض على ذلك المجرم المختل..

طُرِق الباب فجأة:

- الملازم جودي لديَّ بعض الأمور التي يجب إطلاعك عليها تخصُّ القضايا التي تعملين لحلها أنتِ والمحقق بيتر

كان هذا صوت أحد العساكر..

نهضت عن كرسيها وفتحت قفل الباب، أعطى التحية لها ثم أدخلته المكتب وأغلقت الباب خلفه..

- تكلم

- حضرة الملازم فتح المختصون قفل هاتف الضحية هيلدا، هذا هو الهاتف ناولها إياه..

تفحَّصَت الهاتف قليلًا ثم سألته:

- هل هذا كل ما لديك؟!

- في الحقيقة لا يا حضرة الملازم، بل أريد إخبارك أيضًا أننا استخرجنا رقم المجرم من سجل الهاتف والذي كان اسمه «آريز»

- جميل أكمل

- لكن للأسف عندما تواصلنا مع شركة الاتصالات أخبرونا بأن الرقم لا يحمل اسمًا

- جواب بدَهي فهو أذكى من أن يستخدم رقم هاتفه الشخصي

- وعندما تعقبنا هاتفه الذي يحمل هذا الرقم، وجدنا الإشارة للموقع تذهب بنا إلى بحيرة بالقرب من الكوخ الذي حصلت فيه الجريمة

- تخلص من هاتفه إذًا

- نعم يا حضرة الملازم

- حسنًا اذهب أنت الآن وإذا حصلت على معلومة جديدة فأطلعني عليها على الفور

- حسنًا

أدَّى التحية مجدَّدًا ثم خرج، وقبل إغلاقها باب المكتب مُدَّت قدم من خارج المكتب عرقلت إغلاق الباب، فتحت جودي الباب وإذا بالمحقق بيتر يدخل المكتب ويغلق الباب خلفه، استغربت قدومه، والأهم من ذلك كله أنه يبدو على ما يرام وكأن شيئا لم يكن، بخلاف ليلة البارحة..

- لماذا أتيت؟! ألم أطلب منك عدم القدوم اليوم؟!

ربَّتَ على كتفها:

- أنا بخير يا جودي بخير، كل شيء على ما يرام

- متيقن؟!

- تمام التيقن، هل هناك أي تقدُّم بالقضية؟!

- ليس تقدُّمًا لكن معي هاتف الضحية وسأرى المحادثات التي دارت بينها وبين القاتل علني أجد خيطًا يساعدنا

هزَّ برأسه إيجابًا..

نصف ساعة مرَّت وهما يقرآن المحادثات، لم يجدا أي دليل يساعدهما، تثاءب بيتر، ضحكت جودي عندما رأت وجهه والذي يوحي بشعوره بالملل..

- لم نجد ما يفيد. قالت جودي

- للأسف لا

- ماذا سنفعل إذًا؟

جلس يفكر بصوتٍ مرتفع:

- آريز آريز من تكون يا آريز؟

- ربما هو مجرد اسم للتخفي

وفجأة صاح بيتر:

- جودي ابحثي بالحاسوب عن كلمة آريز

كتبت اسم آريز في محرك البحث ثم ضغطت ابدأ البحث..

ظهرت معلومات كثيرة تخصُّ اسم آريز، وجميعها اتفقت على معلومة واحدة..

آريز..

عند الإغريق هو إله الانتقام وشهوة الدم والقتل الوحشي..

ابتسم بيتر..

- إذا اسم آريز يدل على الانتقام

- هذا ما وجدناه

- معلومة مفيدة جدًّا يا جودي ألم تستوعبي بعد؟!

تساءلت بحماس:

- ماذا؟

تكلم بسرعة!!

- القاتل يدعو نفسه بآريز محبةً بالقتل الوحشي والدم وهذا يفسر طريقة قتله لضحاياه والأهم من هذا كله أنه يقتلهم بدافع الانتقام

اتَّسعت عيناها:

- هذا صحيح!!

نظر إلى أوراق الأدلة المتبعثرة على الطاولة:

- الخطوة الأولى هي: يجب علينا أن نجد نقطة مشتركة بين الضحيتين الأولى والثانية لتساعدنا للوصول لآريز هذا

- عُلِم حضرة المحقق

- سأجدك يا آريز وسأجعلك تتعفن خلف القضبان مهما كلفني الأمر، والعدالة ستنتصر دائمًا

ضرب راحة يده على الطاولة بقوة..

* * *

(أنا وانفصامي)

الخميس..

الساعة الثالثة فجرًا..

كان النوم آسرًا جميع سكان المدينة..

أو بالأحرى ذلك الحي الهادئ خاصة...

بدا هادئًا جدًّا حد الرهبة..

الطريق خالية..

الأبواب مقفلة..

الأنوار مطفأة..

إلا ذلك النور..

المنبعث من ذلك المنزل..

من غرفة المعيشة..

وعلى تلك الأريكة الخضراء المهترئة تحديدًا..

كان يجلس وحيدًا غارِقًا بالفكر..

- ماذا بك يا جوليان؟! قال ذاك الصوت المرعب

أجاب بهدوء:

- لا شيء

- تكلَّم فأنا الوحيد الذي يعرفك جيِّدًا

سكت جوليان ثم أجاب:

- من أنت؟!

- أنسيتني!! أنا صديقك الوحيد آريز

- لكني لا أراك

ضحك ضحكته المخيفة..

- أنا هو انفصامك يا جوليان

- نعم انفصامي. قال بصوتٍ بائس

- ألا تحبني كما أحبك يا مغفل؟!

سأل بحزن:

- لِمَ أنتَ صديقي الوحيد؟!

- لا أحد يستحق صداقتك سواي

ساد الصمت مجدَّدًا في المكان..

فقط صوت زفرته..

وفجأة..

ركض مُتَّجهًا نحو المرآة..

وقف أمامها يصرخ:

- كيف سأهرب منك؟!

- ومن سيكون معك إذا هربت مني يا أحمق؟!

تلعثم قليلًا:

- لا أعلم ربما..

- أخبرتك سابقًا مكانك معي وأنا معك في كل مكان

ضحك ضحكات متقطعة ثم أكمل:

- لا أحد يريدك، هم يريدون بعضهم بعضًا إلا أنت

- أعلم ولكن..

صاح آريز:

- ما من لكن هنا، أنت أعمى ومغفل، لن تصادق البشر مجدَّدًا أنت لي الآن

جلس على ركبتيه ويداه تخبئان وجهه...

- لا تقلق آذوك بما فيه الكفاية، سأعيش فيك قم وابتسم، هيا لترعبهم جميعًا

- لكني لست هكذا أنا مسالم فقط

اصمت دعني أتحدث أنا عليك اللعنة

بكى بصوتٍ مرتفع:

- أشعر بألم يجتاحني يا آريز

- الحريق في عينيك لعنة وستزول بعد ما نتخلص منهم جميعًا

- ومتى سننتهي منهم؟

- لا عليك يا صديقي العزيز، فسيكتمل انتقامنا قريبًا، سأعذبهم ثم سأقتلهم لأجلك وحدك، وبعدها سأحفر اسمي المخيف بأجسادهم التي ستتعفن

- أراك تتلذَّذ بكتابة اسمك على جثث ضحاياك دائمًا، لم تفعل هذه الحركة؟! إنها فكرة غريبة

جلس يضحك طويلًا:

- في الواقع يا صغيري جوليان أنا أزين تلك الأجساد المقرفة باسمي، أحفره على ظهورهم ليظهر كتوقيع على لوحة فنية مليئة بالإبداع، فعندما تسيل الدماء على اسمي، آآآه ما أروع منظرها وما أجمل رائحتها، تشعرني حينها بالسعادة، بنشوة تجتاحني ولذة بالانتقام

- مغرور أنت يا آريز، تحب اسمك كثيرًا

وقف بثبات ثم نظر إلى المرآة مجدَّدًا:

- نعم فأنا آريز سيد الدماء

***

(شمس منتصف الليل)

في أحد مساءات فانكوفر الهادئة..

خرج أمجد برفقة زوجته تينا وابنته وهج للتنزه واحتساء القهوة في أحد مقاهي المدينة، بينما كانت تالين آنذاك مستمتعة بوقتها برفقة يزن في حديقة ستانلي، تلك الحديقة الضخمة الشهيرة الأشبه بجزيرة، والتي تحتوي على العديد من الأنشطة والفعاليات وتضم أكبر حوض أسماك في كندا، قضت تالين ويزن مساءً حافِلًا بالفعاليات، ركبا القوارب المائية، وتسابقا بالدراجات الهوائية حيث كان الفوز من نصيب يزن، استلقيا على ضفاف شاطئ إنجلش باي، أصبح الطقس أكثر برودة، بدأت ترتجف تالين عندها، شعر يزن بذلك فألبسها معطفه الذي كان يرتديه، شاهدا غروب الشمس معًا، كانا يتبادلان القبل حينها..

نظر إلى عينيها:

- إياك أن تغيبي يومًا من حياتي، فأنا لا أتحمل فكرة غيابك حتى

أجابت بلطف:

- حتى الشمس تغيب عن المدينة لتعود مشرقة ليوم جديد

تحسَّسَ وجهها ثم أمسك بيديها:

- أنت شمس منتصف الليل

كررها:

- شمس منتصف الليل

احمرَّت وجنتاها:

- لقب جميل

- بل أنتِ من سيزيده جمالًا

ثم عانقها عناقًا طويلًا..

أعاد يزن تالين إلى المنزل ثم ذهب، دخلت ولم تجد أحدًا، تذكَّرت رسالة وهج عندما أخبرتها بأنها ذاهبة للتنزه برفقة والديها، وأن تينا أعدت لها بعض الطعام وتركته بالفرن صعدت إلى غرفتها واستلقت على سريرها، أغمضت عينيها قليلًا، وبعد دقائق اعتدلت بجلستها، فتحت أحد أدراجها وأخرجت دفترًا كانت قد اشترته قبل يومين، قرَّرَت أخيرًا أن تفعل بنصيحة أختها الكبرى وتكتب، أخذت قلمًا أزرق من تلك السلة المليئة بالأقلام على طاولة دراستها، فتحت الصفحة الأولى، فكرت بماذا تبدأ، ثم كتبت في أعلى الصفحة الأولى بخط كبير..

«ديفا»

نظرت إلى الاسم مُطوَّلًا، عاد بذاكرتها إلى مواقف كثيرة، تذكَّرت تطبيق كن لي، تذكَّرت اسمها هناك، كان الاسم الذي عرفها يزن به، تذكَّرت البدايات من رسالة في منتصف الليل، ثم حديث شبه يومي، ثم إعجاب، ثم مواعدة ولقاء، ثم قبلة وعناق إلى قصة حب وارتباط...

شطبت على الاسم وكتبت عوضًا عنه اسمًا لامس قلبها هذا اليوم وأحبته..:

«شمس منتصف الليل»

قلبت الصفحة ثم بدأت تكتب:

لا أعرف من أين أبدأ...

أو عن ماذا أكتب حتى..

تقول أختي إنك ستكون صديقي الخفي والمخلص، إذًا أهلًا بك يا صديقي العزيز، يجب أن تعلم جيِّدًا بأني سأخبرك بأمور لا يعرف عنها أحد، وربما لا أستطيع البوح بها حتى لنفسي، سأكتبها لك وحدك هنا، فكن ليِّنًا رقيقًا معي، سنفرح معًا، سنحزن معًا، سنتقاسم كل شيء معًا، الحب والكره الفرح والوجع، وإياك والبوح لأحد عني، لأني وببساطة سأحرقك أتفهم، سأحرقك كي تذهب معك جميع أسراري..

أمر محيِّر..

كيف للمرء أن يُغيِّر مبادئه ومفاهيمه فجأة..

بل يضرب بها عرض الحائط...

يهدمها ويعيد بناء مبادئ جديدة..

لمجرد تعلُّقه بشخص ما..

فمن يكون هذا الشخص الذي يستحق تغيير مفاهيمك لأجله..

تغيُّرها حتى تتناسب مع مفاهيمه..

كي لا يبتعد عنك..

أن تكره شيئًا فتحبه فجأة..

ثم تتقبَّل شخصيتك الجديدة..

إلى أن تعتاد عليها..

ولكن يبقى السؤال:

من هو هذا الشخص؟!

ما أجملك..

وما أجمل هذا الحب بيننا..

أهبك الثقة..

وتهبني الأمان..

أهبك الإخلاص..

وتهبني السعادة..

أهبك الصدق..

وتهبني الأمل..

فما أجملك..

وما أجمل حبك..

رسالتك الصباحية..

أشبه بتعويذة ترسلها فأقرؤها..

تعويذة أتمتم بها على هذا الصباح..

لتجعل منه صباحًا جميلًا وسعيدًا..

رسالتك المسائية..

أشبه بمسكن لروحي المرهقة..

مسكِّن يخفف من حِدَّة تعب أجهدني..

كضماد يضم قلبي ويخبره بأن كل شي على ما يرام..

فرسالتك وحدها كفيلة بجعل المساء أكثر طمأنينة..

عندما تستيقظ من نومك..

هذا يعني أن سعادتي قد استيقظت...

فصباح الخير يا سعادتي..

بين حين وآخر..

أفكر بك..

أتخيلك بجانبي..

تنظر إلي مُبتسِمًا وتشدني إليك..

عفوًا هل قلت بين حين وآخر؟!

أنا أكذب..

أقصد دائمًا..

وها أنا أفعلها الآن..

كنت لا أومن بالحب..

لكنك الوحيد الذي جعلني أعتنقه دينًا..

بكلمة منك..

بل بلمسة منك..

بل بابتسامة منك فقط..

تجعل قلبي يُحلِّق عاليًا..

كعصفور وجد حريته أخيرًا..

آهٍ لو تدري..

كم هي طويلة الدقائق عندما أنتظرك..

وكم هي قصيرة الساعات عندما تكون بجانبي..

وكأنك شيء خُلِق ليجعل اللحظات الجميلة سريعة..

رغم هذا الثبات الذي أعيشه..

إلا أنك الوحيد من يربكني حضوره..

كيف يشعر المرء بالوحدة..

وهو بين أصدقائه..

بينما يشعر بالأنس..

مع شخص واحد فقط..

معادلة غير موزونة..

لكنها الأحب لقلبي..

فوحدك أنت من يغنيني عنهم..

ويشعرني بهذا الاكتفاء..

❋❋❋

(وحدها العائلة من تستحق التضحية لأجلها)

مركز المدينة..

كانت وهج وتينا تتسوقان في المحال التجارية، بينما ذهب أمجد لينتظرهما في أحد المقاهي القريبة لأنه وكأي رجل يكره انتظار النساء في الأسواق، حظيت وهج باهتمام كبير من تينا، كانت تساعدها في اختيار الملابس بين هذا جميل وذاك أجمل، اختارت لها فستانًا أحمر داكنًا ذا فتحة من الساق اليسرى، كان جذَّابًا جدًّا وباهظ الثمن، ومعه كعب أسود وحقيبة صغيرة سوداء أيضًا..

- أمي تينا هذا باهظ جدًّا. قالت عندما رأت سعر الفستان

ربتت على كتفها بلطف:

- لا يهمني قيمته أبدًا ما دام أنه سيصبح لك حبيبتي

- لقد اشترينا الكثير من الثياب يا أمي هذا يكفي

- أووه وهج كم أنت ثرثارة جدًّا، اخرسي واتبعيني فقط. قالتها وهي تضحك ذاهبة إلى المحاسب

كان أمجد يجلس في إحدى زوايا المقهى الخارجية ينتظر عائلته، كان المكان مُكتظًّا بالزبائن ورائحة القهوة المنتشرة تجذب كل من يشتمها، جلس يرتشف قهوته السوداء ويتأمَّل المارَّة أمامه يتفحَّصُ هاتفه قليلًا، وفي تلك اللحظة أتت فتاة بدينة إلى طاولة أمجد، بدت وكأنها في منتصف عقدها الثاني شقراء قصيرة تضع الكثير من الأقراط الحديدية على أذنها

وحاجبها ورائحة الكحول تفوح منها، كانت برفقة شاب قبيح الشكل طويل القامة عريض الأكتاف ذي رائحة نتنة وندبة بارزة أسفل عينه اليمنى..

سألته بصوتٍ غليظ:

- هيه أنت هل تجلس وحدك؟!

كانت نبرة صوتها مزعجة..

- نعم ولكني أنتظ..

لم يكمل إجابته حتى سحب الشاب القبيح الكرسيين الخاليين اللذين كان يضعهما أمجد بجانبه من أجل زوجته وابنته..

- توقف رجاءً

أجابه الصوت الغليظ بوقاحة:

- ماذا هل ستجلس على جميع هذه الكراسي أيها العجوز البائس؟!

- ماذا!!

وقف حينها أمجد غاضبًا، وضع الشاب يديه الكبيرتين على كتفي أمجد وأجلسه بقوة ورمقه بنظرة مليئة بالشر، لم يتمالك أمجد أعصابه فسكب ما تبقى من قهوته على وجه الشاب..

شهق جميع من شاهدوا الموقف..

صرخت البدينة:

- كيف تجرؤ على فعلتك هذه، هل تود أن أبرحك ضربًا وتبكي كالأطفال أيها العجوز الوحيد؟!

استشاط الشاب غضبًا:

- سألقنك درسًا لن تنساه حتى بعد مماتك يا هذا

جلس الجميع صامتين يشاهدون كيف ستنتهي هذه المشاجرة لكن ما أن أمسك الشاب ياقة أمجد وجهز قبضته ليلكمه بقوة..

صرخ صوتٌ من الخلف..

أتى من بين المتجمهرين:

- اتركه وشأنه أيها القبيح وإلا فأنا من سيلقنك درسًا في الآداب

التفت الجميع ليروا من صاحب هذا الصوت الشجاع..

كانت تقف وهج هناك بثبات بجانب تينا..

صاح الشاب:

- من هو القبيح يا معتوهة!! أتريدين أن تكوني مكانه؟!

ساندته صديقته البدينة:

- ما شأنك أنت هاه!! هل يحكك جلدك!! أخبريني وسنفعل اللازم لك

- اخرسي أنتِ يا كومة الدهون الناطقة. قالت وهج

عندها انفجرت غضبًا تلك البدينة فقرَّرَت أن تهجم على وهج وتضربها لتحمي ما تبقى لها من كرامة أمام الناس..

ركضت بقوة باتجاه وهج منفعلةً:

- تعالي إلي يا سافلة يا وضيعة

كان المشهد سريعًا، ناولت وهج الأكياس التي كانت تحملها لتينا وتقدمت للأمام بنظرات حادَّة جدًّا تنتظر الهجوم، فسح المتجمهرون الطريق للفتاة الغاضبة، اقتربت من وهج، اقتربت أكثر، إلى أن رمت بنفسها لتنقضّ عليها، لكن وبحركة خطافية سريعة قفزت وهج وركلت الفتاة من أسفل وجهها ثم ناولتها ركلة أخرى في بطنها لتجعلها تعود للوراء بقوة وتسقط وتتدحرج..

هتف الجمهور:

- حركة بارعة!

- يالك من قوية

- استخدمت صبرها وذكاءها في اختيار الوقت المناسب للهجوم، على عكس هذه العملاقة

كانت وهج تنظر إلى الفتاة المستلقية على الأرض وتتأوه ألمًا..

- وهج انتبهي!! صرخت تينا التفتت إلى اليمين فوجدت الشاب يركض باتجاهها مُسرِعًا مُتمتِمًا واللعاب يخرج من فمه، سحبت أحد الكراسي القريبة منها بسرعة ودفعته باتجاهه، لم يستطع تجنبه فارتطم به بشدة وسقط أرضًا.

بدأ الناس يتهامسون:

- أرأيتم هذا؟!

- هذه الفتاة أسقطت شخصين وهي لا تزال ثابتة في مكانها

- هل هي بطلة في لعبة التايكوندو أم ماذا؟!

- عيناها حادتان

- حذقة وهادئة

- المكان أصبح مليئًا بالفوضى، لنخرج من هنا

- ما كل هذا؟! ماذا يحدث هنا؟! لم كل هذه الجلبة؟! صاح صاحب المحل

جلس ينظر إلى تجمهُر الناس، الكراسي المتناثرة، الملقيين على الأرض، إلى الفتاة الحادة النظرات ذات الشعر الأسود، سكت الجميع عندما دخل إلى مكان الحادثة..

- هل يخبرني أحد منكم ماذا حدث هنا؟!

- جاء هذان الشابان وضايقا هذا الرجل المحترم عند طاولته. قالت امرأة

- أرادا أن يأخذا الكراسي من طاولته، وعندما لم يسمح لهما بذلك قرَّرا الاعتداء عليه لكن هذه الفتاة الشجاعة كانت لهما بالمرصاد. قال آخر

بصوتٍ مرتفع:

- لأنه أبي ولن أسمح لأحد بأن يضره بشيء أو يضايقه

شعر أمجد حينها بشعور غريب ولطيف حيال ابنته، بينما ربَّتَت تينا على ظهر وهج لتُشعرها بالأمان..

- فهمت الآن، أعتذر لك يا سيدي باسمي أنا صاحب المكان وباسم جميع منسوبي المقهى على ما بدر من سوء من هذين الأرعنين، وتعبيرًا لك عن اعتذارنا ستكون ضيافتك اليوم أنت وعائلتك على حسابنا، سعيدون بخدمتك سيدي

ثم نظر إلى الملقيين على الأرض وأكمل:

- أما بالنسبة لهذين الاثنين ذوي الرائحة الكريهة فلن يدخلا هذا المقهى مجدَّدًا، سيكونان في القائمة السوداء في جميع فروع المقهى، غير مرحب بهذه الأشكال بيننا

- خيرًا فعلت. قال رجل كان يجلس بالقرب من أمجد

- نعم هذه الأشكال القليلة التهذيب مكانها الشارع لا الأماكن المحترمة. قالت إحداهن

أُعيدَ ترتيب المكان مجدَّدًا بعد ما طُرِد الشاب وصديقته البدينة، جلس كلٌّ من المتجمهرين عند طاولته، اقتربت وهج من والدها فجذبها إليه وعانقها باسِمًا، قدَّمَ المقهى القهوة وبعض الأنواع من الحلوى اللذيذة التي لا تُعَدُّ إلا عندهم، كانت وهج تحتسي قهوتها وتتحدَّث مع أمجد عمّا اشترته لها تينا، بينما كانت الأخرى تنظر إلى عيني وهج وتتأمَّل لطافتها وعفويتها، تتذكَّر تينك العينين ذواتي النظرات الحادة اللتين شاهدتهما قبل نصف ساعة..

قاطعت حديث الأب وابنته:

- وهج ألم تخافي عندما ركض ذاك الشاب نحوك مُحاوِلًا الهجوم عليك؟!

- على الإطلاق، أعرف هذا النوع من الأشخاص الذين تغرهم أجسادهم لكنهم بلا عقول تفكر

- وكيف و جهت ضربتك للفتاة بثبات وخفة وبتلك السرعة؟!

ضحكت:

- أنا ألعب الكاراتيه

نظرت تينا وأمجد بعضهما إلى بعض متفاجئين..

- كيف تعلمتها ولماذا احتجت لتعلمها؟!

- أمزح أمزح معكما لم أتعلم الكاراتيه لكني تعلَّمت العنف من الحي الذي عشت فيه والبيئة التي ترعرعت فيها، تعلَّمت الدفاع عن نفسي كلما حاول أحد الاعتداء علي وأن لا أستسلم الخوفي مهما كانت العواقب، لم يكن أحد هناك ليحميني لذا كان عليَّ حماية نفسي بنفسي

شعر أمجد بالألم حيال ما قالته وهج:

- ماذا تعلمت أيضًا؟!

- تعلَّمت أن أسير بخطا ثابتة وحذرة وألا أثق إلا بنفسي، لذا أنا لا أستند على ظهر أحد، مكتفية بنفسي ومتفردة بذاتي

- كم أحب هذا المبدأ، أن يكون المرء مكتفيًا بذاته

ثم نظرت إلى زوجها وأكملت:

- لكن من الآن فصاعدًا ستستندين على ظهر عائلتك، لن تكوني وحدك فنحن معك

أمسكت يد تينا بلطف وقالت:

- أعرف هذا يا أمي أنتم السند الوحيد الذي وجدته بالحياة، الذين أحبوني وتقبلوني كما أنا، الذين يُشعرونني بحبهم دون مقابل

نظرت إلى والدها بابتسامة خفيفة وأكملت:

- وحدها العائلة من تستحق التضحية لأجلها

***

ما أجمل الحب..

عندما أراه يخرج من عينيك..

ما أرقه..

عندما أكون بين ذراعيك..

عندما تتلفظ به..

أستشعره..

سواء أكنت قريبًا أم بعيدًا..

أتحسسه..

في تلك القبلة الدافئة..

ما أجملك وما أجمل حبك..

شمس منتصف الليل

نظراتك أمان لروحي..

كلماتك طمأنينة لقلبي..

وابتسامتك سر سعادتي..

لا يهم أين نلتقي..

المهم أن نلتقي..

فلقاء المنام بات يرهقني..

وأنا أريد أن أحتضنك..

شمس منتصف الليل

❋❋❋

مرَّت الأيام..

الأسابيع والأشهر..

تبدلت الفضول..

إلى أن أتى ذلك الفصل..

الأحب لمشاكل وحلول..

فصل بداية صداقتهما..

فصل كرات الثلج تلك..

فصل الشتاء..

كانت الشمس مشرقةً في سماء فانكوفر، حنونًا دافئةً ولطيفة في فصل الشتاء، كأم دخلت غرف أبنائها لتلقي نظرة عليهم وتغطيهم وتحميهم من ذلك البرد الذي يتسلَّل خلسة ليلتهمهم، كانت دافئة على يزن وحبيبته تالين التي كانت تقضي وقتها طوال أيام عطلتها الدراسية معه، بين لقاءات صباحية ومسائية، بين نزهات في الحدائق وتسوُّق في المحال التجارية، بين تسكع في الطرقات ومشاهدة الأفلام الجديدة في دور السينما، بين رسائل ومكالمات طويلة قبل النوم، كانت تقضي تلك الأيام مستمتعة بكل ثانية معه، أحبته لحد الجنون وفي كل يوم جديد تتعلَّق به أكثر، كما كانت الشمس دافئة أيضًا على وهج، فقد كانت أيامها لطيفة تملؤها السعادة،

كان ملحوظًا للجميع كثرة خروجها برفقة بيتر وحديثها عنه، وقد اعتاد بيتر الخروج معها، بل أحب وجودها جدًّا، أن تكون معه دائمًا، لأنه ببساطة أصبح قلبه يشعر بالراحة بجانبها ولكلماتها، وحدها من أخرجه من تلك الخيبة التي لا يعلم بها أحد، ومن دوامة الأفكار التي كانت تشتت ذهنه عن حياته وعمله وحتى عن نفسه، ظلَّت تسانده في كل يوم أكثر من ذي قبل، كان يرى تالين فيها، لكن مختلفة بعض الشيء، فقد كانت وهج أكثر نضجًا وهدوءًا من أختها التي تصغرها بأربعة أعوام، كان اهتمامها يشعره بالأمان أكثر، بينما كانت هي تشعر ببعض المشاعر المتذبذبة ناحيته..

تجلس هي الآن بجانبه على متن سيارته اللكزس التي يقودها مُتَّجهًا إلى شرق فانكوفر، وتحديدًا إلى بلاي لاند مدينة الألعاب الشهيرة، كانت فكرة وهج أن تقضي هذا اليوم في مدينة الألعاب برفقة بيتر خاصة أنه يوم عطلته الأسبوعية..

- آآه كم أنا متحمس جدًّا لقضاء اليوم معك هناك

ضحكت وهج لحماسه:

- وأنا كذلك، سنلعب ونستمتع كما لو أننا طفلان

- شكرًا وهج على هذه الفكرة الرائعة، فعلًا أشعر أني بحاجة لبعض الترفيه خاصة مع كثرة الضغوطات في العمل

- يجب أن تكافئ نفسك بين حين وآخر، فلنفسك عليك حق

التفت إليها مُبتسِمًا واضعًا يده على فخذها:

- معك حق

وضعت راحة يدها على تلك اليد الممدودة:

- اليوم هو يومنا فلنستمتع

ترجَّلا من السيارة فور وصولهما لمدينة الألعاب، وعند دخولهما لها جلست وهج تنظر في المكان والدهشة تخرج من عينها، لم تتوقع أن يكون المكان بهذه الضخامة وبهذه الألعاب المتنوعة، ففي المدينة التي عاشت فيها كانت مساحة مدينة الألعاب نصف هذه المساحة، ركضت بحماس مُتَّجهةً إلى إحدى الألعاب بينما كان بيتر يلحق بها ببطء، كأب يلاحق ابنته المشاكسة لعبا معًا اللعبة الأولى، واستمتعا بالثانية، ولم تعجبهما الثالثة وتبلَّلا بالرابعة، وبينما كانا ينتظران دورهما في ذاك الطابور الطويل في اللعبة الخامسة قرقرت معدة وهج بصوتٍ سمعه بيتر، انفلت ضاحِكًا ينظر إليها بينما احمرَّت وجنتاها خجلًا وأشاحت وجهها عنه كي لا ترى تعابير وجهه..

توقف واضعًا كفه على خدها الأيسر يسألها:

- ما رأيك في تناول وجبة الغداء؟! هناك مطعم للوجبات السريعة في إحدى زوايا بلاي لاند، أشعر بالجوع حقا فمعدتي كانت تقرقر لكن لحسن حظي أنك لم تسمعي شيئًا

ضحكت أخيرًا...

- حسنًا، فلنخرج من هذا الزحام إذًا

ذهبا لتناول الطعام، لم يكن المطعم مُكتظًّا بالناس وهذا ما أرادته وهج في نفسها، فهي تريد أن تأكل سريعًا لتكمل اللعب كالأطفال، وما أن انتهت من تناول طعامها حتى ذهبت إلى دورة المياه لتغسل يديها، عدلت تسريحة شعرها التي كانت كذيل الحصان، كان بيتر ينتظرها أمام لعبة قطار الموت المخيفة، جلس يتأمَّل سرعة القطار وطريقة حركته، تمايله يَمنةً ويسرة، الدوران رأسًا على عقب، صراخ الفتيات وضحك الشبان، وفجأةً وبينما كان باله منشغلًا بذلك، قفزت فتاة وراء ظهره وتشبثت به ظن أنها وهج، لكن

وهج لا تفعل هذه الأفعال التي تميل أكثر إلى الطفولية، عرفها عندما صاحت بصوتٍ مرتفع، فمن سيكون سواها هي..

- حلووووول

- مشاكل!! انزلي من على ظهري يا طفلة

- قل لي ماذا تفعل هنا وحدك؟! أهي مهمة سرية؟!

- قلت انزلي

قبّلت خده الأيمن ثم نزلت من على ظهره، التفت ليراها تقف بجانب الرجل الذي يكن له الكره، بجانب يزن..

- هذا هو المحقق بيتر، صديق طفولتي وتوأم روحي الذي أخبرتك عنه. قالت ليزن

مدَّ يزن يده ليصافح بيتر ..

- أهلًا بيتر، وأخيرًا التقيت بك، أخبرتني تالين الكثير عنك وعن بطولاتك

- بيتر هذا..

حينها تذكرت تالين تلك اللحظة التي أخبرتها فيها جودي عن مشاعر بيتر تجاهها..

تلعثمت قليلًا:

- هذا صديقي يزن

سكتت وتأمّلت عينيه ثم أكملت:

- المُقرَّب.

لم تعترف بأنها على علاقة معه كي لا تؤذي مشاعره..

مدَّ يده مُصافِحًا لتلك اليد الممدودة:

- سررت بمعرفتك يزن

- لم تجبني يا حضرة المحقق، لم أنت وحدك هنا؟!

- ومن قال إني وحدي؟!

- إذًا برفقة من أنت؟! جودي؟!

- وهج

علامات تعجب ظهرت على ملامحها:

- أختي وهج؟!

- نعم وأنا أقف منتظرًا خروجها من دورة المياه، لا توجد أي مهمات فاليوم هو عطلتي

- أممم غريب لم تخبرني وهج هذا الصباح أنها ستخرج معك

قال بيتر بنبرة تهكم:

- ولم عساها تفعل هذا؟! أنت لم تخبريها بمجيئك إلى هنا برفقة صديقك المقرب. شدّ على كلمته الأخيرة

لم تنبس ببنت شفة..

- ربما يا تالين لم ترد أختك وهج إخبارك كي تكون مع بيتر وحدها في يوم عطلته دون أن تحشري أنفك معهما. قال يزن مازحًا

أجاب بيتر بصرامة:

- بل أنا من أراد هذا، أن أكون معها وحدي

نظرت تالين إلى عيني بيتر..

فهمت أنه غاضب منها لسبب ما..

شعرت وكأنه لا يريد أن يراها..

- كان يومًا ممتعًا بالنسبة لنا، أتمنى لكما يومًا رائعًا، سررت بمعرفتك مجدَّدًا بيتر، هيا تالين فلنذهب

سحب يزن تالين من يدها ومشى..

التفتت تالين تنظر إلى بيتر الذي بدا لها غريبًا..

بينما أشاح هو النظر عنها..

وبعد دقائق عادت وهج لبيتر، أخبرها عما حصل، لكنه لم يخبرها عن نظرة تالين الأخيرة له والتي يعرفها جيِّدًا، نظرة قلق ممزوجة بتردُّد ما..

- لم أخبرها لأنها عادت الليلة الماضية عندما كنت نائمة، وعندما استيقظت لم أجدها بالغرفة، لم يدر حوار بيننا كي أخبرها

- ولن تخبريها عنا مفهوم؟!

قطبت حاجبها:

- لماذا؟!

انفعل فجأة:

- لا أريدها أن تعرف بتحركاتنا وكل شيء نفعله، هي لا تخبرنا ما الذي تفعله وأين تذهب مع صديقها يزن

- غريب

- ما الغريب؟!

- أنك تتكلم بهذا الشكل عن صديقتك مشاكل

- لا أقصد شيئًا، أنا فقط أريد القليل من الخصوصية بيننا

- حسنًا بيتر، هيا لنكمل يومنا الآن ولنستمتع

اتَّجها نحو ذاك الصف الطويل لركوب قطار الموت، وبينما كانا ينتظران هناك، سرحت وهج في كلام بيتر وظلَّت تفكر باستغراب، لم قال ذلك؟! ولم هو غاضب من تالين إلى هذا الحد؟! بينما كان هو يقبض يده ويشدها بين حين وآخر ليخفف من شدة توتره، إلى أن مسك يد وهج ونظر إلى عينيها الناعستين تينك وابتسم..

كان قلبه يبتسم أيضًا..

***

(معي المظلة لكني أحب البلل معك)

بعد أربع ساعات..

في الطرقات وبينما كان المطر ينهمر بشدة ورائحته تفوح في كل الأرجاء..

كانت تالين تسير برفقة يزن مُلتفةً حول ذراعه اليمنى مُميلةً رأسها إلى كتفه، كان يحمل هو مظلة سوداء تحميهما من البلل كان الصمت مُلازِمًا لكلٍّ منهما، فقط ضجيج السيارات ومحركاتها وصوت الرعد والمطر كان من يتحدث..

- لم أنتِ ساكت؟! ما الذي يجوب في ذهنك عزيزي؟

- لا شيء، مستمتع فقط بهذه اللحظة

- تقصد لحظتي معك؟! سألت بخبث

- لا، أقصد لحظة انهمار المطر وأنا أسير أسفله

- ماذا!!!!

- تالين أنتِ معي دائمًا بينما المطر فلا

سألت بملامح تدعي بها الحزن:

- أتحب المطر أكثر مني؟!

- أحبه عندما أتبلل معك أسفله

وفجأة..

أبعد المظلة عن رأسيهما وأغلقها..

- يزن يزن ماذا تفعل يا أحمق، شعري يتبلل

جلس يقهقه بشدَّة حتى دمعت عيناه:

- يهمك شعرك أكثر من تبلل ملابسك حتى

- أعطني المظلة بسرعة

- لا

- يزن قلت هاتها

- وأجبتك بـ لا، لقد تبللنا وانتهى الأمر

تقبلت فكرة تبللها أخيرًا وصارت تقفز وتقفز كطفلة مدللة رافعةً يديها في الهواء وتضحك، كما كانت تفعل مشكلات مع حلول في زمن بعيد..

- قلت لك أحب المطر عندما نتبلل كلانا أسفله

- أحببت الفكرة حقًّا

فتح المظلة مجدَّدًا وأعادها فوقهما، أكملا السير بهدوء، ويسبب بلل الملابس وهبوب الرياح الباردة شعرت تالين بالبرد حتى بدأ فكها يرتجف وجسمها ينتفض، وعندما رآها يزن بهذه الحال ناولها معطفه كعادته، ألبسها إياه ثم خبأها بين ذراعيه خشية من البرد، شعرت بالدفء شيئًا فشيئًا، طلبت منه أن تمسك هي بالمظلة فناولها إياها، رن هاتفه حينها، ألقى نظرة على اسم المتصل بعد ما أخرج الهاتف من جيبه، نظر إلى تالين دون أن تنتبه، لم يجب على الاتصال، وبعد ثانية أتته رسالة..

- أين أنت؟! لِمَ لَمْ تُجِب عليَّ؟!

- تالين بجانبي، لا أستطيع الرد

- لماذا خرجت معها اليوم ولم تخبرني؟!

وجه غاضب..

قلب مكسور..

- أحادثك لاحقًا

- لا، أخبرني أين أنت؟! اشتقت إليك

حبيبي..

قلوب حمراء..

- وأنا كذلك يا فاتنتي..

- هل سنسهر الليلة؟!

- سأحاول، سأخبر تالين أنني مشغول الليلة لآتي إليك

- لا تحاول فقط افعلها فهمت!! هل هي أهم مني؟! لا تنسَ أنك ستتركها لتكون لي

وجه مبتسم..

- حاضر حبيبتي

- ماذا تريدنا أن نفعل؟!

وجه خجول..

- نفعل ما نفعله عادةً يا جميلتي

وجه شيطاني وقبلة..

- سأكون بانتظارك لا تتأخر يا وسيمي ففتاتك متلهفة لرؤيتك

كان يعضُّ شفته السفلية مُبتسِمًا بخبث، لم يلاحظ وقتها أن تالين كانت تتحدَّث وتنظر إليه باستغراب..

صاحت:

- يززززن!!

التفت مُرتعِبًا من صيحتها..

نظر إلى عينيها بتوتر، كان يحاول إخفاء شيء ما، أغلق هاتفه:

- تالين ما الأمر لِمَ هذا الصراخ؟!

- مع من تتحدث؟!

- لا أحد

- مع من كنت تتحدث؟! شدَّت على الكلمة الأخيرة

أجاب برجفة خفيفة في صوته:

- لا أحد!! ما خطبك تالين؟!

- ما رأيك إذًا فيما قلته لك؟! هل أنت موافق؟!

- أوافق على ماذا ؟!

- بالطبع لن تعرف لأنك لم تستمع لما قلته للتو، فقد كنت منشغلًا بشيء أهم بالنسبة لك

صرخ في وجهها:

- تحدثي معي جيِّدًا يا فتاة

- يزن!!

- قلت لك لم أكن أتحدث مع أحد. ارتفع صوته وصار أكثر حِدَّة

- اخفض صوتك وأنت تتحدث معي

- وأنتِ كفي عن تفاهاتك

نظرت إليه بحِدَّة:

- كنت تبتسم وتتحدث مع أحدهم، بينما كنت أنا أخبرك بأن الـ...

- اسكتي لا أريد سماع صوتك، انتهى يومنا الجميل، والآن ليذهب كل منا إلى منزله

سكتت متفاجئة من طريقة حديثه الغريبة معها، شعرت بأن هناك شيئًا في هاتفه يربكه، بل هو شخص لا يريد الإفصاح عن هويته لها..

مدَّت يدها:

- هات هاتفك

زاد قلقه الذي بدا واضحًا على وجهه..

أصبح أكثر ارتباكًا:

- سأذهب إلى المنزل

- أعطني هاتفك قبل ذهابك، أريد الاتصال بأختي فهاتفي مغلق بسبب البطارية

ناولها الهاتف بتردُّد، جلس ينظر إلى الشاشة وهي تنقر على الأرقام..

وفجأة..

ظهرت رسالة في أعلى الشاشة:

- الساعة العاشرة، أحبك

اتَّسعت عيناها وهي تقرأ الكلمة الأخيرة..

بدأ يتصبَّب عرقًا وهو يرى تعابير وجهها..

- ما هذا!! مِمَّن أتت هذه الرسالة؟!

ضغطت بسرعة على الرسالة..

صرخ لاويًا يدها بقوة ليأخذ الهاتف:

- هاتي، لا يحق لك العبث بهاتفي

- آآه يدي يا حقير، أوجعتني

سحب هاتفه وظلَّت هي تنظر إليه والغضب يملأ عينيها:

- من بعث تلك الرسالة تكلم ؟!

- صديقي صديقي يا غبية، ما الذي تريدين أن تصلي إليه؟! بسبب حركاتك جعلتني أنفعل

- صديقك إذًا!! لماذا لم تقل هذا من البداية؟! لماذا أخذت تكذب وتقول إنك لم تتكلم مع أحد رغم أني رأيتك بأم عيني تكتب وترسل، لِمَ هذا التوتر؟! لِمَ غضبت لأني سأفتح رسالته؟! والأهم من هذا كله صديقك يقول لك أحبك؟!

- ألا تقولين لبيتر أحبك؟! ألا تقولين لصديقتك إيميلي أحبك؟! اسكتي اسكتي رجاءً فأنت خلقتِ مشكلة من لا شيء، تريدين الصراخ وحسب

- وماذا ستفعل الساعة العاشرة معه؟!

- اتفقنا أن نلتقي ونشاهد مباراة الفريق الذي نشجعه معًا في أحد المقاهي

- اممم مباراة، وماذا عن فيلمنا؟!

اتَّسعت عيناه وتلعثم لسانه عندما تذكَّرَ أن تالين قد حجزت مقعدين في السينما لمشاهدة فيلم كانت تتحدَّث عنه كثيرًا، نظر إليها ونبضات قلبه تزداد سرعة وكذلك كانت أنفاسه خوفًا من أن يُفضح أمره الآن..

- لقد نسيت أمره تمامًا يا تالين صدقيني

- اذهب واستمتع بوقتك مع صديقك، لا أريد رؤية وجهك

- تالين لحظة، سأتصل به وأعتذر منه عن عدم استطاعتي الحضور

- لا أريد شيئًا وداعًا

- تالين، تالين توقفي رجاءً

أعادت معطفه وسارت وحدها بخطًا ثابتة للأمام وتركته خلفها يحمل مظلته وحيدًا ينظر إليها بصمتٍ وقطرات المطر تنهال عليها بشدة..

✵✵✵

في تلك الأثناء..

كانت وهج تسير مُمسكةً بذراع بيتر دون أي وجهة، فقط يسيران مستمتعين تحت زخَّات المطر الرقيقة إلى ما تذهب إليه أقدامهما، وبينما

كانت تتأمَّل الأطفال وهم يلعبون تحت المطر وتتذكَّر كيف كانت تستمتع بالمطر في مثل ذلك السن، أتتها رسالة على هاتفها، فتحت وقرأت الرسالة:

مساء الخير يا توأم قلبي..

كيف هو يومك؟!

أتمنى أنك حظيتِ بيوم جميل كجمالك الفاتن ولطيف كلطافة قلبك النقي..

هاتان تذكرتان لحضور العرض الأول لفيلم بالسينما..

لك ولبيتر..

بعد ساعة ونصف الساعة من الآن..

أتمنى أن تستمتعا بمشاهدته..

أحبكما..

ثم أرفقت التذكرتين مع الرسالة..

أطْلعت وهج بيتر على رسالة أختها، وافق على حضور الفيلم، ثم أرسلت لتالين أنهما قبلا الدعوة وشكرتها على لطفها المعتاد، وأضافت إلى ذلك صورة قد التقطتها لها ولبيتر وهما يبتسمان..

***

للمرة الأولى أُجرَح منك..

كان تقبُّلُ هذا ثقيلًا على قلبي..

لا أقصد الجرح نفسه..

ولكن فكرة أنك استطعت جرحي تؤلمني..

تجرحني وأنت الذي عاهدتني ألَّا تجرحني أبدًا...

ها قد فعلتها..

بعد ما وجدت فيك كل هذا الحب..

قرأت مرة في أحد الكتب..

من يجرؤ على جرحك مرة لن يتردَّد في جرحك مرَّات عِدَّة..

فهل ستفعل هذا بي أيضًا؟!

شمس منتصف الليل

***

- أشعر بالبرد

قالها جوليان عندما كان يجلس كعادته وحيدًا في غرفة المعيشة أمام التلفاز، كانت الغرفة باردة بسبب الطقس البارد الذي اجتاح المدينة، المدفأة مُعطَّلة منذ عام، ذلك العام الذي غيَّرَ حياته وجعل منه شخصًا غريب الأطوار ذا شخصية ازدواجية مُنعزِلًا عن العالم كله، يعيش في أعماقه وحش مخيف يسفك دماء كل من يخطر على باله بطريقة بشعة.

تذكَّرَ ذلك اليوم عندما تعطَّلت المدفأة، وكيف كانت مارثا ترتجف بردًا وتقول له:

- عليك إصلاح العطل بأقرب وقت وإلا فلن تجدني في منزلك يا عزيزي، فإن لم أمت بسبب حبك فحتما سأموت بسبب هذا البرد

لم يصلحه وقتها لأنه وبعد أيام طلبت منه أن يسكن معها ومع والدتها التي كانت تحتضر ببطء، كانت تريده أن يبقى قريبًا منها لتستمد منه القوة والأمل، بينما كان هو يساعدها في حمل عبء المنزل، يحضر الطعام، يساعدها في تسديد فواتير إيجار شقتها يدفع بعض تكاليف علاج والدتها المكلف، كان جوليان يحبها لحد الجنون، وكان قلبه ينفطر كلما رأى الحزن في عيني جميلته..

قالت ذات مرة:

- أتعلم يا جوليان أنك أجمل شيء حصل في حياتي، حياتي أصبحت بائسة هذه الفترة أعترف بهذا، لكنك الوحيد الذي يُجمِّلها، فقلبك يا نور قلبي هو أحن وأصدق قلب عرفته ولن أجد قلبًا في هذا العالم ألجأ إليه غيره، أحبك لآخر نبضة ينبض بها قلبي

لم يكن يعرف جوليان وقتها أن مارثا كانت تُهدَّد من قبل ديفيد، ذاك الرجل المسن الجشع صاحب الشقة المستأجرة، والذي خيرها بين أمرين، إما أن تتزوجه ويسقط عنها الإيجار بالكامل وتصبح الشقة باسمها، وإما أن يرفع عليها الإيجاز للضعفين..

قالها بصريح العبارة:

- مارثا أنت جميلة وفاتنة، لكن الحياة قست عليك، خاصة بعد مرض والدتك، ما رأيك أن أتزوجك وأحمل هذا العبء عنك؟

اتسعت عيناها متفاجئة..

- لكنك تكبرني بثلاثة عقود، ولديك زوجة وأبناء في عمري، لا، لا أستطيع فأنا على وشك الزواج من حبيبي جوليان

صرخ فجأة:

- جوليان! ذلك الشاب المفتول العضلات أخذ عقلك! أنا أحبك وستكونين لي ولا يهم عمري ولا حتى عائلتي التي لا أراها إلا في المناسبات

ردَّت بهدوء حينها:

- أعتذر سيد ديفيد

نظر إلى عينيها بغضب:

- إما أن تتزوجيني وتصبحي لي وكل شيء أملكه يصبح لك، أو أن ايجار الشقة سيرتفع للضعفين من الشهر القادم. ثم غادر

كانت تلك الفترة أصعب فترات حياتها، ترى والدتها تموت أمامها دون أن تستطيع جلب الدواء لها، معرفتها مؤخَّرًا من إحدى ممرضات المستشفى الذي كانت والدتها تتلقى الرعاية فيه أن أحد الأطباء أخطأ في تشخيص حالة والدتها وبِتَستر زوجته رئيسة التمريض مما أدى إلى تدهور حالة والدتها الصحية، ارتفاع إيجار الشقة ولا يوجد لديها وقت لتنتقل لمكان آخر، ضغوطات عملها ومكر صديقتها المقربة، والأهم من ذلك كله أنها كانت ترى جوليان يفعل قصارى جهده من أجلها ويفضلها حتى على نفسه.

شعرت بحمل كبير على أكتافها والذي سقط تدريجيًّا إلى قلبها حتى أصبح ألمًا يُمزِّق ذلك القلب المسكين ويعذبه

خاصَّةً بعد وفاة والدتها، كانت ترجو السلام فقط وتبحث عنه، إلى أن قرَّرَت هي مغادرة هذه الحياة بسلام تام..

- أشعر بالبرد يا آريز

- أنا لا أشعر به، بل أشعر بنشوة قوية داخلي

- ماذا هناك؟!

- أشعر بحماس كبير يا صديقي، حماس لدرجة أني أريد قتل أحدهم الليلة، أريد أن أعذبه بطريقة مجنونة

- كل طرقك مجنونة مثلك

- هذه المرة أريد تدفئتك في هذا الطقس البارد

- كيف؟!

ضحك ضحكته الشهيرة:

- ما رأيك بما أن مدفأتنا معطلة، سأجعل شيئًا أجمل يقوم بتدفئتنا

- ما هو تكلم؟! بماذا تفكر يا شيطاني؟!

- أفكر بصنع مدفأة بشرية

ظهرت تعابير الاستغراب على وجه جوليان:

- تكلم بوضوح آريز

- سأحرق جسدًا كي يدفئنا لهيبه

شهق:

- تحرق جسدًا!!!

أجاب بحماس:

- أحرقه حيًّا كي يتراقص أمامنا ونتسلى أكثر

- يا إلهي هذا مرعب حقًّا

ابتسم بخبث:

- والرعب تسليتي

أكمل مشاهدة التلفاز، يُقَلِّب بين القنوات الفضائية صامتًا..

- أجبني يا جبان

- بماذا أجيبك آريز؟! فكرتك مخيفة، ومن هذا الشخص الذي ستحرقه؟! ومتى؟!

- أشعر أن وقت انتقامنا قد حان يا انفصامي

- أنت انفصامي ولست أنا، أنا الحقيقي هنا

صرخ:

- اصصصمت واسمعني جيِّدًا يا مغفل، سننتقم اليوم

- اليوم!!

- وسنحرق ديفيد اللعين

- ديفيد !!

- انتهى الكلام

***

أين أنت؟!

أشعر ببرد شديد..

إني أرتجف بلا توقف..

ليس بسبب البرد، بل خوفًا من فكرة رحيلك يومًا..

نعم أنا أخشى رحيلك..

مع أنك وعدتني يومًا بأنك لن تتركني أسير وحيدة في الطريق..

أصدق وعدك وأكذب شكوكي..

أين أنت؟! فالبرد يزداد قسوةً هنا..

وأنا وحدي..

أحتاج إلى دفئك..

إلى معطفك الذي اعتدت ارتداءه عوضًا عنك..

إلى ذراعيك وهما تدفئانني..

إلى ابتسامتك وهي تشعرني بالأمان..

أحتاج إليك..

فلماذا لا أراك بجانبي؟!

أين أنت؟!

اعتدتك..

اعتدت هذا القرب بيننا..

اعتدت رائحتك الشهية..

معطفك الدافئ..

جنونك..

اعتدتك..

اعتدت كلمة أحبك..

التي تخرج من بين شفتيك كقبلة لي..

اعتدت ذلك الحضن الذي أرتمي إليه..

إلى ذراعيك اللتين أختبئ بينهما..

إلى كتفك الذي يشعرني بالأمان..

لذا محرّم عليك أن تتركني لحظة..

ولو عن غير قصد..

لأني وبكل بساطة..

اعتدتك..

شمس منتصف الليل

❋❋❋

(أصبحت تخيفني)

لم تكن الليلة باردة على جوليان فقط، كانت باردة أيضًا على تالين، باردة بلا عناق دافئ أو قبلة حارة أو حتى كلمة تُقال لها تُشعرها بدفء المكان، فمنذ ذلك المساء وذلك الخلاف تحديدًا أصبح يزن شخصًا مختلفًا عن ذي قبل، وفي كل يوم يختلف أكثر فأكثر، مختلفًا بأسلوبه، بطبيعة شخصيته، مختلفًا حتى بطريقة حبه، تذكَّرت كيف كانت تنتظر اعتذاره بعد أول خلاف، تنتظره فقط لتقول له سامحتك، فالمرأة لا تقبل العودة دون اعتذار من الرجل، لكن تالين فعلتها، عادت إليه مشيرة أن سبب الخلاف كان سوء فهم لا أكثر، ومع الأيام شعرت ببرود غريب من ناحيته، لا تخرج معه دائمًا كما كانت تفعل سابقًا، أصبح يتحجج بانشغاله بعمله، قلَّت رسائله الصباحية التي كانت تستخدمها كتعاويذ ورسائله المسائية الأشبه بضماد لقلبها..

تتذكَّر الآن ذلك اليوم جيِّدًا، عندما خرجت برفقة يزن للتسوق، كانت تسأله أي من هذين الفستانين أجمل، ثم أعادت السؤال مجدَّدًا:

- يزن حبيبي أي الفستانين أجمل في نظرك؟!

كان منشغلًا بهاتفه وعلى ثغره ابتسامة عريضة..

- يزن؟! أنا أسألك

رفع رأسه عن الهاتف وتغيَّرت ملامح تلك الابتسامة إلى شيء من الصرامة:

- ماذا تريدين يا تالين؟!

لاحظت تغيُّر تعابيره

- كنت أسألك أيهما أجمل فقط؟!

- فقط!! تتحدثين كثيرًا وتقولين فقط!!

استغربت:

- مجرد سؤال سألته، لم أقل شيئًا آخر

- كلاهما جميل

لم تعجبها إجابته:

- حسنًا شكرًا لك

- أي سؤال آخر؟!

- لا

عاد إلى هاتفه وعادت تلك الابتسامة..

- يزن

- نعم يا تالين ألم تقولي انتهت أسئلتك

- لا أريد أن أسألك

- ماذا تريدين إذًا؟! أن أدفع ثمن الفستانين؟! حاضر هيا لنذهب إلى المحاسب

نظرت إليه..

وضعت الفستانين على طاولة كانت بجانبها تحمل بعض الملابس الجديدة وأسعارها..

- لا أريد شيئًا، أريد الخروج من هنا وحسب. قالتها وهي تخبئ الحزن

- لماذا؟!

- تذكرت أن لديَّ ثيابًا مشابهة. كانت تكذب

كما تشائين هيا. لم يحاول حتى مجاملتها

خرجا من المحل، أمسكت هي بذراعه عندما كانا يسيران، تتشبث بها بقوة، لم يتحدث أحد..

- أين سنذهب الآن؟! سألها

لم تنبس ببنت شفة..

- وإذا لم أجبك على سؤالك تحزنين

- في السابق كنت تقول لي عندما أسألك عن لبس مُعيَّن إني أنا من يزينه، ماذا حصل الآن؟!

أحسَّ أنه كان فظًّا معها..

- لا شيء يا عزيزتي

- أرجوك أخبرني

- بماذا؟!

سألته بصوتٍ حزين:

- أتشعر أني أصبحت ثقيلة عليك؟!

- لا إطلاقًا ما هذا الهراء يا حبيبتي؟!

عانقها ثم قبلها..

تتذكر أيضًا بعد يومين من ذلك العناق..

عندما كانت تتابع معه فيلمًا في منزله، كان الفيلم من اختياره، لم تحب قصته لكنها ظلَّت تشاهده معه دون أن تخبره بسوء اختياره كي لا يحدث مشكلة من لا شيء كعادته الجديدة، ناولته الفشار الذي أعدته، سكبت له من العصير الذي وجدته بالثلاجة، صعدت إلى حجرته خلسة، استلقت على سريره وأخذت تتأمل السقف وتفكر بهذا البرود الغريب بالعلاقة، وضعت له رسالة على المنضدة كانت قد كتبتها صباح اليوم.

جلست تنظر في حجرته، باب الفضول جعلها تفتح خزانة ملابسه، وهناك كانت تنتظرها مفاجأة، رأت أمامها روب نوم نسائي من الساتان أبيض اللون، اتَّسعت عيناها ونبضات قلبها تسارعت، بدأت تتحقق ما إذا كان جديدًا يحمل بطاقة السعر، اعتقادًا منها أن يزن قد ابتاعه لها، لكنها لم تجد أي بطاقة للأسف، كيف ولمن هذا الروب! وماذا يفعل هنا في حجرته! جميعها أسئلة تجوب في عقلها، اشتاطت غضبًا، هناك امرأة غيرها دخلت إلى هنا، أخذت معها الرسالة التي وضعتها على منضدته ثم غادرت..

كان يزن حينها غير مبالٍ بفيلمه الذي كان يُعرض لاهيًا بمراسلة أحدهم، مراسلتها:

- لا تأتي الليلة للمنزل فهي هنا

سألت بسرعة:

- ما الذي تفعله الآن؟!

- نشاهد الفيلم الذي شاهدناه معًا حبيبتي

- كاذب

التقط صورة للتلفاز وأرسلها:

- هل صدقت الآن؟!

- أهي بجانبك؟!

- لا، أظنها في المطبخ أو في دورة المياه

توقفا عن الكتابة..

أرسلت بعد دقيقة..

- أشعر بالغيرة يزن

قلوب مكسورة..

- منها؟!

- نعم وجدًّا

- أنا نفسي لا أعرف ماذا أفعل

قلوب مكسورة..

- يززززن

وجه حزين..

- أنا عالق بالمنتصف صدقيني

-وأنا خائفة من العواقب

سكت ثم كتب:

- كيف! كيف أحببتك عوضًا عنها! أنا لم أعد أعرف نفسي

- لأني أصلح لك أكثر منها

- كنت أحبها بجنون أعترف، لكن مع مرور الوقت هناك شيء اختلف بداخلي، ثم تعرفت عليكِ

سكت..

- أكمِل

- تعرفت عليكِ بالطريقة نفسها التي تعرَّفت بها عليها

- ربما كانت علاقتكما علاقة إعجاب فقط

- لكنها استمرَّت لأشهر طوال، شارفنا على إكمال عام بهذه العلاقة، ولم أكن أشعر بالملل معها، أما الآن فنعم

- لكنك ستنهي هذه العلاقة كما اتفقنا صحيح؟!

وجوه غاضبة..

- لكن كيف؟! أنا خائف من ردة فعلها

- لا يهمني ردة فعلها إطلاقًا

- أنتِ قاسية

- أنا أغار عليك ليس إلَّا

- لا أعرف ما الذي يجب علي فعله صدقيني - اتركها وانتهى الأمر، اخلق مشكلة، أو ببساطة أخبرها أنك لم تَعُد تحبها

وجه مبتسم..

- آآآآآخ

- ستفعلها قريبًا رغمًا عنك، لأني لم أعد أتحمل غيرتي عليك، هي معك عوضًا عني؟!

قلوب حمراء..

عندها كانت تالين تنزل السلالم بهدوء، لم يشعر يزن أبدًا بذلك، وقفت وراءه مباشرة مرتجفة، رأت تلك القلوب الحمراء، حاولت معرفة الاسم لكنها لم تستطع لأن يزن أحس بوجودها حينها فأغلق شاشة هاتفه بسرعة والتفت نحوها:

- أين كنت تالين؟ فاتتك أحداث الفيلم

ظلَّت تنظر إليه بصمت..

- ما بك؟!

- أشعر بالتعب، أريد العودة للمنزل

- ألن نكمل السهرة؟!

- أعتذر لا أستطيع

قدم نحوها مُحاوِلًا معانقتها، لكن لأول مرة تدفعه تالين وتبعده عنها..

- تالين؟!

- ربما أكون مريضة بفيروس معدٍ، لا أريد أن تصاب بأذًى

- حسنًا كما تشائين عزيزتي

ودَّعته وخرجت من منزله هاربة..

هاربة من الحقيقة..

تبحث عن هواء صالح للتنفس..

فهذا الشعور يخنق..

وهي تختنق الآن..

***

قلبي..

أكتبها وأقصدك أنت..

ما الذي غيَّرَ نبضاتك تجاهي..

فما عادت تلك النبضات تهمس باسمي..

وما عُدت أتحسَّس يديك اللتين كانتا لا تتركانني..

أما زال الحب يحيا بيننا؟!

أم أنك مللت حبي؟! وقرَّرت هجري..

شمس منتصف الليل

رسالة ممزقة وجدتها طفلة بالقرب من منزل يزن..

يزن..

أكتب لك رسالتي خائفةً..

خائفةً منك..

خائفة من قول هذا في وجهك لذا لجأت للكتابة..

فأنت في الآونة الأخيرة أصبحت شخصًا مختلفًا..

مشاعرك الباردة تربكني..

أسلوبك الحاد يخيفني..

لا أعرف سبب هذا ولكني أريدك أن تعرف أني أحبك وأريدك أن تعود لي..

كيزن الذي أعرفه..

وحيدة قلبك تالين

أحبني كما أستحق فأنا لا أطلب المستحيل..

شمس منتصف الليل

أحبك..

رغم هذا البعد..

رغم هذا الجمود..

رغم هذا الألم..

إلا أنني وللأسف!!

لا أزال أحبك..

شمس منتصف الليل

***

رجل يحترق)

كان ديفيد مستلقيًا على الأريكة يشرب سيجارته بشراهة وينفث دخانها في الهواء حتى تكوَّنت سحابة من أول أكسيد الكربون فوقه، عادة يومية يفعلها كل مساء، كان سيئ المعشر والطباع، يضرب زوجته إذا انتقدته، يركل أبناءه إذا لم يلبوا أوامره، دائمًا غاضب ولا يعجبه شيء، وبسبب هذا قرَّرَت زوجته تركه وفضلت العيش مع أحد أبنائها بعيدًا عنه، سوء المعاملة ذاك لم يكن مقتصرًا على أفراد أسرته فقط، بل حتى جيرانه قد نالوا نصيبهم أيضًا، جعل الجميع ينفرون منه حتى ظلَّ وحيدًا في منزله، يكسب قوته من إيجار شققه..

رن جرس المنزل..

مشى ديفيد متثاقلًا باتجاه الباب..

رن الجرس مجدَّدًا..

- قااادم يا لعين. صرخ

فتح الباب فوجد رجلًا مرتديًا ثيابًا سوداء مُخبِّئًا وجهه بقناع أبيض يقف أمامه..

- هل هذا برنامج الكاميرا الخفية أم ماذا؟!

أخذ يضحك في وجه الزائر الصامت..

- من أنت يا هذا وماذا تريد؟!

سحب نفسًا من سيجارته ونفث دخانها في وجهه..

كان يحمل الزائر بيده اليسرى مجموعة كثيرة من الأوراق البيضاء، وبيده

اليمنى كان يحمل قلمًا أسود اللون، كتب على إحدى الأوراق بخط عريض ورفعها ليتمكَّن ديفيد من قراءتها:

- أنا أحد أبنائك يا أبي، سأقوم بتحديك وإن فزت فستنال جائزة كبرى لم تتخيلها إطلاقًا

- من أنت من بين خنازيري الثلاثة؟!

كتب بسرعة على ورقة ورفعها:

- لن أخبرك من أنا، ولن تسمع صوتي حتى، سأظل أكتب لك طيلة التحدي

- وما هو التحدي؟!

- ادخل المنزل وسأجلب معي ما سأتحداك به

- أظن أنها ستكون ليلة مسلية، حسنًا إذًا

دخل ديفيد غرفة المعيشة منتظرًا التحدي، وبعد دقائق دخل الزائر وهو يسحب معه قفصًا حديديًّا ضخمًا، كتلك الأقفاص التي يحتجزون بها الحيوانات الكبيرة كالغوريلا، فتح باب القفص أمامه وأشار له بالدخول..

اتَّسعت عينا ديفيد:

- ما هذا يا فتى؟!

أشار بيده مجدَّدًا طالبًا منه الدخول..

- لن أدخل، ما هذا القفص!! ما هذا التحدي القذر!!

كتب له:

- ادخل

- لن أدخل ألا تفهم!!

- ادخل وأعدك يا أبي أني سأعطيك مبلغًا ضخمًا من المال، غير أني سأخبرك

عن فتاة معجبة بك وتود الزواج منك، أدخل وسأشرح التحدي لك

سال لعابه:

- فتاة معجبة بي؟! وتود الزواج بي؟! أهي جميلة ورشيقة؟!

- ادخل

دخل القفص أخيرًا وأقفل الزائر بابه، نظر ديفيد في عيني زائره بتمعن، يحاول معرفة من يكون خلف ذلك القناع الأبيض.

- إذًا ما هو التحدي؟!

- التحدي ينقسم على ثلاث مراحل

- في كل مرحلة ستدفع لي مبلغ خمس مائة دولار أفهمت!!

- بل إن فزت بالتحدي فسأعطيك عشرة آلاف دولار هذا وعد مني

- عشرة آلاف دولار!! مستعد لتحديك يا هذا

جلس يكتب ثم أراه الورقة:

- المرحلة الأولى أريدك أن تعرف هوية الفتاة التي تريد الزواج منك، المرحلة الثانية أريدك أن تخبرني من أكون، ثالثًا وأخيرًا أريدك أن تُخرِج نفسك من هذا القفص بأي طريقة تراها مناسبة ولك أن تطلب شيئًا واحدًا

فقط من خارج القفص لأحضره لك كوسيلة مساعدة

أكمَل الكتابة:

- في المرحلة الأولى فقط سأساعدك وسأعطيك ثلاثة تلميحات لمعرفة الفتاة، أما المرحلتان الثانية والثالثة فستتكفل أنت بحلهما بنفسك وسنرى مدى مستوى ذكائك

ضحك ديفيد من شِدَّة حماسه:

- يبدو الأمر مُسلِّيًا جدًّا

ضحك الزائر بصمت..

- جدًّا

ثم حام نظره بأرجاء الغرفة، كل شيء هادئ ومثالي لما يجوب في عقله الغريب، عاد بنظره إلى ديفيد الذي جثا على الأرض منتظرًا بداية التحدي..

بل بداية هلاكه..

- هيا متى سنبدأ يا أحمق

كتب بخط عريض:

- هل أنت مستعد؟!

صرخ:

- نعممم

مرة أخرى:

- هل أنت مستعد؟!

- نعمممم

- قبل كل شيء، اختر شيئًا واحدًا تريده ليساعدك في الخروج من هنا في المرحلة الثالثة

- انتظر دعني أفكِّر

أخذ يُفكِّر ويُفكِّر إلى أن أجاب أخيرًا:

- أحضر لي مطرقة

- خيار جميل، وأين أجدها؟!

- في المطبخ داخل الدولاب المجاور للفرن

ذهب ثم عاد له بطلبه، ناوله إياه من بين الفتحات..

- إذًا لنبدأ. كتب له

- لنبدأ

- المرحلة الأولى من هي الفتاة التي تريد الزواج منها؟!

أمامك دقيقتان للإجابة فقط، بدأ الوقت

- انتظر، قلت إنها تريد الزواج مني أنا، ليس العكس

- التلميح الأول: لا توجد فتاة في هذا الكون تريد الزواج منك، خاصَّةً من رجل كبير السن ذي أسنان صفراء بشعة ذي حياة قذرة

- ماذا!!

- دقيقة وخمسون ثانية

فجأةً أوقف عداد الوقت:

- تذكَّرت شيئًا كدت أنساه

ثم ذهب وأحضر الجالون الذي تركه عند مدخل المنزل، نظر لوجه ديفيد القبيح وكتب:

- يجب أن يكون هناك القليل من المتعة أليس كذلك؟ لن يكون التحدي بالشكل السهل الذي تتمناه، وأنا لا أوزع المال بالمجان، فإن لم تكسب المال فستخسر حياتك

- حياتي!! لم أفهم ما تقصده؟!

فتح الجالون وبدأ بسكب السائل على القفص بأكمله، ثم وبحركة سريعة سكب السائل على ديفيد الذي غرق هو وثيابه منه..

صرخ:

- ما هذا يا لعين!! بنزين!! لماذا!!!

- ببساطة، إن خسرت فستحترق

اتَّسعت عيناه لِما سمع..:

- هل ستحرق والدك!!

- من قال إنك والدي، عفوًا كنت أكذب لأدخلك في هذا القفص كالحيوانات، فأنت حيوان ناطق لا أكثر

- من أنت!! سأقتلك إن خرجت

بدأ يطرق بهستيريا القضبان الحديدية بالمطرقة التي كانت معه، أخرج الزائر بهدوء قداحة:

- إن قمت بأي حركة فسأحرقك دون تردد، لديك فرصة واحدة للخروج من هنا ومعك الكثير من النقود، وهي أن تنجح بالمراحل الثلاث

- اتركني أرجوك

- لنبدأ

أكمل المؤقت المتوقف:

- دقيقة وأربعون ثانية

- لا أعرف لا أعرف

- دقيقة وعشرون

ثم أشعل القداحة بالقرب من القفص..

- لا لا ابتعد أرجوك

- دقيقة وعشر ثوانٍ

صرخ مرتعبًا:

- ممن أريد الزواج!! لا أحد لا أحد

- التلميح الثاني: فتاة شابة مفعمة بالحيوية، كانت رقيقة لا تؤذي أحدًا، وكنت أنت فرعون الذي لم يرحمها

- لا أتذكر أني قد آذيت فتاة في حياتي، أرجوك أخرجني أرجوك

- خمسون ثانية

- لا أريد الموت لا أريد الموت

ظلَّ يصرخ ويصرخ والرعب يدب في قلبه ورائحة البنزين قد ملأت الأرجاء

- عشرون ثانية

- لا لا، أرجوك أعطني دقيقة

- عشر ثوانٍ

بدأ يبكي..

- التلميح الأخير: فتاة قد انتحرت، كانت مستأجرة عندك

ثم كتب أيضًا:

- ثلاث ثوانٍ

صاح:

- مارثا مارثا

أغلق القداحة..

- صحيح مارثا، فزت بالمرحلة الأولى وبأول مبلغ

بدأ ديفيد يجمع رابطة جأشه..

- المرحلة الثانية: من يكون هذا الشخص الذي يمتثل أمامك مُخبِّئًا وجهه داخل قناع، أمامك دقيقة لا أكثر، بدأنا

- يا إلهي يا إلهي ما هذه التحديات، ومن عساك تكون!!

- لو كنت مكانك لفكرت بشخص يعرف مارثا، أربعون ثانية

- لا أعرف أصدقاءها ولا أعرف من كان يزورها حتى

- عشرون ثانية

- لا لا، أرجوك مهلا، أتذكَّر حبيبها الذي عاش معها في فترتها الأخيرة

- ماذا كان اسمه؟! عشر ثوانٍ

حَاوَلَ التذكر:

- جو، جو

- ست ثوانٍ

- جو، آآآخ لا أستطيع

- ثلاث

- لا لا، انتظر، جول

أشعل القداحة واقترب كثيرًا من القفص..

- واحد

كاد يحرق القفص لو لم يصرخ ديفيد:

- جوليان جوليان جوليان

أزال القناع عن وجهه وابتسم قائلًا:

- نعم جوليان، لقد أصبت هذه المرة أيضًا وكسبت نقودًا إضافية، أنت رائع في اللعب

صعق ديفيد عندما رأى وجه جوليان بنظراته المخيفة:

- ماذا تريد مني؟! اتركني رجاءً

- بهذه السهولة؟!! لم ينتهِ التحدي بعد لكننا شارفنا على الانتهاء لا تقلق

- سأعطيك كل ما أملك فقط اتركني وشأني جوليان

ضحك ضحكته المرعبة:

- أريد روحك، روحك التي تسببت باختفاء روحي الجميلة، نعم أقصد مارثا يا صعلوك، بسبب قذارتك قرَّرَت أن تفارق الحياة، بسبب تفكيرك المنحرف أرادت الخلاص

صرخ مُكمِلًا كلامه:

- بسببك أنت أصبحت أنا وحيدًا

- لم أقصد أن أجعلها تنتحر، كنت أحبها فقط وأردت الزواج منها

- تحبها!! هي لا تَكُنُّ لك أية مشاعر، مشاعرها كانت لي وحدي

- أرجوك سامحني، أرجوك اتركني

- مرحلتك الثالثة بدأت يا آريز

- آريز؟!

أجاب بغضب شديد:

- نعم أنا آريز الذي يحمل رائحة الموت والمحب للانتقام

- أنت مجنون، أخرجني من هنا يا مجنون

- المرحلة الثالثة: حاول الخروج من هذا القفص يا حماري الناطق بمطرقتك التي طلبتها

ثم ضحك في وجه ديفيد المرتعب:

- أتعلم أنك غبي وبلا عقل؟ طلبنا منك أن تختار شيئًا يساعدك في الخروج من هذا القفص وطلبت المطرقة عوضًا عن المفتاح نفسه!

ثم أضاف:

- هذا هو حال الإنسان دائمًا يبحث عن التعقيد وينسى أن للحياة طرقًا أسهل للعيش

- ماذا؟! كنت ستعطيني المفتاح؟!

- بالطبع سأعطيك فقد كان كلامي واضحًا، أي شيء من خارج القفص، لكنك بلا عقل يا ذا الرائحة النتنة، أمامك دقيقة للخروج وإلا فستُحرق حيًّا، بدأ

الوقت

بدأ ديفيد يضرب القضبان بهستيريا، يضرب ويضرب بكل قوته، كان يصرخ ويبكي راجيًا الخلاص من هذا الكابوس، أطراف أقدامه تتنافض، يحاول السيطرة على قوة يديه..

- عشر ثوانٍ

صرخ بصوتٍ ممزوج بالبكاء..

- لم تنتهِ خمسون ثانية بعد، مضى عشرون فقط

ابتسم وأجاب ببرود:

- من قال إني أشبه جوليان الصادق، أنا آريز المخادع وفي توقيتي تبقى خمس ثوانٍ

- لا لا لا

- أنا آريز أسلط عليك عذابي انتقامًا لشباب مارثا الذي هُدِر بسبب أمثالك الحمقى

- لاااااااااا

أشعل القداحة ورماها داخل القفص، أشعلت النار بسرعة داخلها، هرب ديفيد للزاوية لكن سرعان ما لحقته النيران حتى التهمته، صرخ بطريقة هستيرية، صار يركض ويتخبط داخل القفص والنيران تلتهم جسده بشراهة، يصرخ ويدور في الأرض ككرة ملتهبة، كان يصرخ صراخ الموت..

أخذ يتأمَّل جوليان المشهد بخوف، بينما كان آريز مُستمتِعًا بشدَّة:

- ألم تقل لي بأنك تشعر بالبرد؟! هيا لقد أشعلت لك نارًا تدفئك يا عزيزي

اقترب من القفص بينما كان ديفيد يتعذب محترقًا أمامه، مدَّ يديه بالقرب من القفص ليدفئهما..

- مدفأة بشرية كما قلت لك

- لهيبها قوي جدًّا

- كل هذا لأنك فقط شعرت بالبرد جوليان

- شكرًا آريز لقد دفئت

بدأت حركة ديفيد تبطؤ تدريجيًّا، كذلك صراخه، حتى سقط أرضًا كجثة هامدة تنظر في عينَيْ قاتلها اللتين كان لهيب النار ينعكس من خلالهما..

- لقد مات. قال جوليان

- أعلم. أجاب آريز

- ماذا سنفعل الآن؟!

- سنطفئ النار قبل أن تلتهمنا نحن أيضًا

كان آريز مستعدًّا لكل خطوة يخطوها، لذا أحضر معه مطفأة حريق، أخمد النار التي كانت تحيط بالقفص قبل أن تبدأ بالخروج خارجه، ظلَّت الجثة مشتعلةً قليلًا إلى أن أطفأها جوليان بنفسه، كانت سوداء متفحمة، ذهب آريز إلى المطبخ وأحضر معه سكينًا حادة، دخل القفص وكشف عن ظهر الجثة التي كانت مستلقية على بطنها، أخذ يبعد الجلد المتفحم بالسكين أزال الطبقة الأولى والتي كانت يابسة بسبب تفحمها، أصبح السطح جاهزًا لهوايته الغريبة، غرز السكينة بقوة في منتصف الظهر وأخذ يشق الجلد ويكتب، كانت عيناه تملؤهما النشوة عندما انتهى من حفر اسمه المرعب..

آريز..

***

فجر اليوم التالي..

كان المحقق بيتر يجلس خلف طاولة مكتبه غاضبًا بسبب تقدمهم البطيء في قضية آريز، وقد كانت الملازم جودي تحاول تهدئته قليلًا..

- اهدأ يا بيتر أرجوك ودعنا نفكر جيِّدًا

- كيف تريدينني أن أهدأ وهذا القاتل حر طليق يمشي بين الأبرياء ويقتلهم بدم بارد!!

- أعرف شعورك يا بيتر لكننا نفعل قصارى جهدنا وأنت تعلم هذا

ضرب الطاولة بقبضة يده:

- لا بُدَّ أنه نسي شيئًا يقربنا من معرفته

- بحثنا في جميع كاميرات المراقبة، جميع اللقطات التي يظهر فيها يكون لابِسًا قناعه الأبيض

- أكثر ما يغضبني هو أنه يترك اسمه في مسرح الجريمة مكشوفًا لنا، كأنه يقول أنا آريز الذي فعل هذه الجريمة وأتحدى رجال الشرطة بالإمساك بي

- صحيح هذا غريب حقًّا، لماذا يترك اسمه وبالطريقة نفسها على ظهر ضحاياه، لماذا يريد أن تشير أصابع الاتهام ناحيته؟!

وضع يديه على رأسه مُحاوِلًا تهدئة أعصابه وأن يركز أكثر في الملفات التي أمامه..

- جودي دعينا نُعِد كتابة الأحداث من جديد وبتركيز أكبر

أخرج عِدَّة أوراق بيضاء وبدأ يكتب:

أوَّلًا جريمة الصيدلي مايك..

يعمل في صيدلية بمنطقة دافي فيلج، قُتِل في شقته عند منتصف الليل، سلاح الجريمة حقنة تحتوي على مزيج من المحلولين الكيميائيين كلوريد البوتاسيوم وبروميد البانكورونيوم..

ثانيًا جريمة هيلدا..

تعمل في شركة مُتخصِّصة في مستحضرات التجميل بمنطقة بورارد، قُتِلت بحفلة تنكرية ليلية داخل كوخ في الغابة، سلاح الجريمة سكينة

متوسطة الحجم مُتخصِّصة في تقطيع اللحم

ثالثًا جريمة ديفيد..

لا يعمل فهو يملك مجموعة شقق في منطقة باركلي يجــني منها المال،

قُتِل في منزله بعد منتصف الليل، حُبِس وأُحرِق حيًّا حتى الموت..

وضع خطًّا تحت زمن كل جريمة..

- يفضل ارتكاب جرائمه في أوقات متأخرة من الليل، قالت الملازم جودي

- هذا ما هو واضح

- كل جريمة لها أسلوبها الخاص، لا يُكرِّر شيئًا

- ما يُكرِّره هو كتابة اسمه على ظهر ضحاياه

أخذا يفكران بصمت..

- آريز آريز آريز، اسم مذكور في الأساطير اليونانية

- لذلك لم نكن نعرف معنى الاسم في البداية لأنه يوناني الأصل، غالبًا لن يعرفه سوى اليونانيين أنفسهم أو من هو مختص في علم الأساطير

- جودي هل تفكرين فيما أفكر فيه؟!

- هل تعتقد أن القاتل يوناني أو له أصول يونانية؟!

- هذا ما أعتقده حقًّا

قالت وهي تسجل هذه المعلومة:

- إذًا يوناني الأصل، تقدُّم جيد

- واختياره لاسم آريز له معنًى خاص

- بيتر في المرة السابقة اكتشفنا أن اسمه يدل على شيء من الانتقام

- كان يدلُّ على الانتقام والقتل الوحشي

- امممم القتل الوحشي واضح أمامنا، مجنون يستخدم أساليب مجنونة

فجأةً قال بحماس:

- جودي!! ماذا لو كان مُختلًّا عقليًّا؟! أو لديه اضطرابات نفسية؟!

- شيء وارد حقًّا فمن يقوم بهذه التصرفات ما هو إلا مجنون أو مريض نفسي

- أجمعي التقارير التي تصف الجرائم وأرفقيها بصور الضحايا ومسرح كل جريمة وضعيها في ملف واحد واجعلي من هذا الملف خمس نسخ ثم أرسليها لأفضل خمسة أطباء نفسيين في فانكوفر ودعينا نرَ ما إذا اتفق الجميع على رأي واحد يخصُّ الحالة النفسية للمجرم أو لا

- فكرة مفيدة جدًّا، على الأقل نعرف الحالة النفسية لهذا المجرم

- أتمنى ألا يكون مُختلًّا أو يملك اضطرابات نفسية

- لماذا؟! سألت باستغراب

- لأنه إذا كانت لديه اضطرابات نفسية فهذا سيصعب المهمة علينا

- هلا وضَّحت أكثر؟ اعتدل في جلسته

- لأنه يا عزيزتي سواءً أكان مضطربًا أو مجنونًا كما تقولين، عندها لن نستطيع توقُّع تحركاته القادمة، لن نستطيع التفكير كما يُفكِّر هو

علَّقَت مازحةً:

- يجب أن نصبح مجانين كي نفكر بطريقته ونلقي القبض عليه

ضحكا بصوتٍ سمعه الملازم المجاور لمكتب بيتر..

- لو كنت في مزاج جيِّد لقلت لك إنك مجنونة وتستطيعين التفكير مثله، لكن الوقت غير مناسب، لنكمل التحليل

- لنعصر أفكارنا أكثر

أخذ ينظر في الورقة التي كان يكتب عليها ويفكر..

عاد الصمت مجدَّدًا داخل المكتب..

يتأمَّل في الورقة أكثر..

- آريز يريد الانتقام من شيء نجهله. قالها وهو يكتب كلمة انتقام

- اختار اسم آريز ليخبر الجميع أنه عاد لينتقم

- ينتقم من أشخاص معينين بلا شك

- أشخاص تربطهم صلة بشيء ما

- شيء يستدعي الانتقام بهذه الطريقة

أخذت تبحث جودي ملفًّا كان على الطاولة..

- نعم انظر لهذا الملف، أعددته بنفسي، وضعت به المعلومات الشخصية لكل ضحية، لم أجد حينها شيئًا يربط بعضهم ببعض ولا حتى شخصًا مشتركا بينهم

ألقى بيتر نظرةً عليه وبدأ يقرؤه بتمعن:

- صحيح لا يرتبطون بشيء، كلٌّ منهم له حياة خاصة لا تلتقي بالأخرى، إذًا ما هو الشيء الذي يربطهم جميعًا بآريز؟

- هل تعتقد أن جريمة قادمة ستحدث؟!

- لا أعرف لكن هذا مُتوقَّع جدًّا

عادا ينظران إلى التقارير..

أخذ بيتر يُشخبط على ورقة بيضاء بينما كان عقله يفكر..

نظر إلى خريطة المدينة والتي كانت معلقة على جدار مكتبه..

صوت عقارب الساعة الجدارية هو من كان يتحدث حينها..

وفجأة..

اتَّسعت عينا المحقق بيتر وصاح:

- جودي!! ماذا لو كانوا يشتركون في مكان واحد؟!

- كلٌّ منهم في منطقة مختلفة

- أعرف لكن المناطق قريبة بعضها من بعض!!

ثم أخذ قلمًا وذهب إلى الخريطة:

- ركزي معي جيِّدًا، جميع الأماكن مختلفة صحيح، لكن هناك ثلاث مناطق قريبة جدًّا بعضها من بعض..

بدأ برسم دوائر على الخريطة..

- أوَّلًا مكان الصيدلية التي يعمل بها مايك يكون في هذه المنطقة، مكان الشقق التي يملكها ديفيد يكون هنا، وأخيرًا مكان عمل هيلدا يكون هنا

اندهشت الملازم جودي عندما نظرت الى الدوائر الثلاث التي رسمها المحقق بيتر جميعها كانت تشترك بتقاطع واحد، في نقطة معينة، أي في منطقة واحدة..

- بيتر! كم أنت عبقري حقًّا، كيف خطر على بالك هذا التقاطع، جميعها ترتبط هنا

وضع دائرة على ذلك التقاطع ووسعها قليلًا، ثم ذهب إلى حاسوبه بسرعة وطبع خريطة ذلك المكان..

- هنا يسكن الرابط، هنا تكون حكاية آريز

- الحكاية التي لم نكتشفها بعد

- لنبحث هناك عن شيء ما غريب حدث في الفترة الماضية أو حتى في السنتين الماضيتين، لا بُدَّ أن شيئًا قد حدث

- فكرة سديدة، سأهتم بالأمر بنفسي

- ولا تنسي إرسال الملفات للأطباء النفسيين

- لا عليك سأفعل

- إذا ذهبتم لتلك المنطقة أنت وفريقك فاسألوا الأطفال الذين يلعبون في الشارع أيضًا، فالأطفال شديدو الملاحظة، خاصة عند حدوث أمور غريبة، يحشرون أنوفهم بحجة الاستكشاف

- هل كنت تفعل هذا في صغرك أيضًا؟!

- نعم. أجاب مبتسمًا

- سأقوم بجميع التعليمات حضرة المحقق، أستأذنك الآن

نظر بيتر إلى جودي بحزم:

- جودي

- نعم؟

- كنا متكتمين عن الإعلام والصحافة بخصوص تلك الجرائم خشية أن يصاب الناس بالهلع، لكن أظن الوقت قد حان لتعرف المدينة أن هناك مُجرِمًا طليقًا يقتل ضحاياه بطرق مخيفة يعيش بينهم، يجب أن يتَّخِذ الجميع الحذر

- أتريدنا أن ننشر الخبر؟!

- نعم

لكن مدير المركز طلب التكتم وألا ننشر الخبر إلا بعد أن نمسك بآريز

- وإن لم نمسك به؟! نجعله يزهق أرواح الأبرياء دون علمهم بالخطر الذي يحوم حولهم؟!

- معك حق

- سأتحدث مع المدير بنفسي لا تقلقي، فقط افعلي ما نراه نحن مناسبًا

- عُلِم

خرجت وأغلقت الباب خلفها، ظلَّ بيتر ينظر إلى دائرة التقاطع في الخريطة المعلقة..

- سأعرف سرك المخبأ يا آريز وسأجدك..

***

سارق أنت عندما اعترفت لي بحبك..

سرقت كنزًا كنت أمتلكه وحدي..

سرقت قلبي..

ولم آبه حينها..

إلا عندما هربت به بعيدًا وتركتني بلا قلب..

عندها أيقنت أنني أحببت سارقًا..

شمش منتصف الليل

وبين كبرياء واشتياق..

أتألم أنا بالمنتصف..

شمس منتصف الليل

أما زلت هنا؟! أقولها وأتحسس قلبي..

أما زلت تسكن هذا المخذول؟!

أكرهك..

لكني لا أزال أحبك بشدَّة وهذا يخنقني..

لِمَ كل هذا التعلُّق بك؟!

على عكسك تمامًا..

تركتني في غمضة عين ولم تأبه لحزني..

هل كنت تريد الخلاص مني بهذه السرعة؟!

أم أنك جبان تخشى مواجهتي..

فأنا شخص قوي يصعب مواجهته..

لكن قلبي ضعيف يخشى الفراق..

شمس منتصف الليل

لماذا يا قلبي ألم تكتفِ؟!

من هجره الذي قد أتعبك..

لماذا يا عيني ألم تكتفي؟!

من بعده الذي قد أدمعك..

كفى يا روحي فإنك..

قد أرهقت جسدًا هو مسكنك..

شمس منتصف الليل

✵✵✵

في المنزل..

تكون الأرائك كثيرة..

لكن هناك أريكة هي الأقرب إليك..

كأنها تحمل اسمك وتقيم كل من يجلس عليها بحجة أنها تخصك..

تشعر أن جميع الأرائك جمادات عدا أريكتك فهي تحمل روحًا..

تحتضنك وتُشعرك بالأمان..

هكذا نكون عندما نرتبط بالجمادات والأماكن..

نشعر بألفة وطمأنينة لا نتمنى فقدهما..

كان الجميع جالسين في أماكنهم المفضلة، أمجد على الأريكة المقابلة للتلفاز وبجواره كانت تينا كعادتها، وتالين على أريكتها المجاورة للنافذة، أما وهج فكانت تجلس على أريكتها الموازية للتلفاز، لا تهتم عادة بمشاهدة التلفاز، فقط كان يهمها أن ترى عائلتها قبالها، لذا فضلت هذه الأريكة، الجميع كانوا مستمتعين، أمجد وتينا يشاهدان برنامجهما المسائي، وهج منشغلة بهاتفها تراسل بيتر وتلتقط صورًا لعائلتها خلسة وترسلها له، أما تالين فقد كانت في غير عالمها، تنظر إلى النافذة شاردة الذهن، تفكر به، بحالها..

تنظر إلى القمر وتتساءل..

لِمَ هذا الحزن يؤلمني؟!

لِمَ ألم الحب موجع إلى هذا الحد؟!

هل الغيرة حقًّا تحرق القلب بلا توقُّف كما يحدث لي؟!

لِمَ يخون القلب من وهبه الحب؟!

رصت على أسنانها عندما قالت بصوتٍ خافت لم يسمعه أحد:

من تكون تلك الفتاة؟!

- وهج!! رأيتك وأنت تلتقطين صورتنا. قالت تينا:

- رأيتها قبلك ولم أقل لها شيئًا. قال أمجد وهو يضحك

ضحكت وهج..

- أعتذر لكني كنت أتحدث مع بيتر وطلب مني تصوير ما نقوم به

- بيتر!! أين هو هذا الفتى، قولي له إن خالته مشتاقة إليه

- وأنا كذلك يا حلول، أشتاق إليك كثيرًا وأحتاج لمساعدتك جدًّا، لتحل مشكلتي كما تفعل عادة، لتخبرني ألا أقلق وأنك ستهتم بالأمر. قالت تالين في نفسها

- إنه منهك هذه الأيام في عمله يا أمي

- لقد قابلته ليلة البارحة مصادفة، كان التعب واضحًا على ملامحه، قال إنه يعمل على عِدَّة جرائم قتل وجميعها مرتبطة بمجرم واحد

- كم أخاف عليه كثيرًا من هؤلاء المجرمين يا أمجد

- هذه طبيعة عمله يا تينا تعرفين ذلك

- أعرف. أجابت بنبرة حزن

سكتت قليلًا ثم أكملت:

- أخاف أن يحدث له مكروه، أن يحدث له كما حدث لوالده، فالمجرمون ينتقمون بعضهم لبعض

- في الحقيقة هو يذكرني كثيرًا بوالتر، شجاعته وذكاؤه، عزيمته وإصراره، نظراته الحادة، حبه لمساعدة الأبرياء والإطاحة بالمجرمين، جميعها ورثها عن والده

- أتفق معك، والبراءة التي في وجهه وطيبة قلبه وحنيته الملحوظة، جميع هذه الصفات اكتسبها من كايلي التي كانت تحب السلام ومساعدة الجميع

- العدالة تنتصر دائمًا، ورثها من عمي والتر أيضًا. قالت تالين

- كانت هذه الجملة ملازمة له، أخبرتني كايلي مرة أن بيتر كان يرددها في كل مرة يساعدها فيها، آآآه يا عزيزتي كايلي كم أفتقدك

كانت وهج تستمع لحديثهم بصمت..

- أشعر دائمًا بروحها عندما أكون مع بيتر، وكأنها تسير مع ابنها كي تحميه من كل شيء. أكملت تينا

وبينما كان الجميع يتذكرون الماضي، بين جسارة والتر وحادثة اغتياله، بين اشتياق تينا لصديقتها كايلي، نطقت وهج:

- هل تعلمون أن المجرم الذي يطارده بيتر مخيف؟!

وضعت تينا يدها على قلبها:

- ماذا تقصدين؟!

- أخبرني أنه يدعو نفسه بآريز وهو يحب القتل الوحشي، يعذب ضحاياه قبل شروعه بقتلهم

- آريز!!

- نعم آريز يا تالين

التفتت تالين لوالدتها:

- أسمعتِ يا أمي؟!

- نعم وهذا يُوضِّح لنا سبب حبه للتعذيب

- لم أفهم. قالت وهج

- ولا أنا. قال أمجد

ضحكت تينا مُحاوِلةً شرح الأمر:

- لأنكما عرب، وهذا الاسم معروف في ثقافتنا اليونانية، بل هو أحد أشهر أساطيرنا، شخصية تحب الانتقام والدماء والقتل البشع والمتوحش، وهناك اشتقاق من اسمه يدل على الهلاك والخراب واللعنة

اقشعر جسد وهج..:

- يا إلهي ما أرعب هذا الاسم

- حقًّا كم هو مخيف، كيف لشخص أن يطلق على نفسه اسمًا كهذا، لا بدَّ أنه مريض نفسي، فمن سيحب هذا الاسم ما هو إلا مجنون. قال أمجد

عندها عُرضت نشرة الأخبار على التلفاز، رفع أمجد الصوت عندما بدأ المذيع بإلقاء نشرته:

أهلًا بكم أعزائي سيداتي آنساتي سادتي في نشرتنا المسائية..

هنا في نشرة عين فانكوفر ننقل لكم أبرز وأهم أخبار المدينة..

وفي صدارة عناويننا..

«قاتل متسلسل يجوب أنحاء المدينة ويزهق أرواح الأبرياء بـــطــرق

وحشية»

«احتمالية ارتفاع الضرائب تقلق بعض المحال التجارية»

«افتتاح متحف في شمال فانكوفر يعرض مجسمات مصغرة لأبرز معالم كندا»

- أعتقد أنه المجرم نفسه الذي يبحث عنه بيتر. قالت تينا

قالت وهج وهي تُغيِّر موضع أريكتها قليلًا لتستطيع رؤية التلفاز:

- اسمعوا ها قد بدأ بالتحدث عنه

قاتل متسلسل يجوب أنحاء المدينة ويزهق أرواح الأبرياء بطرق وحشية..

استيقظت مدينة فانكوفر هذا الصباح على جريمة قتل بشعة حدثت ليلة البارحة، فقد فعلها شخص يدعو نفسه آريز والذي حبس ضحيته في قفص كبير للحيوانات ثم احرقه حيًّا بعد أن سكب عليه البنزين، وبعد أن تفحمت الجثة شقَّ ظهرها بالسكين ليكتب اسمه بخط عريض: «آريز»، وحسب تحقيقات الشرطة التي اطلعنا عليها تبين أنه قد قتل شخصين آخرين بوحشية لا تقل عن هذه الجريمة، وفي كل جريمة كان يضع اسمه على ظهر ضحيته، لم ترد الشرطة سابقًا الإفصاح عن تلك الجرائم كي لا ينتشر الرعب والذعر في أنحاء فانكوفر ولكنهم الآن يطلبون من جميع السكان أخذ الحذر اللازم فهناك مجرم طليق خطير يعيش بينكم..

- كم هذا مرعب للغاية

- أسمعت ما قاله يا أمجد، مجرم طليق خطير يعيش بيننا

نظرت تالين بخبث إلى والدتها الخائفة:

- أمي المجرم سيُداهِم منزلنا ويحرقنا جميعًا أحياء، وسنرقص محترقين إلى أن نصبح رمادًا

صاحت تينا مرتعبةً:

- لا تقولي مثل هذا الكلام يا غبية، لأن بعض الأمور تحدث إذا تحدث عنها المرء

- خرافات خرافات. قالتها وهي تضحك بشدَّة

- من قال إنها خرافات، هي حقيقة وواقعية

ابتسمت في وجه والدتها بحزن:

- نحن نقرأ ونتكلم دائمًا باسم الحب فلماذا لا نلتمسه إذًا؟!

استغرب الجميع من سؤالها وبالأخص وهج..

لا تنظروا إليَّ هكذا، ما قصدته هو أن الحب مهما تحدثنا و تغنينا به لن يحدث كما يحدث في الروايات التي نقرؤها، لذا يا أمي دعينا نتحدث عن أي شيء نريده، فهو لن يحدث بمجرد ذلك

- ألم تسمعي بقانون الجذب يا تالين؟!

- كلها خرافات نؤمن بها ونصدقها لأننا وجدنا فيها الأمل، قرأت عنه مرة، في الواقع شدتني فكرة القانون في بداية الأمر، لكن سرعان ما اكتشفت أنه ما هو إلا كذبة بيضاء تزرع الأمل في قلوبنا كي نعيش عليه دون أن نرهق أرواحنا بموانع حدوث الأمر

نظرت إلى عائلتها وسألت:

- ما هو الحب في منظوركم؟!

ابتسم أمجد:

- أن أبذل قصارى جهدي في تأمين حياة رغدة تليق بزوجتي وبنتيّ الجميلات دون حاجتهن لأحد حتى بعد مماتي

- أن أستيقظ كل صباح وأرى زوجي وبنتي بصحة وعافية، هذا أعظم شيء بالنسبة لي

- أن أعيش حياتي برفقة عائلتي التي تحبني وتخاف فقداني، فحب عائلتي يغنيني عن أي حب آخر

شعرت تالين بشعور مريح وجميل حينها، لاحظت أن جميع ما قيل عن الحب يصب في كلمة واحدة..

العائلة..

أنقى وأرقى وأجمل أنواع الحب..

فالأب يعمل بجد ليلًا ونهارًا كي يصنع ابتسامة عائلته فقط..

والأم تفدي بروحها لأجل حماية عائلتها من أي مكروه..

والأبناء يرعون والديهم بكل حب وفخر..

هكذا تكون العائلة وهكذا يكون الحب..

***

قبل النوم..

- تالين. قالت وهج

التفتت تالين التي كانت تكتب في دفترها الخاص:

- نعم؟

- ماذا تفعلين؟!

- أكتب

- هل هناك شيء تودين التحدث به؟!

- شيء مثل ماذا؟!

- لا أعلم، أي شيء

سكتت..

- حديثك عن الحب الليلة بدا غريبًا بعض الشيء

- الحب غريب فعلًا يا وهج، ففي البداية يشعر قلبك أنه مُحلِّق عاليًا، وفجأةً يشعر أنه سقط من علو وتهشم

- اصدقيني القول، أما زال قلبك محلقًا؟!

هربت للصمت كإجابة..

- تالين تكلمي، أنا أختك

- لا شيء مهم صدقيني

- لا شيء مهم!! كل شيء يخصُّك مهم بالنسبة لي، أعلم أن هناك شيئًا يشغلك، طريقتك في الكلام هذا المساء، هروبك للكتابة كل هذا دليل على وجع ما

سقطت دمعة لم تتمالك نفسها من عين تالين..

قفزت وهج واحتضنت أختها الصغرى بقوة:

- لا تكتمي شيئًا، أخرجي ما بداخلك أرجوك

أخيرًا تكلَّمت والغصة تأكل حلقها:

- يزن أصبح مختلفًا يا وهج، مختلفًا جدًّا

- كيف؟!

- لا أعلم لم يَعُد يزن الذي أعرفه، ذاك الذي أرى الحب في عينيه قبل أن يتلفظ به، أصبح مختلفًا، حادًّا في كثير من الأوقات، منشغلًا عني، هذا الشيء يشعرني وكأني أصبحت ثقيلة على قلبه

- هل قال لك شيئًا أزعجك؟!

نظرت إلى عيني أختها بصمتٍ كأنها تخاف من قول الإجابة..

- تالين هل قال شيئًا؟!

- لم يقل، بل فعل

- فعل ماذا؟!

أجابت مُحاوِلةً عدم تصديق ما تعرفه:

- لا أعلم، لكني أشعر ببروده، عدم اهتمامه، وكأنه ما عاد يحبني

- ربما تحتاج علاقتكما التجديد

- كيف؟!

- افعلا شيئًا جديدًا، اذهبا لأماكن جديدة، التجديد في كل شيء ينشط الإنسان ويعيد إليه طاقته التي استُنزفت بسبب الأشياء الروتينية

- ربما معت حق، يجب شيء من التجديد

عندها أرسلت تالين ليزن:

- حبيبي

قلب أحمر..

- أهلًا

- كيف حالك؟! اشتقت إليك

- بخير، كيف حالك أنت؟! كيف تسير أمور الجامعة؟!

- بخير طالما أنك بخير

صمت..

- يزن عندي فكرة، ما رأيك لو نستكشف معًا أماكن جديدة، نفعل شيئًا لم نفعله من قبل، نُجدِّد نشاطنا

- لا، لا وقت لديَّ لهذه الأفكار، غير أني لا أشعر بالملل لأجدد نشاطي

- لكني أشعر أنا بذلك

- إذا افعلي تلك الأفكار وحدك

- وحدي؟!

قلب مكسور..

- نعم وحدك، إن كنت تشعرين بالملل

- وأنت؟!

- سأكمل على ما أنا عليه

- تقصد برودك

- برودي؟!

- نعم برودك وقِلَّة اهتمامك بي وعدم مبالاتك

- كل هذا!!

- وأكثر مما تتصوَّر، ما الذي غيَّرك يا يزن؟! أخبرني الحقيقة

- لم أتغيَّر، أنت تتوهمين، ربما ينقصك شيء لذلك تتوهمين

سكتت ثم كتبت:

- ينقصني يزن، يزن القديم، الذي يحبني أكثر من نفسه ويخاف عليَّ من جرح صغير يصيبني، ما الذي غيرك؟!

- أنا كما أنا لم أتغيَّر يا تالين، كفاك تهيؤات

- بلى تغيَّرت كثيرًا، انظر إلى تصرفاتك وحديثك معي إني لم أذنب بشيء لتعاملني بهذا الجفاء

كانت ترتعش..

- تالين ما بك؟! سألتها وهج

لم ترد على أختها وظلَّت تكتب:

- يزن هل هناك شخص غيري في حياتك؟!

- ما الذي تقولينه يا غبية!! لا يوجد أحد غيرك، لكن أعتقد أنه يجب علينا الابتعاد بعضنا عن بعض قليلًا، نترك مسافة كي نعيد النظر في علاقتنا

كان طلبه كخنجر غُرِس في قلبها..

- نبتعد بعضنا عن بعض وأنت الذي وعدتني ألا نترك للبعد مكانًا بيننا!! تريد مسافة كي تعيد النظر في علاقتنا وأنت الذي جعلني أتعلَّق بك حتى ابتعدت عمن حولي وفضلتك على الجميع حدَّ الاكتفاء!!

لم يجبها..

- أتريد قتلي؟!

ظلَّ صامتًا..

سألت والدموع قد انهمرت من عينيها:

- أما عدت تحبني؟!

- تالين!! لم تبكين!! ما الذي قاله لك هذا الحقير؟! أريني هاتفك

- اتركيني وهج. أجهشت بالبكاء

أكملت:

- لِمَ كل هذا؟! تكلم!!

- لا أعرف يا تالين لكننا نحتاج أن نرتاح بعضنا من بعض قليلًا

- لك ما تطلبه، وداعًا

أغلقت هاتفها وظلَّت تبكي بحرقة، خافت وهج عندما رأت أختها لأول مرة بهذه الحال، تالين التي يعرفها الجميع بقوة شخصيتها وصلابتها تبكي..

للمرة الأولى يُبكيها الحب..

للمرة الأولى تستشعر أنها بداية نهاية كل شيء..

***

علمتني الحياة أن لكل شيء بديلًا..

إلَّا أختي..

وهج

أنا وهج..

وأنا لا أضعف..

فأنا من حارب الحزن بالكتابة..

والخيبات بالمثابرة..

فأنا لا أستسلم..

وما دامت سمائي مشرقة..

سأكون تلك الشمس التي تنير حياة أختي..

سأكون ذلك الوهج الذي يقشع ظلام الحياة عنها..

ذلك الصوت الذي يدفعها للأمام..

سأكون..

سندًا لأختي..

نصيحة من وجع ألمي..

نصيحة كلفتني! الكثير من الآلام لأفهمها..

لا حب فوق عائلتي..

وحدهم من يحميني عند خوفي..

من يسندني عند سقوطي..

من يقويني عند ضعفي..

من يحرق العالم لأجلي..

من يحبني دون مقابل..

أكررها بصوتٍ مرتفع:

لا حب فوق حب عائلتي..

شمس منتصف الليل

يقال: كل الطرق تؤدي إلى روما..

وأقول : كل آلامي تؤدي إليك..

شمس منتصف الليل

❋❋❋

(بكاء على وسادة)

بعد يومين..

- اتركيه يا غبية فهو لا يستحقك، ولا يستحق أن تبكي عليه أو حتى أن تفكري به. قالت إيميلي

كانت تالين لا تزال مستلقية على فراشها ولا تود النهوض منه أبدًا، حتى في وقت الصباح كما هو الآن، كانت إيميلي جالسة على السرير تحاول مساعدة تالين بالخروج من هذه الحال التي لم يعهدها أحد عليها، تعطيها النصائح، وتخبرها ببعض تجاربها، دخلت وهج الغرفة حاملة بيدها طعام الإفطار الذي أعدته لأختها، طبق الشوفان بالتوت واللوز محلًّى بالعسل وبجانبه كأس من عصير البرتقال الطازج..

- تالين هيا استيقظي لتناول إفطارك

- لا أريد شيئًا وهج

- لم أستيقظ منذ الصباح لإعداد الطعام لك حتى تقولي لا أريد، ستتناولين الإفطار شئت أم أبيت

- إن كانت تالين لا تريده فسأكله أنا، يبدو شهياً

رمقت وهج إيميلي بنظرة حادة...

- ماذا ؟!

- ستأكله هي لا أنت

- لماذا لم تعدي لي طبقًا مثلها؟!

- المطبخ في الأسفل تعرفين طريقه، لست خادمة عندك

ضحكت تالين التي كانت تختبئ تحت لحافها من جملة أختها..

- لكنك خادمة عند تالين

- لست خادمتها بل أختها الكبرى يا عزيزتي وأنا مسؤولة عنها وعن صحتها

- خادمة. أعادتها لاستفزازها

- إن كان اهتمامي بأختي وخدمتي لها يجعلان مني خادمة، فنعم أنا خادمتها

- إيميلي تأدبي بالحديث مع وهج. تدخلت حينها تالين

- لم أقل شيئًا، هي خادمتك فقط

- هي أختي وتوأم روحي

- هل تعتقدين يا إيميلي أن كلمة خادمة تعتبر إهانة؟! على الإطلاق فأنا أفخر بخدمتي لأختي ولعائلتي

سكتت إيميلي ثم سألت:

- إن كانت أختك هي توأم روحك كما تقولين، فماذا أكون أنا التي عاشت تفاصيل حياتك وتعرفك قبلها ؟!

ضحكت وهج:

- سواء كنت تعرفينها قبلي أم بعدي، أنا أختها الكبرى وانتهى الأمر

- أنت أحب وأقرب صديقاتي، أنت كاتمة أسراري، أرجوك لا تضعي نفسك في مقارنات

- توقفا عن الكلام فقد أزعجتماني، وأنت هيا تناولي طعامك الذي أعدته خادمتك، أقصد أختك الحنون

أخذت تالين الطبق من أختها وبدأت بتناوله، نظرت إلى هاتفها تبحث عن رسالة من أحدهم، لم تجد شيئًا ...

- لا تفكري به ولا تبحثي عنه. قالت إيميلي عندما رأت صديقتها منشغلة بهاتفها

لم تجبها ...

- لمَ هذا الاهتمام؟!لمَ تحبينه إلى هذا الحد؟! هل نسيتِ أنك أنت من قال لي مرة: «كوني امرأة شامخة تعتز بنفسها، كوني الأقوى ولا تقبلي لنفسك الإهانة، فنحن النساء أقوى من أن يكسرنا الرجال أين ذهبت كل تلك الحكم؟! هو طلب منك مسافة كي تعيدا النظر في علاقتكما، من الواضح أنه كان يتسلى، لم يكن جادًّا في أي شيء قاله لك من قبل، أو أنه بدأ يشعر بالملل من هذه العلاقة، إذا اتركيه ولا تعطيه فرصة للرجوع

- هل تعنين أن علاقتنا انتهت !!

- إيميلي كفي عن تذكيرها بهذا الموضوع، نريدها أن تقوم بالتركيز في يومها وحياتها فقط، لا يهم من أراد الرحيل أو الجلوس، المهم هو أنت يا تالين، كوني مكتفية بنفسك غنية عن العالمين

- لا أقصد تذكيرها ولكن ما أردت قوله هو أن تتركه للأبد ستجد من يحبها

- أتركه للأبد!! ومشاعري ماذا أفعل بها؟! قلبي الذي تعلق به من يفهمه أنه خُدع؟! روحي التي أصبحت مرتبطة بروحه من يفصلها عنه؟! نسيت اهتماماتي وأصبحت أسيرة اهتماماته أصبحت أشبهه، من يعيد ولادتي من جديد؟!

وفجأة بكت...

- لا تفعلي يا أختي هذا بنفسك، لن تتوقف الحياة على فراق أحد، الجميع سيمضون، هو فقط أراد الابتعاد لفترة بسيطة.

ربما يمر بمشكلات ولا يريد لأحد معرفتها، لذلك اهدئي أرجوك

- طلب منها الابتعاد يا وهج وهذا دليل أنه لا يريدها حتى ولو كان الابتعاد لفترة، أفضل أن تتركه لترتاح

- اسكتي فأنت لا تثمنين كلماتك، تطلقينها كسهام تغرس في قلبها المتعب، تجرحينها في كل كلمة تقولينها دون أن تراعي مشاعرها، إن كان سهلاً عليك الفراق فنحن يصعب علينا فراق من نحب

- يصعب على الجميع لكن من لا يريدنا نحن من لا نريده

عانقت وهج تالين وربثت على ظهرها

كان العناق طويلاً...

- لا عليك كل شيء سيكون على ما يرام فأنا معك

- وهج أنا بخير لا تقلقي

- أعرف أنك قوية يا أختي لكن أريدك أن تعلمي أني بجانبك دائما ولن أتركك تتألمين وحدك، سنتألم جميعًا وسنضحك جميعًا، هذا ما عاهدتك

عليه، فالإخوة سند بعضهم لبعض

هدأت قليلاً وطلبت منهما أن تتركاها لترتاح بعض الوقت قبلت وهج رأس أختها الصغرى، وخرجت من الغرفة، لحقتها إيميلي أيضًا، لكن قبل أن تخرج قالت لها: - انسيه يا تالين فهو لا يستحقك - ثم غادرت..

بعد نصف ساعة..

اتصل بيتر بتالين التي لا تزال تتقلب بفراشها ...

- أهلا بيتر

- صباح الخير آنسة مشاكل. قالها بحماس

- صباح النور سيد حلول

- كيف حال مشكلتي الصغيرة اليوم؟!

- بخير، كيف حالك أنت؟! وكيف هو عملك ؟!

كل شيء على ما يرام، هل استيقظت أخيرا؟!

حكت رأسها وأبعدت شعرها عن وجهها:

- مستيقظة لكني لا أزال مستلقية على سريري

- ماذا!!! هيا هيا جهزي نفسك، أنا في طريقي إليك

- سألت بصوت ملول: - لماذا؟! ماذا هناك بيتر ؟!

- سأوصلك اليوم للجامعة بنفسي

-لن اذهب، اريد أن ارتاح اليوم

-قلت أنا في طريقي وانتهى الأمر، إن كنت لا تعرفين مصلحة مستقبلك فأنا أعرفها

- أرجوك بيتر لا أريد الذهاب اليوم

- تالين أعرف أنك غبت البارحة، ولن أدعك تغيبين اليوم أيضًا، لذا هيا يا مهندسة قومي واجهزي فقد اقتربت من المنزل

تأففت كطفلة مدللة:

- أففف، حسناً حلول، لكنك ستأخذني من الجامعة أيضًا، لن أنتظر الحافلة أيضا

- كما تشاء مشاكل، ومن ثم سأخذك لمطعم نتناول فيه الغداء ايضًا

ضحكت

- وسيكون على حسابك سيد حلول

- على حسابي آنسة مشاكل

قفزت من فراشها بسرعة، بدلت ملابسها استعدادًا للذهاب إلى الجامعة، كان بيتر يعرف جدولها الدراسي، فهو يأخذ منها نسخة كل فصل دراسي جديد، تذكرت نفسيتها ومزاجها قبل اتصاله تضحك على نفسها الآن، فقد استطاع بيتر بسهولة أن يجعلها تترك فراشها على عكس الجميع...

لم يكن فقط بيتر ...

بل كان حلول..

ملاكها الحارس...

رفيق قلبها الأول والوحيد..

أشعر بالحزن..

حزن يلتهمني..

قلبي منقبض يؤلمني..

أريد البكاء...

أريد الصراخ...

لكني لا أستطيع..

كأن عيني جفت من دمعها...

وحنجرتي انقطع صوتها..

لم أعد أقوى على النهوض ..

فساقاي لا تقويان على هذا الحزن أيضًا..

فمن يخلصني من حزن أرهقني..

و ألم قتلني حية..

ألم الفقد..

شمس منتصف الليل

بين لقاء ولقاء..

ألف انتظار ...

شمس منتصف الليل

✵✵✵

(ليل وبحر وقمر)

في ليلة من ليالي الشتاء البارد...

كانت تسير وحيدة بين أزقة الشوارع المظلمة، أصبحت تفضل الوحدة، خاصة في مثل هذا الوقت المتأخر، تستجمع أفكارها، تحاول الاعتياد على ما لم تعتد عليه من قبل، تشعر بفراغ كبير، وحكاية لا تعرف نهايتها، أصبح الحزن لا يفارق ملامحها حتى وإن حاولت إخفاءه، ضعيفة هشة كوردة ذبلت بعد أن رحل ساقيها، تتساقط دموعها كما تتساقط أوراق الشجر عند كل موجة ريح، لم تعد تستطيع حبس تلك الدموع في كل مرة تحاول حبسها تتساقط أكثر، الجميع رأوا عتمتها، لكنها لم تسمح لأحد أن ينيرها..

تسير على ضفاف الشاطئ، تلمح جسرًا خشبيًا من بعيد، كان الجسر متصلا بين الساحل وتلك المنارة المهجورة في منتصف البحر، تقترب منه أكثر، ترى امتداده، تشعر أن المكان مناسب للاختلاء، للاختباء من كل شيء، المكان هادئ، فقط صوت تلاطم الأمواج تسير فوق الجسر المظلم إلى نهايته، تلمح شاباً كان يجلس وحيدًا على تلك الحافة، هادئ هو أيضا، يشعر بوجودها فلتفت ليراها تبتسم له وتطلب الإذن بالجلوس بجواره بصمت دون أن تزعجه يبتسم هو أيضًا ويدعوها للجلوس، كان المكان أشبه بمخبأ سري من هذا العالم المزدحم الصمت سيده والكلام أسيره، كلام يفضل أن يبقى أسيرًا في زنزانة القلب..

كسر ذلك الشاب بصوت لطيف حاجز الصمت الجميل:

- هاربة من ضوضاء الحياة؟!

ابتسمت:

- اعتقد أننا جميعنا نبحث عن الهدوء

- ربما هاربون من حقيقة ما يصعب تصديقها

- قد يكون الهروب على هيئة شخص أو حتى حقيقة تخشاها تهرب حتى من هرويك نظر إليها :

- كيف يهرب المرء من هرويه؟!

- بنسيان الشيء الذي تهرب منه كي لا يلاحقك أثناء هروبك فتصبح حبيسه قلوبنا

- لكن مهما طال الزمن لن ننسى تلك الندبة التي استقرت في قلوبنا

- الندوب لا تذهب بل تبقى عالقة بأرواحنا قبل أجسادنا، لكننا نلجأ للنسيان

سكتت قليلاً ثم أكملت بهدوء:

- نحن لا ننتظر النسيان بل نذهب إليه بأرجلنا

- تقصدين أن نتناسى وكأن شيئا لم يكن؟!

- نعم أن نتعايش مع الموقف، مهما كان كبيرا نستصغره، مهما كان موجعاً نتعافى بالتناسي، فنحن لا ننسى بل نتناسى

ردد:

- نحن لا ننسى بل نتناسى

ساد الصمت مجددًا...

صمت مريح..

بالمناسبة أهلا بك في مخبئي السري. قال الشاب

- أعتذر عن مقاطعة خلوتك، لكني بالمصادفة عرفت هذا

المكان وشعرت بالارتياح فيه، فأنا من أولئك الذين ينتمون إلى الليل والبحر والقمر

- لا عليك فالمكان يتسع لكلينا

- هذا لطف منك

جلس يتأمل المكان:

- أحيانا نجد أن بعض الأماكن تشبهنا أكثر من البشر، لذا نفضل الانعزال فيها، نهرب إليها كلما اشتدت جراحنا

كانت تستمع لحديثه دون مقاطعة..

مكان مظلم كروحي، مهجور كقلبي، هادئ كشخصيتي، بارد كأعصابي، وهيجان الموج كأفكاري، ربما أنت أيضا وجدت أن المكان يشبهك في شيء ما لهذا شعرت بالارتياح

هزت رأسها إيجابًا:

- يشبهني هذا السكون هذه الوحدة، هذه البساطة، أتعرف..

نظرت إليه وأكملت:

- تشبهني أنت أيضًا

ابتسم لها:

- صدقيني لا أحد يتمنى أن يشبهني، فأنا مبعثر، مفقود، منبوذ، مخيف

أكثر من الداخل

- لست خائفة منك

- ربما لأنك ترينني بأعين صادقة بخلاف ما هم يفعلون

- من هم؟!

- أناس دمروا حياتي، جعلوني أسير وحيدا في هذه الدنيا، خائفا من كل شيء، حتى من نفسي

وضعت يدها على يده لا تقلق كل شيء سيكون على ما يرام

للمرة الأولى بعد زمن طويل يمسك أحد يده بحنية هكذا:

كم هذا الطيف منك، أتمنى ذلك

- هل تسمح لي بالقدوم هنا بين حين وآخر لأرتب أفكاري والملم شتاتي؟

ابتسم

- إن كنت تشعرين أن المكان يشبهك، فأهلا بك في مخبئنا السري - ربما ستتقابل كثيرا هنا.

- ربما سنداوي بعضنا جراح بعض يوما ما

- لماذا ربما ؟!

- الأمر معقد بعض الشيء

- ما رأيك أن تخبرني عن نفسك وأخبرك عن نفسي وندع الأسماء في النهاية؟

- تريدين الخوض في حكاية شاب غريب الأطوار ؟!

- في نظري أرى أنك شاب يحزنه أمر ما فقط، كما أن لي حزنًا أرهقني أريد البوح به لشخص لا أعرفه

- متيقنة؟!

- نعم، سنصبح صديقين باسم الحزن الذي جمعنا

- أتعرفين، منذ زمن لم أتحدث مع أحد بهذه الراحة

نظرت إلى المنارة المهجورة أمامها:

- فلتبدأ بسرد الحكاية

سرد لها قصته، لكنه خبأ جانبا من القصة لم يذكره لها، جانبا مظلما، أكثر سوداوية، لم يرد إخبارها عنه، فهي كانت حزينة أيضا، مبعثرة ضائعة، تبحث عن طوق للنجاة من بحر الهموم والأفكار، شعرت بالأسى عندما عرفت بقصته، فشعور الفقد موجع، وكلاهما فقد محبوبه، لكن بطريقة مختلفة عن الآخر، هو حبيبته للأبد وأصبح وحيدًا في هذا العالم، وهي فقدت حبيبها الحي وأصبحت أسيرة الذكريات قصت له حكايتها، غضب كثيراً حينها، فالبعض يتمنى أن يجلس ولو دقائق مع أحبابهم الذين رحلوا، في حين أن البعض الآخر لا يقدر نعمة أن يكون محبوبًا ومميزًا عند أحدهم فيكسر قلبه، بل يهشمه ويجعله بلا حب بلا ثقة، بلا روح..

نظرت إلى ساعة هاتفها..

- اوه لقد تأخر الوقت كثيرًا، لم أشعر بمروره

نهضت استعدادًا للذهاب

- استمتعت بالحديث معك، يجب أن أعود إلى المنزل الآن

- وأنا كذلك فعلا سارت عبر الجسر الخشبي عائدة إلى الساحل...

- انتظري صاح الشاب

التفتت لتجده يلحق بها ..

- ماذا هناك؟! سألت

- لم أعرف اسمك بعد، ما اسمك؟!

أعادت خصلة من شعرها خلف أذنها:

- اسمي تالين، وأنت؟!

مدَّ يده ليصافحها:

- اسمي جوليان

***

أقف أمام البحر ..

أتأمل ضوء القمر المختبى بين الغيوم..

كحبك الذي صار مختبئاً يشيح وجهه عني..

لكن الفرق بين القمر وحبك..

هو أن القمر مضيء..

وضوءه يتخلل بين الغيمات ليخبرك بوجوده مهما كانت الظروف..

على عكس حبك ..

منطفئ معتم لا أستطيع رؤيته..

أما عدت تحبني؟!

هل كانت مشاعرك مؤقتة فقط؟!

لكنَّ عينيك كانتا تخبر انني عكس ذلك..

هل أخطأت في قراءتهما ؟!

أم قرأت ما أردت تصديقه؟!

ورغم تخليك عني!!

ما زلت أنتظرك..

شمس منتصف الليل

وإن جرحتك يوما ...

فإياك وعتابي فأنت مزقتني بشرف...

لا أريد انتقاما ولكن...

أريدك أن تشعر بقليل من وجعي..

شمس منتصف الليل

✵✵✵

في مركز الشرطة...

- حضرة المحقق بيتر . نادى أحد العساكر بيتر ثم ألقى التحية

- ماذا هناك يا عسكري؟!

- الملازم جودي تطلبك في مكتبها

- هل هناك شيء جديد ؟!

- بعض المستجدات حضرة المحقق

- حسنا اذهب أنت إلى عملك

- حاضر سيدي. ألقى التحية مجددًا

دلف المحقق بيتر إلى مكتب الملازم جودي والتي كانت منهمكة في قراءة بعض السجلات والأوراق، أشارت لبيتر بالجلوس، ظل صامتًا ينظر إلى الأوراق عن كثب، ناولته الملف الذي كانت تقرؤه، أمعن النظر فيه بينما ذهبت للوحة مفاتيح حاسوبها، طرق باب المكتب دخل رجل كان قد توظف حديثًا في المركز بصفته معدًّا للشاي والقهوة، وضع كوبًا القهوة أمام الملازم والمحقق ثم خرج، سحب بيتر ملفًّا آخر كان قد قرأه في السابق لكنه أراد مراجعة شيء ما...

ضحك بصوت مرتفع ..

ضحكت هي أيضًا على ضحكته...

- إذا احتمالاتنا كانت صحيحة يا جودي

- نعم، كما هو موضح في الملف الذي ناونتك إياه

- جميع الأطباء اتفقوا على التشخيص نفسه

- مجرم مجنون مختل عقليا

أجاب مصححا:

- ليس مجنونا بل هو مصاب بمرض نفسي يدعى الشيزوفرينيا أو كما يعرف غالبا بالفصام

- هذا ما أردت البحث عنه في الحاسوب، فكلام الأطباء معقد جدًّا، يعتقدون أننا أطباء مثلهم ليستخدموا مصطلحاتهم الطبية في شرحهم

- لقد فهمت مجمل الكلام، لكن أخبريني ماذا وجدت في الحاسوب؟!

قرأت له ما كان مكتوبًا على صفحة رسمية تابعة لوزارة الصحة..

تعريف الفصام:

هو اضطراب عقلي مزمن وشديد يؤثر في طريقة تفكير الشخص وشعوره وسلوكه، كما قد يسمع المصابون به أصواتًا غير موجودة، أو قد يعتقدون أن أشخاصًا آخرين يحاولون إيذاءهم، وغالبًا ما يصفه الأطباء بأنه نوع من الذهان، وهذا يعني أن الشخص قد لا يكون دائما قادرًا على تمييز أفكاره الخاصة عن الأفكار التي تحدث في الحقيقة.

السبب:

السبب الدقيق للفصام غير معروف؛ لكن معظم الخبراء يعتقدون أن سبب هذه الحالة عادة هو العامل البيئي، كما يمكن أن تؤدي بعض المواقف إلى حدوث هذه الحالة (مثل: أحداث الحياة المجهدة، أو إساءة استخدام الأدوية).

من مؤشرات مرض الاضطراب الانفصامي:

التوهم؛ وجود معتقدات خاطئة وثابتة، بالرغم من وجود أدلة تثبت العكس.

- الهلوسة؛ مثل سماع الأصوات أو رؤية أشياء ليست موجودة. السلوك

الغريب أو غير المعتاد القيمة.

أعراض الاكتئاب؛ مثل الشعور بالفراغ أو الحزن أو انعدام فترات من المزاج الجنوني (الهوس) مع زيادة مفاجئة في الطاقة والأرق لعدة أيام، والتصرف على غير الطبيعة.

نظرت إلى بيتر:

- ما هذا الشيء المرعب الذي نطارده؟

كأننا نطارد مجرمين بجسد واحد

- نطارد مجرمًا بشخصيتين، والواضح أن انفصامه هو المجرم الحقيقي

- كيف عرف الأطباء كل هذا التشخيص ؟!

- من خلال طريقة تفكيره، اسلوبه في جذب ضحاياه ومن ثمة طريقة تعذيبه لهم وقتلهم طريقة حركته ومشيته التي التقطتها الكاميرات لابسا قناعه الأبيض والتي أرفقناها مع ملف المعلومات التي جمعناها، وأخيرًا حرصه على كتابة اسمه على كل ضحية، كأنه يؤكد لنفسه الانتصار..

- إذا آريز هو المجرم الحقيقي

- وهو المتحكم بالشاب المفتول العضلات

ألقت الملازم جودي نظرة على صورة المجرم المقنع، كانت مشوشة قليلاً، فقد التقطت من إحدى كاميرات منزل ديفيد الخارجية..

- إذا هذا هو المريض المكتئب. قالت

- نعم، هناك حادثة أصابته جعلته يفقد السيطرة على عقله

- لا تنس أن همه الأساسي هو الانتقام

أومأ برأسه إيجابا:

- جميع الذين قتلهم مرتبطون بتلك الحادثة

- المشكلة أننا لا نستطيع توقع حركاته فهو يفكر بشخصيتين

- يصعب التخمين أيضًا، الشيء الوحيد المتوقع أنه سيقتل أحدهم بدافع الانتقام، إن تبقى أحد في قائمته

أمسكت جودي بورقة مطبوعة تظهر فيها المنطقة التي اكتشفها بيتر، وضعت دائرة كبيرة بقلمها الأحمر..

- هنا يكمن السر

- هل وجدت أي معلومة تدلنا على شيء؟!

- للأسف حتى الآن لم نعثر على شيء

- ما رأيك أن نذهب الآن ونحاول استكشاف أي شيء بأنفسنا؟!

نظرت جودي إلى ساعة معصمها التي كانت تشير إلى الثالثة مساء..

- كما تريد حضرة المحقق

- هيا بنا إذا، دعينا لا نضيع الكثير من الوقت خلف المكاتب فقط بالتفكير والتحليل، حان وقت الميدان

ركبا سيارة الملازم جودي الخاصة بمركز الشرطة، سارت مسرعة كعادتها، ربط بيتر حزامه بسرعة وتمسك بالجانب السفلي للمقعد، أغمض عينيه عندما بدأت جودي بمراوغاتها بين السيارات...

- جودي جودي لم هذه السرعة والمراوغات؟! نحن لا نطارد أحدا، خففيها أرجوك

- هل أنت خائف؟ ضحكت

قلت لك دعينا نذهب بسيارتي لكنك رفضت

- لأنك بطيء في القيادة

بل نظامي أكثر منك

خففت السرعة...

- ما الأخبار ما الجديد؟! سألت

- لا شيء جديد

- كيف حال صديقتك؟!

- مشاكل؟! ارتسمت على وجهها ابتسامة خبيثة: - بل أختها

شعر بالخجل قليلًا:

- ما بها؟!

- أرى أن علاقتكما أصبحت قوية في الفترة الأخيرة، وفي كل مرة أكلمك فيها تكون معها، بالمناسبة هي فتاة رائعة

- نعم هي رائعة في كل شيء، في حديثها، أسلوبها، اهتماماتها، حتى في طبخها

- اممم ما هذه الإجابة الجميلة؟

تلعثم

- أقول الحقيقة فقط لا أكثر

- لا تنَس أنها جميلة أيضًا

لم يجب..

- وما صفة هذه العلاقة عزيزي بيتر ؟

- أخت تالين أهم شخص في حياتي، كيف ستكون صفتها؟!

- مجرد صداقة؟!

- ليست مجرد صداقة، أصبحت أحب وجودها في يومي وفي حياتي بشكل عام

- امممم

- أصبحنا قريبين بعضنا البعض، لا أخبى عنها شيئًا، وكذلك هي

سكتت ثم سألت:

- هل وهج واقعة في حب أحدهم؟!

- لا. أجاب بسرعة

- ولا أنت كذلك

- ماذا تقصدين يا جودي؟!

- قصدي واضح لكنك تهرب من فهمه ومن مواجهة نفسك سكت...

- بيتر إن وهج فتاة مميزة، واهتمامك بها واضح للملأ، لا تقل إنها أخت مشاكل، بل قل إنها الشخص الذي ترتاح له ولوجوده

- لنغلق الموضوع رجاء

تريد الهروب؟! لكن إلى متى؟!

- لا أهرب من شيء بل تهرب يا بيتر، تهرب من الحب

- حضرة الملازم جودي نحن في مهمة رسمية الآن أرجو أن تتوقفي عن هذا كي لا نتشتت في مهمتنا

- منذ متى ونحن نتكلم بطريقة رسمية بيننا؟!

لم يجبها ...

- لن أسكت يا حضرة المحقق بيتر، فأنا صديقتك ولست زميلتك في العمل فقط

- أعتذر

أمسكت يده

- لا تكتم مشاعرك، ولا تكتم الكلام في صدرك، أخرج الحب الذي في داخلك ولا تخجل، ولا تفكر أبدا فيما مضى فالقادم سيكون أجمل

ظل يستمع إلى كلامها بصمت...

- لا تقل لي شيئًا ،موافقة، لكن إن كنت تشعر بشيء تجاهها فأخبرها ولا تتأخر في ذلك، فأنت تستحق كل الحب، وربما كانت هي تنتظرك

كسر حاجز الصمت

- اليوم سأخرج معها لتناول العشاء، حجزت طاولة في مطعم قلوبال لشخصين

- جميل وهل هناك خطة معينة؟!

- لا يا جودي ولكني أردت أن أكون معها هذا المساء

- بعد يوم عمل طويل وشاق، فكرة رائعة أن تختتم يومك برفقة شخص يحبه قلبك ويرتاح له

- أتمنى أن تكون ليلة سعيدة بالنسبة لها، وهج تستحق السعادة

قالت جودي بصوت خافت:

- وأنت تستحق الحب

- سمعتك، اصمتي لقد اقتربنا

ضحكت:

- حاضر

وصلا إلى المكان المقصود نظر بيتر إلى المنطقة نظرة سريعة تأمل المباني

والشوارع في وجوه الناس، في الأطفال الذين كانوا في الحديقة، كأنه يحاول فك شفرة ما تخص المكان، رمز مفقود من الأحجية، حكاية حولت شاباً إلى مجرم خطير..

***

(أنت الأمان لروحي المتعبة)

المساء بارد لطيف..

كان بيتر ينتظر خروج وهج من منزلها، مرتديًا بدلته الكحلية الأنيقة ذات الطراز البريطاني، نظر إلى ساعة معصمه، كانت تشير إلى التاسعة مساء، فُتح باب المنزل أخيرًا، ترجل من مكانه ليفتح باب السيارة لوهج، لكن صوت كعب وهج الأسود وهي تنزل عتبة الباب ناداه ليلتفت لها، نظر إليها فاغرًا فاهه من جمال ما رأى كأميرة من أميرات ديزني ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة على استحياء، تجر شعرها الأسود المموج مرتدية فستانها الأحمر الداكن بفتحته جهة الساق اليسرى، تزين عنقها بعقد من الألماس والياقوت الأحمر، كانت قد اشترته تينا لها كعربون حب وصداقة..

- كم أنت فاتنة يا وهج. قالها لا شعورياً

- شكرًا. أجابت بخجل.

ركبت السيارة وأغلق بابها، قاد متجهًا إلى وسط المدينة، كانا صامتين، هي تشعر بالخجل، وهو يشعر بالارتباك، وصوت المذياع يعزف ألحانًا شاعرية، حاول كسر حاجز الارتباك عندما وضع يده فوق يدها قابضًا إياها بلطف:

- سعيد أني معك الليلة

- وأنا كذلك بيتر، شكرًا لك على هذه الدعوة اللطيفة

- لم صوتك يرتجف؟!

ابتلعت ريقها ..

- هل أنت خائفة؟ !

- لا إطلاقا، أنا فقط ..

- مرتبكة!! وأنا كذلك ولا أعرف السبب حتى ضحكت لارتباكه أيضًا:

- لا، فقط شعرت بإحساس غريب

- إحساس مثل ماذا؟!

- كأنها المرة الأولى التي أخرج فيها معك

- لنجعلها ذكرى جميلة إذا. قالها متأملا عينيها الناعستين وصلا إلى مطعم قلوبال، أحد أشهر المطاعم في فانكوفر وأعرقها دخل بيتر ممسكًا بيد وهج، كان المكان مكتظا بالزوار من ذوي الطبقة الرفيعة، أعجبت وهج بجمال المكان وانشراحه اقترب منهما النادل بابتسامة عريضة...

رحب بلباقة:

- أهلا بكما ضيفينا الكريمين، هل تبحثان عن طاولة أم أن هنالك حجزًا؟!

أجابه بيتر:

- أهلاً بك، نعم تم حجز طاولة لشخصين باسم المحقق بيتر رجاء راجع النادل قائمة الحجوزات للتحقق:

- طاولتكما جاهزة حضرة المحقق بيتر، تفضل معي من هنا رجاء

سار بهما إلى تلك الطاولة القريبة من النافذة، سحب بيتر بهدوء مقعد وهج لتجلس أحضر لهما النادل قائمة الطعام وانصرف ،كانت وهج تقرأ

القائمة، بينما كان بيتر يتأملها وينظر إليها وكأنها جوهرة نادرة في هذا العالم، استرقت على استحياء النظر إليه:

- يبدو أن الطعام لذيذ هنا بيتر

كان يتأملها غارقًا في جمالها وأناقتها، في ملامحها العربية الجذابة..

- بيتر. لوحت بيدها.

- ماذا قلت؟!

- يبدو أنك في مكان ما بعيد

ابتسم:

بل هنا أتأمل جوهرتي النادرة

شعرت بالخجل الشديد:

- قلت إن الطعام يبدو لذيذًا

- نعم بلاشك فقلوبال معروف جدًّا بمأكولاته الفريدة وبطريقة طهيهم

- ماذا تحب أن تطلب ؟!

- دعيني ألقِ نظرة على القائمة

اختارا الأطباق معًا، وتناولا الطعام، أبحرا في الكثير من الموضوعات المشتركة وغيرها، إلى أن غرقا في بحر العواطف والحب، كان صوت الموسيقى خافتًا في المطعم، هناك من كانا يحتفلان بذكرى زواجهما، وآخر طلب يد صديقته للزواج، الجميع كانوا سعداء..

- ما قصدته من كلامي أن للحب درجات، على المرء أن يحب باعتدال كي لا ينسى حب نفسه قالت وهج وهي ترتشف الماء

- لكن الحب غريب، يخطف قلبك دون أن تشعري

- عليك إذًا أن تختار الشخص المناسب كي لا يمتص طاق قلبك دون مقابل، الحب تبادل في المشاعر، وكل طرف مكمل للآخر

- قلوبنا بريئة، عفوية في حبها، لا تعلم ما إذا كانت ستُجرَح من هذا الحب أو لا

- هذه طبيعة القلوب النقية فقط

قال مازحًا:

- كلامك لطيف يا وهج منذ متى وأنت تعرفين كل هذا عن الحب؟!

- لا أومن بأن الحب أساس العلاقات، فهنالك عوامل أخرى

- مثل ماذا؟!

- مثل احترام الأشخاص، تهذيب النفس، التفكير بعقلانية التعايش، كل هذه العوامل تساعد في بناء العلاقات مهما كان مسماها

- وحكيمة أيضًا. صفق لها

فجأة علا صوت الموسيقى في المكان، كانت أغنية كلاسيكية قديمة، نهض بعض الأشخاص للرقص على أنغامها، نظر بيتر في عيني وهج الناعستين، شعر بشيء ما في أعماقه، شيء أراد قوله، أمسك يدها بلطف

- هل تسمحين لي برقصة معك يا وهج ؟

تسارعت نبضات قلبها:

- نعم يا عزيزي

مشيا بهدوء نحو المسرح، كانت الأنظار تلاحق أناقة وهج وجاذبيتها، بدأ يرقصان بتناغم على ألحان الأغنية بخفة في حركاتهما، في تمايلهما، كانت نظراتهما بعضهما البعض تحكي عن حكاية تضيء في أعينهما، ابتسامته لها، ابتسامتها له، الجميع ينظرون إليهما ويشيرون، فقد كانا الأجمل على المسرح.

«When marimba rhythms start to play
Dance with me, make me sway
Like a lazy ocean hugs the shore
Hold me close, sway me more
Like a flower bending in the breeze
Bend with me, sway with ease
When we dance, you have a way with me
Stay with me, sway with me»

انتهيا من كل شيء وخرجا من المطعم، طلبت وهج من بيتر أن يسيرا على أقدامهما قليلاً فالطقس كان منعشًا، لم تغِبْ تلك الرقصة عن خيالهما، كانت لحظة ساحرة، خلدت في ذاكرتهما، كانت شوارع المدينة لا تزال مستيقظة كعادتها، كل شيء بدا طبيعيا

لكن لا يستمر كل شيء على طبيعته في هذه الحياة أبدًا...

لأنه فجأة...

وبينما كان بيتر ووهج يسيران معًا في أحد الشوارع التي لم تكن مكتظة آنذاك، أتت سيارة سوداء كبيرة مسرعة من نهايته لتتوقف بقوة أمام ذلك المصرف المالي الذي كانا يسيران بجانبه، فتحت الأبواب بقوة وترجل منها ثلاثة ملثمون، كان رجلان منهم يحملان أسلحة نارية، أطلقت عدة طلقات في الهواء مما جعل الهلع ينتشر في بين الناس، الجميع يصرخون ويركضون، أطلقت طلقة أخرى في الهواء مجددًا لتجعل الجميع يتوقفون عن الصراخ ويلتزمون الصمت..

صرخ أحد الملثمين والذي يبدو أنه رئيس العصابة:

- ليجتمع الجميع في هذه النقطة، هيا بسرعة وإلا فجرت أدمغتكم.

- هيا بسرعة افعلوا ما طلب منكم دون صراخ دون أي حركة هروب أو اتصال بالشرطة، وإلا فسأقتلكم بدم بارد. صاح الآخر مشيحًا بسلاحه

- هيا هيا فأنتم رهائننا من الآن فصاعدًا. قال الأخير

اجتمع الجميع في تلك النقطة مرتعبين، من ضمنهم كان بيتر ووهج التي بدا الخوف واضحًا على عينيها، كان عدد الرهائن ثمانية...

- بيتر ما الذي يحصل، أنا خائفة جدًّا، افعل شيئًا أرجوك همست له

- لا تقلقي أنا معك. ممسكًا ذراعها نظر

إليهما أحد الملثمين...

- هييه أنتما ممنوع الكلام

- ماذا نفعل الآن يا زعيم؟

- كما شرحت لكما، تأخذان الرهائن كلا منهم على حدة إلى صرافة النقود ليسحب كل منهم ما يملك ببطاقته الائتمانية

صرخت امرأة كبيرة في السن:

- سيسرقوننا سيسرقوننا جميعًا، أنا لا أملك النقود، أنا امرأة عجوز مسكينة أعيش وحدي، أرجوكم اتركوني وشأني اقترب منها رئيس العصابة، حاولت الابتعاد عنه لكنه أمسك بها بقوة من شعرها، حاول بيتر التدخل لكن وهج أمسكت به بكلتا يديها خوفا عليه فهناك رجل يلبس لثامه ينظر إليهما بطريقة غريبة ومقلقة..

- قلت إنك تعيشين وحدك يا امرأة؟!

- نعم نعم آآآآه اترك شعري أنت تؤلمني

أعطيني بطاقتك الائتمانية

- لا أملك النقود.

صرخ بقوة:

قلت هاتي بطاقتك بسرعة

ناولته البطاقة بعد أن أخرجتها من حقيبتها الصغيرة..

- كم رقمها السري

- أرجوك أنا أحتاج نقودي لتغطية مصاريف علاجي بدأت تبكي بشدة

كم رقم البطاقة وإلا فجرت رأسك. وضع سلاحه على راسها

- تسعة سنة ثمانية أربعة - شكرًا لك

ناول الرجل صديقه البطاقة وطلب منه سحب كل ما فيها من نقود ثم نظر إلى العجوز التي كانت منهارة بالبكاء:

- لماذا؟ كل هذا النحيب وأنت لن تحتاجي إلى كل هذه النقود مجددًا في شراء أدويتك، أتعلمين لماذا ؟!

- لماذا؟! سألت وكأنها تبحث عن أمل ما في إجابته.

- لأني ببساطة سأخلصك من هذا العذاب

فجأة..

دون أي مقدمات..

أطلق النار على المرأة العجوز دون أن يرف له جفن لتخترق الرصاصة رأسها وتسقط جثة هامدة على الأرض غارقة بدمائها، قتلها بدم بارد كأنها رسالة للرهائن بأنه لا يمانع في قتل من لا يمتثل لأوامره، صرخ الجميع مذعورين لما رأوه أمامهم، جريمة قتل وسرقة، أحدهم حاول الهروب لكنه تلقى رصاصة استقرت في فخذه، دقات قلب وهج تتسارع أكثر فأكثر، فلأول مرة ترى جثة أمامها مستلقية على الأرض، أغمض بيتر عينيها...

- من منكم سيتبرع بنقوده كي أجعله يذهب من هنا بسلام؟!

لم يجب أحد...

صرخ مجددا:

- لآخر مرة أقولها، من منكم سيعطينا بطاقته لأجعله يذهب من هنا حيا؟!

رفع يده رجل في الثلاثينيات من عمره..

- أحضر بطاقتك وتعال إلى هنا

أحضر بطاقته مرتجفًا خائفًا من أي ردة فعل قد يفعلها المسلح..

- كم الرقم؟!

- ستة خمسة اثنان سبعة

- يعجبني تعاونك يا هذا نظر إلى صديقيه الملثمين:

- يستحق فرصة جديدة في الحياة أليس كذلك؟! أوما ابرؤوسهما إيجابًا..

- أعطني هاتفك؟!

- ل.. لل.. لماذا؟! متلعثما

لأجعلك تغادر بسلام إن كنت تريد ذلك فعلاً

ناوله الهاتف مترددًا...

- هاته كي لا تذهب وتتصل بالشرطة

حطم هاتفه ثم نظر إليه مشيًرا له أن يذهب...

- هيا اذهب قبل أن أغير رأيي وأجعلك جثة أمامي ركض ذلك الرجل هاربًا ومتعثرا في خطاه من شدة الرعب الذي واجهه..

في تلك الأوقات استغل بيتر انشغال الملثمين بالرجل محاولاً إخراج هاتفه واستخدامه بطريقة ما ..

- أنت!! ماذا تفعل بهاتفك!! اقتلوه بسرعة!!

صوب المسلحون أسلحتهم تجاهه بسرعة وأطلقوا النار عليه حتى مات لحظتها دون أي مهرب..

صرخت وهج مرتعبة من هول ما حدث بجوارها!! مالت الجثة عليها ...

تلطخت ثيابها بالدماء لتصبح ممزوجة برائحة الموت.. ظلت تصرخ صرخات هستيرية متقطعة غير مصدقة ما حدث للتو..

لقد مات ..

مات فعلا بجوارها ..

تنظر الجثة إليها بشكل مرعب جدا مما جعل بدنها يقشعر خوفًا...

- هيه أنت!! اخرسي وإلا جعلت روحك تلحق به صرخ رئيسهم

أغلق بيتر فمها بسرعة، فهو يعلم هذه الحالة الهيستيرية التي يصاب بها المدنيون عند رؤيتهم شخصًا يقتل أمامهم، مات ذاك الرجل الذي كان بجانبها محاولاً استخدام هاتفه لكنه للأسف لم يفلح، فبثانية واحدة انهالت عليه طلقات الرصاص...

بعد مرور عشر دقائق بطيئة...

نظر أحد الملثمين إلى العقد الذي كانت تلبسه وهج فسال لعابه، ركض نحوها وبحركة سريعة انتشلها من بين ذراعي بيتر..

صرخت بقوة:

- بيتر بيتر، اتركني وشأني

حاول بيتر مساعدتها لكن الرجل أشار بالسلاح في وجهه طالبًا منه ألا يتحرك..

- أي حركة غبية تقوم بها سأقتلك، أو ربما سأقتلها قبلك. وضع السلاح على رأسها

- اتركها وشأنها وإلا فستندم. صاح غاضبًا

بدأ الرهائن يصرخون:

- أرجوكم لا نريد المزيد من القتل، سنعطيكم كل ما تريدون لكن أخلوا سبيلنا أرجوكم.

- اتركني يا حقير اتركني

ظلت وهج تصرخ والخوف يدب في قلبها، تحاول الإفلات منه لكن بسبب ضخامة جسده وقوة ذراعه التي كانت تخنق رقبتها لم تستطع، زاد خوفها

عندما نظرت إلى بيتر الغاضب والعاجز أمامها..

ينظر إليها بنظرات الخائف من فقد شيء ما...

عيناه تدمعان الآن ...

- خذوني نيابة عنها عليكم اللعنة. قال بصوت يرتجف

- سيأتي دورك لا تقلق. ضحك الثلاثة الملثمون

حاول الرجل أن ينزع العقد من رقبة وهج لكنها ظلت تصارعه على قدر استطاعتها ...

- لاااا لااااا، اتركني، ابتعد عني

في لحظة وبينما الجميع يشاهدون محاولات وهج للإفلات منه، سمع صوت إطلاق نار كان قريبا جدًا منهم، التفت الجميع ليروا بيتر يعارك رئيس العصابة محاولا أخذ السلاح من يده، كان يعاركه بقوة شديدة، غاضبًا حد

الجنون، ثائرًا كالبركان، لا يفكر بشيء سوى بإنقاذ وهج التي لا يزال يسمع صراخها ويتألم..

- ابتعد عنه وإلا أطلقت النار عليك. صرخ الرجل الذي كانت بحوزته وهج

لم يجبه ..

- قلت ابتعددددد

وبحركة مباغتة استطاع بيتر أن ينتزع السلاح من يده، فجأة أطلق ذاك الرجل النار عليه، لكن بيتر توقع هذه الحركة فجعل من صديقهم درعًا بشريًّا يحتمي به حتى استقرت تلك الطلقات في صدره مما جعله يفارق الحياة...

- لاااا. صرخ الأخير

- لم أقصد لم أقصد صدقني. قال المسلح لصديقه

- لقد قتلته، قتلته بسبب غبائك وحبك لنفسك، منذ البداية وأنت ترفض فكرة أن يترأس العملية

- اسكككت

- أنت فاشل في كل شيء كما قال لك سابًقا

- قلت اسكككككت

- لن أكمل المهمة مع غبي مثلك فاشل

ترك الرجل مكانه ليهرب من موقع الجريمة، لكن ما أن حاول الهرب حتى استقرت رصاصة خلف ظهره لتجعله يترنح ومن ثم يسقط أرضًا...

- لن أدعك تتركني وحدي في هذا المأزق وتنجو أنت بنفسك،

- آآآآه لماذا فعلت هذا!! آه أنا أتألم!! أنا أنزف!! لا أريد الموت. يصرخ على الأرض متألما

- وأنت أعطيني العقد وإلا فجرت رأسك، بسرررعة

- بيتر!!

أراد بيتر في تلك اللحظة أن يطلق النار لكن الملثم كان يحمي نفسه بجسد و هج..

وفجأة..

أطلق أحدهم النار...

اخترقت الرصاصة ظهر الملثم..

كان مطلق النار يقف بثبات خلفه بمسافة أمتار...

لكن كيف...

لا أحد يحمل سلاحًا هنا ..

كانت امرأة..

أطلقت النار مجددًا لكن على ساقه اليسرى.

لم يستطع التماسك حتى أفلت وهج وسقط يصرخ ألما..

سمعت أصوات صافرات الشرطة تقترب..

نظر بيتر إلى تلك المرأة والخوف والتعب واضحان على ملامحه..

- شكرًا يا جودي قال في نفسه

ركض مسرعا نحو وهج والدموع تتطاير من عينيه، ركضت أيضا تجاهـ، جذبها بقوة إليه وعانقها كعناق أخير، ضم قلبها قلبه، وارتمت هي بين ذراعيه مختبئة تبكي..

نظر إلى وجهها متأملا ملامحها الخائفة..

تحسس وجنتيها..

ولأول مرة...

قبل ثغرها ..

- وهج أنا أحبك، أحبك كثيرًا وترعبني فكرة أن أفقدك نظرت إلى عينيه اللتين كانتا تدمعان، كانتا مليئتين بالحب والخوف..

وأنا أحبك بيتر ولا أريد سواك

تسارعت دقات قلوبهما ..

أنفاسهما ..

رجفتهما..

ذلك العناق كان المأوى لهما..

✵✵✵

خرجت من أعماق قلبه..

فأجابه لسان قلبي:

« وأنا أحبك ولا أريد سواك»

وهج

أحببتك سرا .. حتى فضحتني عيناي..

❋❋❋

يقف هناك خلف نافذة غرفته، يطل على نافذة المنزل المقابل له، والتي كانت تقف خلفها تلك الفتاة ذات الشعر الأسود مبتسمة خجولاً، تلوح بيدها وترسل له قبلة في الهواء، أغلقت الستائر لتخلد إلى النوم، ألقى جسده نصف العاري على سريره بعد يوم طويل مرهق مليء بالأحداث التي لم يتوقع حدوثها، أراد النوم لكن تلك اللحظة أصبحت تباغته كلما أغمض عينيه، يستحضر المشهد الأخير أمامه والذي يجسد لحظة قبلته الأولى في الحياة، يتذكر كيف حدث ذلك فجأة، كيف استطاع أن ينطقها وهو ينظر إلى عينيها الناعستين، كل ما يعرفه أنا خرجت من قلبه قبل لسانه..

- وهج أنا أحبك، أحبك كثيرًا وترعبني فكرة أن أفقدك

- وأنا أحبك بيتر ولا أريد سواك

داعب خصلات شعرها متأملا جمالها...

- كنت خائفًا من قولها لكني خفت أكثر أن أفقدك قبل أن أقولها

- أما أنا فقد أحببتك منذ أول لقاء

وبينما كان يعانقها ضحكت وهج بصوت منخفض.

- ماذا بك؟!

- هناك من يراقبنا

- من؟!

- إنها جودي أراها تضحك الآن مخبئة ضحكتها بيديها

التفت بيتر ليراها ضحك عندما رأى تعابيرها، كانت سعادتها واضحة جدًا، أخيرا حصل ما كانت تتمناه منذ مدة، حصل أمامها تمامًا، بل كانت تؤمن أنه سيحدث لكنه يحتاج لحدث ما يخرج تلك المشاعر المخبأة، المسجونة داخلهما، حتى دفعتهما فكرة فقد أحدهما للاعتراف..

- صحيح كيف عرفت جودي أننا في مأزق وأننا هنا، أهي مصادفة ؟!

- لم تكن مصادفة أبدًا، في لحظة كانت الأنظار فيها بعيدة عني اتصلت بها ووضعت الهاتف في جيبي

- وكيف عرفت مكاننا؟!

- لا تنسي حبيبتي أننا عناصر شرطة، فعندما وضعت الهاتف في جيبي سمعت جودي صراخنا، صراخ الرهائن وتهديد المجرمين، عرفت أننا في خطر، ومن ثم طلبت من مركز الشرطة تحديد موقع الاتصال

- الفضل يعود لك إذا يا بطلي أنت من أنقذنا، لولاك لما خرجنا من هذا المأزق المخيف سالمين

ألقى رجال الشرطة القبض على المجرمين اللذين كانا يصرخان من شدة الألم على الأرض..

قال واللمعة في عينيه :

- أنت وجهتي وقدري

أجابته وقلبها ينبض سعادة :

- أنت وطني وأماني

✵✵✵

أنت قمر أضاء عتمتي..

وهج

أحبته..

لأنه أحبني في عتمتي..

أحببته..

لأنه أحبني في مزاجيتي..

أحببته..

لأنه جعلني أحب نفسي..

أحببته..

لأنه ميزني عن العالمين..

أحبيبته..

لأنه ببساطة أحبني..

وهج

عند منتصف الليل..

تبدأ القصص وتفيض المشاعر ...

تجد من يتحدث مع من يحبه والابتسامة لا تفارق شفتيه...

وتجد من ينتظر رسالة من أحدهم بشغف بعد يوم طويل .مرهق.

وآخر مكابر ينتظر اعتذارًا ليبدأ بالحديث..

وآخر يفتقد شخصًا اعتاد الحديث معه في مثل هذا الوقت...

بينما أنا...

أجدني أكتب لك بغير قصد وأعلم أنك لن تقرأني..

فأنت لا تحب القراءة..

ومع ذلك أكتب علي أجد في الكتابة خلاصًا..

من ضجيج بات يؤلم رأسي سببه أنت...

أكتب لك ما لم أستطع قوله أمامك...

ككلمة أني ما زلت أحبك رغم ذنبك..

رغم قبح فعلتك ...

أكتبها وأنا أشعر بالخجل من كبريائي...

لكنك لن تقرأني وهذا ما جعلني أكتبها لك...

ففي منتصف الليل تبدأ القصص...

ولكل منا قصة يخبئها في صدره..

فأنت هو بطل قصتي التي سأرويها ندما ..

وسأسميها باسم لن يفهمه سواك..

شمس منتصف الليل...

✵✵✵

مضت أيام هادئة ..

لكن قلبها كان مضطربًا، أفكارها متذبذبة، روحها منطفئة تكتب بحثًا عن إجابة تشفي نزيفها..

ماذا حل بي؟!

لمَ لا أشعر بروحي؟!

أكان ذنبًا أني أحببت؟!

أم أنك الذنب نفسه الذي اقترفته بحق نفسي ؟!

حبك خطيئة أرجو غفرانها...

اعتادت تالين على الذهاب خلسة بين الحين والآخر إلى ذاك الجسر الذي سمته جسر الوحدة كي تقابل صديق وحدتها الجديد جوليان، وفي كل مرة تذهب فيها تجده وحيدًا هناك، هادئًا منفيًّا من هذا العالم، ويقابلها في كل مرة بابتسامة لطيفة ترحيبًّا بها، تمضي وقتها مستمتعة بالحديث معه، فقد كانت روحه باهتة كروحها، كانت الشخص الوحيد الذي يتحدث معه بعفوية، كما كان مع مارثا أعادت الثقة فيه قليلاً، الأمل في الحياة مجددًا، شعرت وكأنه كان ينتظرها منذ زمن بعيد كي تخرجه من وحدته، أما هو فوجدته ذلك الشاب اللطيف الذي استطاعت الاعتراف له بآلامها دون

خوف أو خجل، أرادت مرة التحدث لبيتر عن تلك الآلام التي شعرت أن روحها وملامحها تغيرت بسببها لكنها خافت لأول مرة تخاف البوح بشيء لملاكها الحارس ورفيق قلبها، وعندما أرادت البوح لأختها شعرت بالخجل فهي من نصحها أن تتوخى الحذر، لم تأبه بنصيحتها وصدقت قلبها، لم تكن تعلم أن هلاك أرواحنا وانطفاءها أساسهما القلب، تلك العضلة العاصية لمنطق العقل وحكمته..

قالت له مرة:

- لن تكون وحيدًا أنا معك فنحن نتشارك الوحدة جوليان

- متمسك بك فوجودك يشعرني بالحياة، شكرًا لك تالين

سألتها أختها مرة إلى أين تذهب في الساعات المتأخرة خارج المنزل وتتأخر في العودة..

أجابتها:

- أخرج للمشي لأصفي ذهني وأهذب أفكاري، كما تعلمين أن المشي هي رياضة العلماء والفلاسفة عند اليونانيين

- ألا تخافين المشي وحدك في الظلام؟!

أجابت بحزن:

- من قال إني وحدي؟ فأنا والمخذولون والمتألمون والمهمومون نسير معًا وحيدين في الطرقات

كم مرة قلت لك تالين أريد المشي معك لمَ لا تدعيننا نفعل ذلك؟

- ليست الفكرة أني لا أريدك، كل ما في الأمر هو أني أريد الاختلاء بنفسي

قليلاً، عادة جميلة اكتشفتها مؤخرًا

ربتت وهج على كتف أختها:

- تعلمين أني بجانبك في أي وقت تحتاجين

- أعلم يا توأم قلبي

***

من قال إن الانطوائية مرض وإن الأنطوائي مريض حتمًا كان هو المهووس والمريض بداء مخالطة البشر المقيتة..

الانطوائية علاج للروح من زوبعة الحياة ومفسديها..

تريحك من أصواتهم، ترهاتهم، أفعالهم، مثاليتهم الخداعة ومنهم أيضًا..

لا أطلب منك أن تكون مخترعا في انطوائيتك كأديسو ديسون ونيوتن و آينشتاين

ففي انطوائيتهم أناروا لنا العالم...

وفي انطوائيتك يكفي أن تنير عتمتك مكتفيا بذاتِّك...

شمس منتصف الليل

فجوة..

فاء الفراق..

وجيم الجنون...

وواو الوحدة..

وتاء التيه...

فجوة في قلبي تؤلمني كثيرًا..

تحرقني من الداخل أكثر فأكثر ..

أخدش جسدي كي أشعر بألم غير ألمها..

فجوة جعلت روحي تنتفض..

وأطرافي ترتعش...

وأنفاسي تختنق..

حتى عيناي لم تعودا تريان النور من حولي..

غارقة بين فاء وجيم وواو وتاء..

فهناك فجوة أعيشها سببها أنت...

وأريد الخلاص منها ومنك..

شمس منتصف الليل

***

في المنزل الذي يسكن داخله الصمت...

كان مستلقياً على أريكته الرمادية في غرفة المعيشة ينتظر وصول طعام العشاء، يلعب بخصلات شعره ويشاهد فيلمًا رومنسيًا يحكي قصة فتاة

مصابة بمرض نادر في الجلد مما يجعلها لا تستطيع الخروج والأستمتاع تحت أشعة الشمس، فإن أصابتها أشعة الشمس فستتسبب في تدهور حالتها المرضية وسيؤدي ذلك إلى وفاتها، كان متأثرًا مع القصة إلى أبعد درجة، إلى أن دمعت عيناه مع تسلسل الأحداث...

- أرى أنك أصبحت شاعريًا جدا وهذا لا يناسبني

- اصمت يا آريز ودعني أكمل متعتي

- هذه أفلام الضعفاء، أين المتعة إن لم يكن هناك قتل ودماء؟!

- اصصص

- سأصمت لكن أريدك أن تعرف أنك أصبحت مختلفًا عن ذي قبل

تنهد جوليان

- مختلفا بماذا؟!

- في أفكارك ومشاعرك أصبحت لطيفا وهذا يغضبني جدًّا

- أعتقد أني أفضل الآن

- لا تخدع نفسك وتصدق ترهات تلك الشقراء

- تالين فتاة جيدة

- بل بائسة معتوهة تبحث عن معتوه مثلك لتكونا صديقين ضحك جوليان:

- هي صديقتي بالفعل

غضب آريز

بل أنا هو صديقك الوحيد هل فهمت؟!

- آريز..

قاطعه :

- اهتمامك الشديد بها يضعفنا يا مغفل

- أريدها أن تكون صديقتي ألا تفهم!! هي الوحيدة التي أتحدث معها بعفوية كما كنت مع مارثا

- لكنها ليست مارثا، لا تجعلني أفكر بقتلها وتقطيعها ومن ثم رمي لحمها للكلاب

صرخ

- لاااا إلا تالين محرم عليك إيذاؤها

- لا حرمة في قاموسي أنا أفعل ما أريد دون إذن حتى

- سأنتحر قبل أن تقدم على فعلتك أتفهم؟! سنموت جميعا إن فكرت

- تنتحر من أجلها!!! أجننت يا وضيع ؟!

- أنا مجنون بالفعل مجنون يحدث نفسه

- هي لا تعلم بأمري لذا لا تجعلني أتحدث أمامها

- إياك أن تفعلها ستشعرها بالخوف وستبتعد عني، ابق صامتا كعادتك ولا ترعبها بانفصامنا

سكت قليلا :

- إذا دعنا نفكر بضحيتنا الرابعة كي أستمتع وأنسى تلك الشقراء

- أنت العقل المدبر لجميع الأعمال الإجرامية

- بل أنا من يطهر العالم من أولئك الناس

- هل تعتقد أننا سنرتاح بعد أن ننتهي من انتقامنا الأخير؟!

- بلا شك عزيزي جوليان حينها سيعيش العالم بسلام بفضلنا

- باله من إحساس جميل ،آريز، كم أشتاق لشعور الراحة

- قريبًا، قريبًا جدًّا

✵✵✵

أين أنت؟!

ما زلت ألتفت كل لحظة ...

ولا أجدك...

شمس منتصف الليل

وحيدة أنا هذه الليلة..

كأي ليلة بعد فراقنا..

جميع من في الحي يغطون في نوم عميق..

عداي أنا..

فأنا شمس منتصف الليل..

هذا الانطفاء لا يليق بي ولكن..

أرهقني ذلك الاحتراق..

شمس منتصف الليل

كنت أماني واكتفائي..

كنت الأمان الذي أبحث عنه...

أصبحت أبحث عن الأمان خوفًا منك..

شمس منتصف الليل

✵✵✵

(اعترافات غير متوقعة)

بعد مرور أيام عديدة على آخر محادثة جمعت تالين بيزن بعد ان اعتادت أن تتفقد هاتفها كل صباح عند استيقاظها أملاً في حصولها على رسالة تهدئ إعصار قلبها ولا تجدها تتفقد قبل نومها كمحاولة أخيرة، كمعجزة ترجو حدوثها، تائهة بروحها، تبكي من شدة الاشتياق، تتساءل ماذا اقترف قلبها لتنال كل هذا الجفاء كانت تحبه وما زالت رغم هذا الفراق، مشككة في حبه لها، في إخلاصه لعلاقتهما، مشككة في وجود امرأة سيطرت على قلبه ،كلعنة وضعتها كي لا يرى محبوبته بعين قلبه، إلى أن أصبح لا يراها بعينه حتى، فتلك اللعنة تزداد قوة، ويجب على تالين تحطيمها...

امتلأ دفترها بأسرارها، بخيباتها وخذلانها، فالكتابة أصبحت كمسكن يخفف حدة آلامها ويهذب مشاعرها، حتى صارت شمس منتصف الليل أسيرة للكتابة...

في وقت متأخر من الليل...

استيقظت تالين فزعة من نومها، فقد انتابها كابوس أرعبها، رأت في منامها مقتل بيتر، إثر رصاصة اخترقت قلبه، شعرت بضيق في التنفس، تحسست قلبها، نظرت إلى سرير أختها التي كانت حينها تغط فيه في نوم عميق، نظرت من خلال النافذة إلى غرفته، كان ضوؤها منيرًا، اتصلت به ليطمئن قلبها ..

- أهلا مشاكل

- أهلا بيتر كيف حالك؟!

- بخير يا عزيزتي، كيف حالك أنت وكيف تسير امتحاناتك؟!

- كل شيء على ما يرام، أتمنى ذلك فعلاً

سكتت قليلا ثم قالت بصوت يرتجف:

- بيتر

- أخبريني يا مهجة بيتر

- هل أنت بخير؟! هل كل شيء على ما يرام؟!

لم يجب ..

- اصدقني القول بيتر أرجوك، أشعر بنغزة في قلبي كأنها رسالة من السماء تخبرني أنك لست بخير أو أن شرًّا يدور حولك ابتسم بيتر من وراء الهاتف:

- كل شيء على ما يرام حبيبتي تالين، لا تقلقي فأنا بخير طالما أنكِ معي

- وسأكون معك حتى آخر نبضة في قلبي تذكر هذا جيدًا

- بالمناسبة يا تالين ألا يوجد أمر تريدين إخباري به؟!

- أمر مثل ماذا؟!

- لا أعلم، شيء لم تخبريني عنه بعد أو شيء أردت إخباري به لكنك مترددة ربما

تلعثمت...

- أخبريني مشاكل أنا أكثر من يعرفك جيدًا، أرى الحزن مجتاحًا قلبك، والرجفة لا تفارق صوتك

- لا شيء مهم صدقني

- لا أصدقك لم تجبه ...

خافت أن تبوح بألمها:

- مشاكل أنا قادم إليك، أنتظرك عند عتبة باب منزلكم ثم أغلق الخط

تولت إلى الأسفل وفتحت الباب، كان يقترب إليها، سحبها واحتضنتها بصمت..

- تكلمي يا مشاكل أنا أسمعك

- ماذا أقول؟!

- دعي قلبك يخبرني بما يؤلمه

ترددت..

- لا ترددي، مهما كان حجم الشيء فحلول معك

- أشعر بفراغ داخلي، أفتقد شيئا اعتدت وجوده في حياتي، اشتاق إليه

- وما هو هذا الشيء؟!

- ليس بشيء بل شخص

- شخص؟!

- نعم أجابت بصوت منخفض

- من هو هذا الشخص الذي جعلك تتألمين إلى هذا الحد؟!

كانت تخشى الإجابة على هذا السؤال خاصة أنها تعرف أن بيتر يبادلها بمشاعر

- لا يهم من يكون

- لا تريدين إخباري؟!

لأني أحبك لا أريدك أن تعرف

- لم أفهم ما شأني به؟!

أمسكت يديه محاولة السيطرة على الموقف..

- بيتر هناك موضوع يخصنا أنا وأنت كنت تهرب من مواجهته أمامي، حتى أصبحت في فترة ما لا تطيق رؤيتي، والآن أنا أساعدك كي لا أجرح مشاعرك وأعيدك لنقطة الصفر

أخذ نفسًا عميقًا

- عزيزتي تالين أفهم ما ترمين إليه وما يدور في رأسك، ولي أتحدث عنه الآن لأنه ذهب للنسيان، لكن نعم كنت أهرب و شيء ما، منك أنت، من حبي وشغفي بك، ربما في فترة ما حتى تجاوزت كل شيء بهدوء، تمامًا كما أتت هي إلى حياتي بهدوء

- هي؟! من هي؟!

- حسنًا دعينا نعترف بعضنا البعض، من هو شخصك وسأخبرك من تكون هي

- ثانية واحدة!! بيتر أنت واقع في حب فتاة!!

ضحك لردة فعلها: -

ألا يحق لي؟!

- يحق لك طبعا، لكن هل تحبك هي أيضًا!!

من هي سعيدة الحظ؟!

- أخبريني بشخصك لأخبرك أجابت بصوت حزين

- أنا لا أعلم إن كان لا يزال يحبني أو لا

- إن كان يحبك من أعماق قلبه فهو لا يزال، أما إن كان يتسلى معك باسم الحب فهو لا يستحق حبك ووقتك أيضًا

ابتسمت ابتسامة باهتة ..

- بالمناسبة أنا أعرف شخصك لكني انتظرتك لتقوليه بنفسك

- من يكون؟!

- يزن كيف عرفت؟!

كل شيء كان واضحا تالين، أسلوبك بالحديث عنه، خروجك المتكرر معه نظراتك له، وهناك أمور أخرى رأيتها من نافذة غرفتي ضحك

ماذا رأيت!! شعرت تالين بخجل شديد

رأيت أن مشاكل الصغيرة كبرت

حاولت تغيير الموضوع..

- ومن هي حبيبتك؟!

- شخص تعرفينه

- أعطني تلميحا أكثر دقة

- شخص قريب لك

- إيميلي!! مستحيل فأنتما لا تتوافقان

ولن نتوافق ضحك

- من إذًا؟!

- شخص من دمك، ينام معك في الغرفة ويتقاسم أشياءك صرخت غير مصدقة:

- وهج!! كيف!! متى!! ولم لم تخبراني !!

- نعم وهج، كيف ومتى لا أعلم، طلبت منها ألا تخبرك رغم إصرارها على ذلك

- لماذا بيتر؟! ضحك مجيبا بعفوية:

- ببساطة لأنك لم تخبريني عن يزن، وربما أردت قول هذا بنفسي كي أرى ردة فعلك

- آآه كم أنتما تليقان بعضكما ببعض، فعلا أنت تستحق وهج ووهج تستحقك

- وأنت تستحقين من يحارب الحياة ليكسب قلبك

- لا أظن هذا، فمن حاربت لأجله تركني في ساحة المعركة وحيدة

- ماذا حدث لكما ؟!

- انس الأمر هو شخص غريب الأطوار لكني سأضع حدا لكل شيء قريبا وقريبا جدا

- تالين إن احتجت أي شيء فسأكون بجانبك، حتى وإن أردتني أن أزجه في السجن بتهمة إيذاء أرق قلب ضحكت و احتضنته

- لا تقلق سأهتم أنا بالأمر وإن لم أستطع فسأطلب المساعدة من حلول كالعادة

هيييه ماذا تفعلان هناك؟!

التفتا باتجاه الصوت، كانت تقف وهج خلف نافذة حجرتها تحك فروة رأسها متثائبة، تحاول النظر إليهما بعينها الناعسة فاتحة فاهها

- هل هناك اجتماع ينبغي علي حضوره؟!

- اجتماع!! بل إنها اعترافات أيتها العاشقة الصامتة.

قالت تالين وهي تضحك

- عاشقة!! ما هذه الإشاعات التي تطالني وأنا نائمة؟!

- لا داعي للإنكار فقد اعترف أميرك بهذا منذ دقائق اتسعت عيناها فجأة، نظرت إلى بيتر

أومأ برأسه إيجابا :

- نعم لقد اعترفت بأنك وهج لهذا. أشار إلى قلبه

إياكِ وأن تجرحي قلبه مفهوم؟! فهذا الشاب يخصني.

وضعت تالين يدها على كتفه

ماذا!!!! يفترض أن توصيه على أختك لا العكس بالإضافة أن له أصبح ملكي وحدي عزيزتي. ضحكت على استحياء

- همممم أهلا بشخصية وهج الغيور

- ضحك بيتر وتالين عــلى وجــه وهج الذي احمر خجلا عندها اغلقت

النافذة هربا من ضحكاتهما ونظراتهما التي أربكتها، سمعت صوت أختها تصرخ فارتسمت ابتسامة على ثغرها واختبأت تحت لحافها قبل أن تأتي..

- سأصعد إليك حالا يا خجول

❋❋❋

أحيانا نجد الأمان في كلمة من أحدهم..

وهج

كنت تائهة في هذه الحياة..

حتى رأيتك في وسط زحامها...

تقف بثبات أمامي مباشرة..

وفي تلك اللحظة تحديدا..

أصبحت بوصلتي..

وهج

ذلك الهدوء بعد نهاية العلاقات مخيف..

شمس منتصف الليل

أنا وأنت..

كنجمة وقمر..

يجمعنا الحب في ليله المظلم لنحلي سماءه بضيائنا ..

وهج

قادرة أنا على العيش بدونك..

لكني من فرط الحب أريدك..

شمس منتصف الليل

***

(رحيل من تعتقد أنه لن يرحل)

لكل شخص مستوىً في الصبر...

في التحمل والتغافل..

في الصمت...

إلى أن تأتي تلك اللحظة التي تشعرك بثقل العالم يكتم أنفاسك...

لتنفجر كبركان خامد ثار فجأة ليخرج من أعماقه جلّ غضبه..

وتصرخ بأعلى صوت في وجه العالم وتقول كلمة واحدة تغني عن جميع الكلمات:

كفى!..

هذا ما فعلته تالين عندما استيقظت من نومها، قررت الذهاب إلى منزل يزن لمواجهته أخيرًا، لتضع النقط على حروف علاقتهما، انتهى صبرها وآن الأوان لتخرج عن صمتها، كانت تعرف أن اليوم هو يوم عطلة يزن الأسبوعية، وهو يفضل قضاءه في المنزل والاسترخاء، لا تعرف بماذا ستبدأ حديثها معه، وكيف ستكون ردة فعله عندما يراها تقف أمام بابه، وهل سيستقبلها أم لا، كل شيء كان مبهمًا، لكنها أرادت فعلها حتى تنهي ذلك الضجيج الذي يسكن عقلها، لتقطع شكوكها من جذورها، فقد كان على أحدهم أن يبادر وأن يضع حدًّا لكل هذا البعد والهجر، لا الاكتفاء بالصمت أو الهرب..

ذهبت إلى منزله، وفي طريقها إليه كانت تصُفَّ الكلمات التي تود قولها في وجهه بشجاعة، ترددها كي لا تنساها:

- أما عدت تحبني؟!

- هل لا يزال قلبك ينبض باسمي ؟!

- هل ما زلت تتلهف لرؤيتي ؟!

- أهناك من يسكن قلبك غيري؟!

- من ذا الذي غيرك؟!

- هل لي متسع للاختباء في صدرك؟!

- ما كان ذنبي لأنال كل هذا الجفاء؟!

- أما زلت شمس منتصف ليلك ؟!

كلمات كثيرة، في رأسها، وهناك الكثير الكثير في قلبها..

كانت السماء ملبدة بالغيوم، صوت الرعد يوحي بنزول المطر، نسيم هواء بارد ،منعش يداعب خصلات شعرها، تقف أمام منزله مترددة، تمد إصبعها لقرع الجرس لكن ما أن تقترب لقرعه تعود أدراجها للوراء، أخذت نفسًا عميقًا، ابتسمت، وقرعته بثقة..

لم يفتح الباب...

قرعته للمرة الثانية...

سمعت وقع أقدام تقترب من الباب..

نبضات قلبها تتسارع أكثر فأكثر ..

فُتح الباب أخيرًا، اتسعت عينا تالين كأنها رأت شبحًا يقف أمامها، ارتعشت أطرافها فجأة، شعرت بحرارة تجتاح جسدها،لم تستطع قول كلمة واحدة، كأنها نسيت كيف تُنطق الحروف، خنجرتها تتمزق من الداخل، وقلبها يشتعل محترقًا، أحست بدوران الأرض، توقف الزمن في تلك اللحظة بالذات، عندما فُتح الباب، فتح على يد غريبة، لم تكن يد يزن، بل كانت يد امرأة..

كانت ترتدي بجامة من الساتان موردة بألوان عدة، تنظر في عيني تالين بخوف حاولت الاقتراب منها لكن تالين عادت خطوة للوراء، حاولت التكلم لكن تالين أشارت لها بالصمت، تبادلتا النظرات فقط، لكن نظرات تالين كانت أكثر حدة، أكثر غضبًا تقرأ فيهن خذلانًا وندمًا...

- من عند الباب يا إيميلي؟ جاء صوت يزن من الداخل لم تجب..

- لم لا تجيبين حبيبتي اقترب الصوت أكثر

سقطت دمعة من مقلة تالين أمام أعز صديقة لها، صعق يزن عندما رأى وجه تالين من خلف الباب، شعر بارتباك وتوتر شديدين، يرى نظرات تالين معاتبة له، كان يقف أمامها مباشرة وبجانبه تقف إيميلي ساكنة، لم يتوقع الاثنان قدوم تالين أبدًا، وفي لحظة لم تستطع تالين تمالك نفسها فانهارت باكية...

- أأُكرم بالخداع بعد أن أخلصت لك!! أهذا جزاء من يهبك قلبه!! صدقتك وكذبت شكوكي، آمنت بك وعاهدتك ألا أكون إلا معك، ثم ماذا؟! تتركني لتخونني!! ومع من!! مع أقرب صديقة لي!! هل أنت بلا قلب أم ماذا؟! تو همني بالحب ثم تكسرني بالخيانة

التفتت إلى إيميلي:

- وأنت تركت جميع رجال العالم لتلتفي حول الرجل الذي كنت أخبرك أني أهيم به!! كيف تسنى لك فعلها يا إيميلي؟ الم أتوقع الخيانة منك أبدا فأنت صديقتي!! بل صديقتي المقربة!! لم أكن أتخيل أن تكوني أفعى تحوم حولي، يالك من وضيعة أنانية لا تبحث إلا عن سعادتها وحدها

- دعيني أشرح لك يا تالين. قال يزن

- تشرح ماذا!! كل شيء أمامي، كذبك، جبنك، خداعك، استغلالك، أنت نكرة وأنت نكرة أيضًا، كم كنت ساذجة عندما وثقت بأمثالكما، منذ متى وأنتما تستغفلانني؟!

- تالين لم أكذب عليك يوما، كل ما قلته لك كان صادقا، أرجوك اهدئي قليلا

- أتسمي ما أراه أمامي من خيانة حبًّا؟!

- كان يحبك تالين إلى أن شعر بانجذابه لي أكثر، أحبني أنا وتعلقت به كثيرًا، الأمر لم يكن بيدنا، بل كان مرتبطاً بقلبينا، حبنا أصبح أقوى منا ومنك

- حبكما مبني على خيانة، كلاكما خنتما قلبي، كيف استطعتما فعلها؟!، كيف فرطتما بي، مؤسف أني جعلت منكما شيئًا مهمًّا في حياتي

بدأت تشهق من شدة البكاء..

حاولا الاقتراب منها لتهدئتها..

- ابتعدا لا تفكرا بلمسي حتى، فأنا مشمئزة منكما. صرخت

- حسنا لكن اهدئي الآن تالين، كنت خائفا من إخبارك منذ مدة، لم أخف منك بل عليك، فأنت أرق قلب عرفته ولم أرد يوما إيذاءك لكنه الحب

تالين هو من يختار طريقنا لا نحن

- اللعنة على الحب، اللعنة عليك، الرجل الوحيد الذي أحببته وأدخلته حياتي ووهبته قلبي طعنني في ظهري أدخلتك جنتي وأدخلتني جحيمك قالت إيميلي بحزم:

- يكفي هذا يا تالين :

- اخرسي أنت فلا أريد سماع صوتك حتى أفعى ناكرة للجميل، من كان يقف معك في مشكلاتك، من كان يساندك في وحدتك، من كان يحميك من الذئاب البشرية التي أرادت بك سوءًا بسبب سذاجتك، لم تكن هناك صديقة لك غيري أتعرفين لماذا؟! لأن الجميع لا يرونك شيئًا، سوى فتاة تحب التعرف على الشباب لتقيم معهم علاقات إلى أن يملوا منها فيتركونها كسلعة لم تعجبهم، وهذا ما سيفعله بك يزن أيضًا، فأنت لا تستحقين سوى أن ينظر الناس إليك بهذه النظرة، عرفت الآن لمَ كان بيتر يكرهك لأنه شاب رأى فتاة لا تليق بي مصادقتها

تجمدت واقفة..

- نعم هذه هي إيميلي الحقيقية خبيثة وخائنة ومنبوذة فاخرسي ولا تسمعيني صوتك

نظرت إلى يزن والأسى يملأ ملامحها: - بعتني وبعت نفسك لأجل هذه؟! وفضلتها علي لك ما أرت إذا

أكملت حديثها وبكاؤها يختلط بالكلمات

- من هذه اللحظة يا يزن اقطع كل شيء بيننا، أسمعت؟! كل شيء بيننا، لم أعد تلك الحمقاء التي تلاحقك لتكسب رضاك ولن أعود لك يومًا، كل ما جرى بيننا سيذهب لوادي النسيان، سأنساك ولو كان الأمر ثقيلا على

قلبي، سأنساك لكنك لن تنساني ولن تستطيع فأنا تالين الوحيدة التي أحبتك بصدق ولن تجد أحدا في هذا العالم يحبك كما أحببتك، لذا لا تفكر ولو مرة بالرجوعِ لي لأنني ببساطة سأكتفي بنفسي ولن أراك شيئًا عندها

- تالين..

ضحكت

- سأترك لك فقط اسمي، فهو كفيل بجعلك تتألم ندمًا

أمسكت إيميلي يديزن وهي تنظر في عيني تالين والكره بدا واضحًا في عينيها:

- اتركها حبيبي يزن، فهي لا تزال تحت تأثير الصدمة ولا تعرف ماذا تقول انظر إلى عينيها الممتلئتين بالدموع، وإلى حالتها النفسية التي يرثى لها

كانت تحاول استفزاز تالين بكلماتها السامة، بينما كان يزن ينظر إلى من كسر قلبها بأسي...

- يالك من شيطانة لعينة، بعتِ صداقتنا لأجل رجل!!

- لم تكوني يومًا صديقة لي كنت أكرهك يا تالين، أكرهك وأكره رؤيتك سعيدة، كنت أنا من يجب عليها أن تعيش حياتك الجميلة تلك، أخ يحبك ويحميك كبيتر، والدان لا يفكران سوى بسعادتك، معدلك الجامعي المرتفع، شخصيتك المرحة صداقاتك الرائعة وحب الناس لك، وأخيرًا أخت كبرى تساندك في لحظات ضعفك، كل هذا كان يجعلني أكرهك أكثر، لم هذه حياتك لا حياتي؟! والآن تبخلين علي لأني أحببت شخصا كان

يحبك في الماضي!! لم أسرق أحدا من يد أحد، هو من تركك وأتاني بقلبه

تفاجأت تالين من اعتراف صديقتها التي ظنت أنها مقربة:

- ما كل هذا الحقد الذي تحملينه في قلبك!! أكنت تكرهينني إلى هذا الحد!! وأنا من أدخلتك حياتي ومنزلي وحجرتي وجعلتك ترتدين من ملابسي وتستخدمين ممتلكاتي الشخصية، لأني ببساطة أحببتك إيميلي، لكن للأسف إننا لا نرى نوايا من حولنا

- أحببتني!! بل كنت تعتقدين أنك الأجمل والألطف الفتاة المثالية التي تحب الكتب والقراءة، تحب الفلسفة والأدب، تعطي نصائح في الحياة لي، كنت ترين نفسك الأفضل في كل شيء جعلتني أشعر بالنقص دائما، هل هذا هو حبك المقرف!!

- أهذه هي نظرتك لي إيميلي؟!

أجابت بصوت مرتفع

- نعم هذه هي شخصيتك الحقيقية فلا تدعي المثالية وأنت نرجسية مزاجية

هذا يكفي يا إيميلي. قال يزن

- دعها تعرف من تكون

- قلت كفى

ابتسمت تالين ابتسامة حزينة:

- لا أحد يستحق الاعتذار سوى قلبي الذي جعلتكما تسكنانه لتكسراه، آسفة في حق نفسي، آسفة للثقة التي أعطيتها لمن لا يستحقها، آسفة للساعات التي قضيتها مع كل منكما، كنت صادقة وكان هذا ذنبي، فسامحني يا قلبي على ذنبي سكتت قليلا ثم قالت بصوت مرتجف:

- الوداع

كان قلبها يبكي بشدة، سقطت دمعة ممتلئة بالألم من عينها...

نظرت إليهما نظرة أخيرة ثم استدارت وبدأت تسير مبتعدة عن المنزل تاركة جرحًا كبيرًا عند عتبة بابه، كان الأمر ثقيلا على روحها، ولأول مرة تشعر بشعور الخيانة والخذلان، شعور يحرق الجسد بلا نار، لا شيء يستطيع إخماده، تبتعد أكثر وأكثر ولا تعلم إلى أين سينتهي بها الطريق...

***

تمشي بين الطرقات تائهة متعبة، مشتتة متذبذبة، لا تعلم إلى أين تذهب بروحها الجريحة تبكي بحرقة وتتألم، تتحسس صدرها لتتحقق ما إن كان لا يزال قلبها ينبض بعد كل هذا الخراب..

اتصلت بجوليان...

- أهلا صديقتي تالين كانت تبكي دون أن تنبس بكلمة...

- تالين!! ما الذي حدث لك لماذا تبكين؟! قالها قلقًا

أجابه صوتها هامسًا:

- أحتاجك

- أين أنت؟! سآتي إليك حالاً

- قابلني عند مكاننا السري

بعد ساعة..

كانت تجلس هناك عند نهاية الجسر وحيدة صامتة، هادئة لا تفعل شيئًا سوى الانتظار، إلى أن سمعت صوته من الخلف يناديها، التفتت لتجده يركـــض نحوها والخوف بـــدا واضحًا على مـــلامحه، ركضت باتجاهه

و احتضنته لم تستطع تمالك نفسها فما أن عانقها حتى بدأت بالبكاء...

- ما الأمر تالين تكلمي أرجوك

لم تنبس ببنت شفة وظلت مستمرة بالبكاء...

- ما الذي أحزنك إلى هذا الحديا صديقتي، أنا معك لا تخافي أجابت أخيرًا:

- لماذا الصادق في الحب يخان؟! لماذا من يهب الثقة يهان؟!

- ما الذي تريدين قوله ؟!

نظرت في عينيه:

- الشخص الذي أحبه يا جوليان والذي أخبرتك عنه، عرفت اليوم أنه لا يحبني، وأنه استغل قلبي ليملأ فراغ قلبه فقط

- يزن!! صاح

- للأسف يزن الذي أخلصت له وكان قلبي ملكا له رأيته اليوم مع امرأة غيري في منزله قبض يده بغضب:

- اللعين، العديم المشاعر، كيف له أن يجرح شخصا رقيقا وحساسًا

- هل تعرف من تكون تلك المرأة!! كانت إيميلي صديقتي المقربة، الصدمة صدمتان، خيانته وخيانة أقرب أصدقائي لي

- الوضيعان!! أجاب بغضب

ربت على ظهرها محاولا تهدئتها:

- لا تبكي يا تالين فأنا لا أقوى على رؤية دموعك الغالية، هما لا يستحقان كل هذه الدموع الصادقة، بل يستحقان شيئًا آخر أعرفه جيدًا

قالها بنبرة مختلفة، كانت مخيفة بعض الشيء...

- اهدئي الآن كل شيء سيكون على ما يرام، أعرف أن الشعور الذي تشعرين

به ثقيل على روحك الخيانة بعد الثقة كسكينة في الظهر بعد الأمان

لكنها كانت صديقتي. قالت بحزن

- ليس كل من ادعى الصداقة هو صديقا لنا، فهناك من ينتظر فرصته ليبرز مخالبه وينقض علينا محاولاً إسقاطنا رغم ثباتنا، يخبئ كرهه لنا داخل فقاعة المحبة التي مهما دامت طويلا ستنفجر يوما ما في وجوهنا، هؤلاء هم أخطر الأصدقاء

جلسا في مكانهما المعتاد، وضعت رأسها الذي كانت تشعر بثقله على كتفه، داعب شعرها بلطف وظل يهدئها بكلماته التي كانت تحاول مداواة قلبها الجريح وفي داخله غضب شديد كبركان يكاد أن ينفجر..

غادرت تالين المكان لكن قبل مغادرتها التفتت نحو جوليان بابتسامة باهتة وقالت بصوت يملؤه الحزن

- شكرًا لأنك معي جوليان

ثم غادرت ...

في تلك اللحظة رأى جوليان مارثا تقف أمامه وتبتعد شيئًا فشيئًا، لقد شكرته لأنه معها، بدأت أطرافه بالارتعاش، تأثر جدًّا لحزن مارثا العاجزة عن فعل شيء، حتى أن آريز تأثر أيضًا، سقطت دمعة من عينه، ضغط على أسنانه، وقبض على يده بشدة، ثم همس بصوت خافت يملؤه الغضب والشر

- لقد انتهى أمرك يا يزن!

❋❋❋

أشعرت يوما أنك تحلق عاليا سعيدا...

تنظر للحياة بإيجابية ...

تثق بمن حولك..

وفجأة...

يصيبك سهم يخترق قلبك..

يجعلك تترنح فاقدا توازنك..

تنظر إلى الرامي فتتمنى لو أنك مت قبل رؤيته...

مصدوما كيف استطاع من ائتمنته على نفسك أن يغرس سهمه...

فلا سهم أقوى من سهم الخيانة..

ولا جرح أشد إيلاما من جرح من وهبته المحبة والثقة..

فهو يدمي القلب والروح ويترك ندبة لا تنسى..

عندها ستؤمن أن لا أحد يستحق ثقتك..

وأنه مهما طال الزمان ستخان ممَّن لم تتوقع منه الخيانة...

لذا كن لنفسك كل شيء..

أو كن متأهبا لسهم يخترق قلبك..

شمس منتصف الليل

❋❋❋

أحببتك..

وكان هذا الحب خطيئة أرجو غفرانها..

شمس منتصف الليل

نصيحة شخص خذله الحب:

لا يغرك الكلام المعسول أبدا...

فالكلام في الحب شعوذة..

والحب نفسه لعنة..

يلقيها الساحر على قلبك المسكين..

ليتمكن من السيطرة على مشاعرك الصادقة...

ويجعل من نفسه المالك لروحك المأسورة بلعنته..

لذا إن أتاك ساحر مدعيا الحب فاهرب. واركض عكس اتجاهه قبل أن تصيبك اللعنة..

ولا تنظر للوراء أبدا...

لأنك إن نظرت فستفتن بجمالها وستصيب قلبك لا محالة...

عندها أبلغ قلبك السلام وقف جانبي كمخذول جديد..

شمس منتصف الليل

تخوض حربًا من أجله وفي النهاية هو من يقتلك..

شمس منتصف الليل

ماذا لو تبادلنا الأدوار..

وكنت أنا من فعلها عوضًا عنك..

هل ستتقبل خيانتي وتغفر لي ذنبي؟!

هل ستظل تحبني رغم خطيئتي ؟!

أم أنك ستنسى وعودك لي وترحل بعيدًا عني..

وإن كانت الخطيئة نفسها، فلم يختلف ذنب مرتكبها...

لمَ يحق للرجال الخيانة وللنساء السكوت؟!

لا أقول إنه يحق لنا الخيانة فنحن لا نخون من أحبنا..

ولم نكن يوما ضعيفات بل كنا صادقات..

وكان ذلك الصدق أكبر خطيئة نقترفها بحق أنفسنا..

فتبا الصدق أبكى عيوننا..

وتبا لأمثالك خانوا قلوبنا ...

شمس منتصف الليل

أحبيبتك رغم قوتي..

فضعفت..

شمس منتصف الليل

هل سبق وأن تنفست ألمًا؟!

تتنهد مع كل زفرة كي تحرر ثقلاً يكتم على أنفاسك..

إلى أن تكتشف أن التنهيدة خلقت لتكون ذلك المخدر المؤقت لآلامك..

فكلما احترق قلبك أطفأته بتنهيدة ترجو منها أن تطفئ هذا الاحتراق للأبد...

بحثا عن خلاص لذلك الفتيل الذي يشتعل من تلقاء نفسه كلما هب نسيم الذكريات.

تلك الذكريات التي تحاول نسيانها ..

وتنسى أن الذكريات لا تُنسى..

بل تبقى كندبة في القلب تذكرك بالماضي..

فما عليك سوى أن تتنهد بهدوء وتتنفس ألمك بابتسامة كي لا تفقد روحك..

كما فقدتها أنا ..

شمس منتصف لليل

نصيحة:

إذا أحببت شخصًا...

فلا تظهره للناس...

شمس منتصف الليل

لو أني عرفتُ خاتمتي...

ما كنتُ قد بدأت...

شمس منتصف الليل

هل تعرف ما هو أقوى سلاح يقتل الإنسان؟! القلب الذي وثق به..

شمس منتصف الليل

❋❋❋

الاثنين..

العاشرة صباحًا..

مستشفى فانكوفر العام..

كانت مارثا تجلس على كرسي الانتظار والقلق والخوف يأكلانها، تنتظر خروج الأطباء من غرفة العمليات التي كانت والدتها ترقد على سرير إحداهن، تسير في ذلك الممر المحترقة بعض إنارته ذهابًا وإيابًا، تضع أذنها على ذلك الباب الحديدي الكبير بغية سماع ما إن اقترب طبيب للخروج منه، تفرقع أصابعها كل خمس دقائق، تنظر إلى الساعة المعلقة على الحائط وتحسب كم مضى من وقت انتظارها، فُتح الباب أخيرًا، خرج طبيب بدين ذو شعر أبيض ومعه طبيبة في منتصف عقدها الرابع، ركضت مارثا نحوهما بسرعة، كانت تحاول قراءة تعابير وجهيهما لكنها لم تستطع، أو على الغالب أن تعابيرهما كانت باردة وشاحبة قليلاً...

- هل أمي بخير؟! هل سارت العملية بشكل جيد ؟!

لم يجيبا..

- أيها الطبيب أخبرني أرجوك

ثم أكملت بصوت يختنق:

- هل أمي بخير؟!

أجابها أخيرًا:

- تعلمين أن والدتك مصابة بالانسداد الرئوي المزمن، وعندما أحضرتها إلينا كانت تشعر باختناق شديد لذلك قررنا إجراء عملية طارئة لها لاستئصال الفقاعة الهوائية، حاولنا أنا والطاقم الطبي قصارى جهدنا داخل غرفة العمليات، فوضع والدتك كان حرجًا لم ترد أن تسمع شرحه فقاطعته:

- هل أمي على قيد الحياة؟!

-بالطبع هي كذلك، لكنها منذ اليوم فصاعدا ستحتاج لاستخدام أسطوانة أوكسجين

سكت ثم وضح أكثر:

أن تحملها معها بشكل دائم

أكملت رئيسة التمريض:

- يجب عليك تأمين الأسطوانة لها دائمًا، فشعبها الهوائية تحتاج للأوكسجين، وإن انقطع عنها الأوكسجين فستسوء حالها جدا وسيؤدي هذا إلى وفاتها

صمت..

ثم جاء سؤالها كاسرًا لذلك الصمت

- هل سعر الأسطوانة باهظ؟!

- لا نعرف أسعارها فهي تختلف من شركة مصنعة لأخرى وبجودات مختلفة

قالت رئيسة التمريض محاولة تخفيف الحمل قليلاً:

- بالنيابة عني وعن طاقم التمريض سنتكفل بتكاليف أسطوانتين من الأوكسجين لوالدتك، واحدة ستخرج بها من المستشفى مستخدمة إياها، وأخرى ستكون معها في حال انتهاء الأسطوانة الأولى

قال الطبيب:

- لا تقلقي والدتك ستكون بخير طالما أنها تتنفس عن طريق الأسطوانات

أجابت بقلبها:

لكن ربما لا أستطيع تأمين مبلغها بشكل دائم

- ستكون والدتك تحت رعايتنا لمدة يومين للاطمئنان على صحتها وبعدها ستسمح لها بالمغادرة

ذهب الطبيب ورئيسة التمريض إلى مكاتبهما بينما جلست مارثا على أحد الكراسي مخبئة وجهها بين كفيها، فقد زاد همها أكثر وصار ألمها أكبر..

❋❋❋

(الانتقام الأخير)

عند منتصف الليل...

كان الطبيب جيلبرت يداعب خصلات شعر زوجته ديانا والتي كانت تخبره عن آخر مستجدات المستشفى، فديانا بصفتها رئيسة التمريض كانت بجعبتها موضوعات كثيرة تريد التطرق إليها، بينما كان الآخر يستمع لها بشكل غير مبالٍ...

- أشعر بالملل. قاطعها

- هل تعني بهذا أنني مملة؟!

لا ولكن الوقت غير مناسب لمثل هذه الموضوعات حبيبتي ديانا

- ماذا تريدني أن أقول لك كي تستمتع ؟!

- لا تقولي شيئًا، قبليني فقط

طبعت على خده قبلة دافئة :

- هذه لتبعد عنك الملل

- لقد فعلت بالفعل

- أجاب بخجل

- لكن خدّي الآخر يريد قبلة هو أيضًا. أكمل جملته بابتسامة خبيثة

ضحكت هي لحماس زوجها...

قبلت خده الآخر:

- وبهذا أكون قد أسعدتك

- أسعدتني بالفعل حبيبتي ديانا ولكن بقيت قبلة واحدة وهي الأهم

- وما هي هذه القبلة؟! سألت باستحياء

داعب وجنتها

- تعرفين ماذا أقصد عزيزتي

- أمممم لا أخبرني

- يا لك من مراوغة ماكرة

- هيا قل لي ما هي القبلة الأخيرة والأهم بالنسبة لك؟!

نظر إليها بعينين تملؤهما النشوة:

- سأريك إياها

أغمضت عينيها واقترب منها ببطء..

- هكذا يا حلوتي. همس

ما أن اقترب أكثر حتى أطفئت الأنوار فجأة..

- ما الذي يحدث؟! سأل نفسه

فتحت عينيها لتجد نفسها واقعة في ظلام دامس

- ربما هو انقطاع بسيط من شركة الكهرباء وسيعود بعد ثوان انتظرا عدة دقائق لكن بلا فائدة

فجأة سمعا صوت صرير باب يفتح..

لقد كان باب المنزل الرئيس، وها هو يغلق بهدوء.

وضع جيلبرت يده على فم زوجته كي لا تصدر أي صوت فأحدهم قد دخل منزلهما في هذا الظلام، كان قلبها ينبض رعبًا، فهي تخشى الظلام فكيف بمتسلل يسير وسطه...

- جيلبرت أنا خائفة. همست لزوجها

- اصصص لا تصدري أي صوت وناوليني هاتفك فهاتفي في غرفة النوم

- هاتفي هناك على المنضدة. أشارت بإصبعها إلى مكان ما. وسط الظلام

اللعنة رن هاتفها ليهدم هذا الهدوء..

ركض جيلبرت بسرعة نحوه مستدلا بالضوء الساطع من شاشته تاركا زوجته خلفه...

أجاب على ذلك الرقم الغريب

- ألووو

- الطبيب جيلبرت؟!

- نعم من معي؟!

- أنا من شركة الكهرباء، أعتقد أن هناك خللا بسيطا سيتم إصلاحه قريباً

- أرجوك ساعدني فهناك من تسلل إلى داخل منزلي

- لا أفهم ما تقوله سيدي

- أحدهم تسلل إلى منزلي فور انقطاع الكهرباء، أرجوك ابق معي على الخط واتصل بالشرطة فزوجتي خائفة

- وأين هي زوجتك الآن سيدي؟!

- هي... أخذ يبحث عنها هنا وهناك ولم يجدها..

اتسعت عيناه فجأة وصرخ في الهاتف:

- ليست هنا!! لقد كانت بجانبي أقسم لك!! لكنها اختفت!!

- حسنا حسنا اهدا يا سيدي سأتولى الأمر - كيف؟! لم يجب..

- ألو وو هل تسمعني؟! انقطع الخط ..

- ديانا أين أنت؟! صرخ

لا مجيب فقط صمت و ظلام..

رن الهاتف مجددًا، لقد كان الرقم نفسه..

- ألووو سيدي لقد اتصلت بالشرطة وبلغتهم عما يحدث في منزلك، لكن الآن أطلب منك أن تتجه لغرفة نومك

- غرفة نومي؟! لماذا؟!

- لا تكثر الأسئلة وافعل ما آمرك به. قال بنبرة تهكمية

- ومن أنت حتى تملي علي الأوامر؟!

- سيد جيلبرت اذهب إلى غرفة نومك الآن

- لن أذهب وسأنتظر الشرطة في مكاني ضحك صاحب الاتصال..

- ما المضحك يا هذا؟!

تغيرت نبرته فجأة وأصبحت أشد غلاظة:

- ألم تفهم بعد يا أحمق؟!

- أفهم ماذا؟!

- يا لك من طبيب فاشل، اتصلت بهاتف زوجتك وأجبتني أنت، قلت اسمك بدلا من اسم زوجتك صاحبة الهاتف، وبسبب الخوف الذي تعيشه لم تفكر كيف عرفت اسمك حتى، وتركت زوجتك في هذا الظلام وحدها. ضحك ضحكة مرعبة

- من أنت؟! صاح في السماعة

- أنا من سيأخذ روحك الليلة، لا الشرطة ستأتي لإنقاذك ولن يكترث أحد لأمرك

ارتعش جيلبرت خوفًا...

وما أن أراد إغلاق الهاتف والاتصال بالشرطة حتى صرخ ذاك المجهول

- إياك وإغلاق المكالمة وإلا فسأقتلع حنجرة زوجتك!!

جيلبرت جيلبرت أرجوك أنقذني من هذا المختل عقليا، هو يضع سكينًا حول رقبتي. صاحت ديانا

- دياااانا!!!! اتركها أيها المخبول، من أنت؟! ماذا تريد منا!!

- تعال إلى غرفة نومك الآن لترى زوجتك، وإياك أن تقوم بحركة غبية وتقفل الاتصال، هيا تحرك فزوجتك مشتاقة لك مشي ببطء نحو غرفته مستعينا بضوء الهاتف بقدمين مرتعشتين، دخل الغرفة المظلمة والخوف يدب في قلبه..

- أين أنت؟ لا أستطيع رؤيتك!!

أجابه صوت غليظ أتى من إحدى زوايا الغرفة:

- أنا هنا يا عزيزي

ثم أشعل مصباحًا كان يحمله، وجه ضوءه مباشرة نحو جيلبرت الذي أغمض عينيه من شدة سطوعه، غير وجهته ليشير به على نفسه وعلى رهينته، ديانا اتسعت عينا جيلبرت عندما رأى زوجته بتلك الحالة المخيفة، رجل مفتول العضلات يلبس قناعا أبيض وبيده سكينة يداعب بها عنقها ..

من أنت يا هذا!! ماذا تريد منا؟!!

- أنا آريز الذي سيخلص العالم من المجرمين أمثالكم، أمثالكم الذين يستعينون بسلطتهم ليخفوا أخطاءهم

عن ماذا تتحدث؟!

نحن أطباء ولسنا بمجرمين، من أرسلك إلينا؟! وكم دفع لك مقابل هذا؟! سأعطيك ضعفيه لكن اتركنا أرجوك

ضحك آريز بينما بدأت ديانا بالبكاء:

- أنا خائفة جيلبرت، لا أريد أن أموت

- لقد أرسلني شخص جعلتماه يعاني في حياته حتى فارق الحياة، شخص سأجعلكما تلتقيان به الليلة

- من تقصد؟!

أجاب بصوت حزين

- حبيبتي مارثا

- من مارثا؟! لا نعرف أحدًا بهذا الاسم، أنت مختل عقليا، فقط خذ ما تريده من المنزل واخرج أرجوك

- سأخرج لا تقلق ولكن بعد أن آخذ روحيكما

- جيلبرت افعل شيئًا إنه يضغط السكينة بشدة على عنقي

- مارثا الفتاة الرقيقة التي لم تكن تؤذي أحدا على وجه الأرض آذاها أمثالكما يا عديمي المشاعر، مارثا تلك الجميلة المفعمة بالحياة والأمل سلبتما منها حتى ابتسامتها، حبيبتي مارثا ...

قاطعه جيلبرت:

- قلت لك لا نعرف مارثا هذه

صرخ آريز

كانت مارثا ووالدتها تزوران المستشفى على فترات متراوحة، وفي مرة قررتما أن تجريا عملية لوالدتها المصابة بالانسداد الرئوي المزمن، وفي تلك العملية تحديدا حصل خطأ طبي ولا يعلم أحد به سوى من كان داخل غرفة العمليات، وأنت هو صاحب هذا الخطأ أيها الطبيب جيلبرت، فبسبب إهمالك ولا مبالاتك في إجراء تلك العملية حكمت على المريضة أن تعيش على أسطوانات الأكسجين للأبد

ارتعش جيلبرت فجأة فقد تذكر تلك الحادثة جيدا..

- وأنتِ يا رئيسة التمريض ديانا، هل تتذكرين ماذا فعلت في الغرفة؟! عندما أمرت طاقمك الطبي بالالتزام بالصمت وأن يتم التستر على هذا الخطأ الفادح، أعطيتهم المال والترقيات لكي يصمتوا جميعًا ولا يجرمكما القانون، لكني أنا من سيكون ذلك القانون الليلة وسأسلط عليكما عذابي

ساد الصمت فجأة..

وفي لحظة نطقت ديانا بصوت منخفض:

- كيف عرفت بهذا الأمر؟!

- سؤال جميل ديانا فليس كل من كان في غرفة العمليات بلا ضمير كأمثالكما،

بل كانت هناك ممرضة متمسكة بمبادئها ضمير وقسمها، هي من أخبرت مارثا بما حدث داخل تلك الغرفة وقالت إنها مستعدة لكشف أمركما لتساعد مارثا ووالدتها بأخذ حقهما القانوني، لكنكما كشفتماها عرفتما خطتها قبل أن تطيح بكما فجعلتما من حياتها جحيمًا واتهمتماهًا بأمور جعلت إدارة المستشفى تلغي عقدها وتفصلها منه

سكت ثم أكمل بصوت غاضب

- هل عرفتما من تكون مارثا الآن!؟

- اهدأ واسمعني رجاءً لقد كنت أجري العملية بش...

- اصصصمت صرخ آريز في وجهه

- لا تجعله يفقد أعصابه يا جيلبرت فالسكين ما زالت عند عنقي

وبحركة سريعة مفاجئة..

وضع آريز تلك السكين بيد ديانا ودفعها بقوة نحو زوجها، ثم أخرج مسدسا كان يحمله في بنطاله ووجه فوهته نحوهما:

- الآن ستبدأ باللعب، ستقاتلان باسم الحب، يجب على أحدكما قتل الآخر والنجاة من هذه الغرفة شخص واحد سيخرج منها حيًّا أعدكما بذلك،

شخص واحد فقط

أطلق آريز النار على الباب..

حاول جيلبرت الهرب من الغرفة تاركا زوجته خلفه لكنه توقف عندما رأى الرصاصة تخترق باب الغرفة أمامه...

- أتترك زوجتك وتهرب!! هل هذا هو الحب!! هل رأيت يا ديانا فزوجك لا يكترث لأمرك ولا يحبك، هيا اهجمي عليه واقتليه فهو يستحق الموت

كانت ديانا منهارة بالبكاء فقد تلفت أعصابها من شدة الخوف...

- هيا فقد بدأت اللعبة، أمامكما ثلاث دقائق فقط ليقتل أحدكما الآخر وينجو، إن انتهى الوقت ولم يمت أحد فستموتان جميعا بطلقة بالرأس، هيا هجووووم. صاح بحماسة

حاول جيلبرت الهجوم على زوجته لكنها صرخت عاليا..

- ابتعد عني!! أتريد فعلها!! أن تقتلني وأنت أساس هذه المصيبة التي حاولت إخفاءها لأنني أحبك!! تبا لسذاجتي وتبا لك

ركضت ديانا نحوه بعينين يملؤهما الغضب رافعة السكين في يدها تريد أن تطعنه بها ابتعد جيلبرت عن طريقها ثم حاول الهجوم عليها مجددًا ليستحوذ على السكين، لكن ديانا جرحت يده، تناثرت الدماء على الأرض التي جعلت آريز يشعر بالسعادة:

- هيا يا ديانا تستطيعين النيل منه افعليها واغرسي السكين في قلبه

هجم جيلبرت عليها كضبع ينقض على فريسته، حاول تثبيتها وأخذ السكين من يدها لكنها كانت تمسكها بإحكام، لكمها لكمة على وجهها، سال الدم من فمها وأنفها، حاولت غرس السكين في صدره لكنه وجه لها لكمة

أخرى ورفسها بكل ما يملك قوة على بطنها، اصطدمت ديانا بالجدار الخلفي ومن ثم قطت بشدة على الأرض كانت تتأوه الما والسكين مرمية بالقرب منها، أرادت أخذها لكن جيلبرت سبقها بذلك حتى أصبحت بحوزته أخيرا...

- بقيت دقيقة. قال آريز ببرود

انقض جيلبرت مجددًا نحو زوجته وحاول طعنها لكنها كانت تبتعد عنه في كل مرة إلى أن جرح ذراعها..

- استسلمي ديانا

- اصمت يا عديم الوفاء ثم ركضت نحوه بسرعة وبحركة لم يتوقعها أحد، سحبت الكرسي الذي كان أمامها والذي كانت تستخدمه كلما أرادت وضع مساحيق التجميل ورمته على وجهه ليرتطم به ويسقط جسده أرضًا، ركضت نحو السكين لكنه كان أسرع منها، فما أن أمسك السكين حتى هجمت هي على وجهه كي تجرحه بأظافرها الطويلة، طعن ظهرها عدة طعنات متتالية لكنها ما زالت تخدش وجهه رغم شدة الألم إلى أن غرزت أصابعها داخل عينه بقوة مما جعله يسقط السكين ويحاول إبعادها عنه، أخذت السكين والدماء تغطي جسمها الهزيل، وبحركة أسقطت زوجها أرضًا الذي كان يضع يديه على عينيه من شدة الألم..

عشر ثوان. عاد صوت آريز مذكرًا

قفزت فوق جسمه الهامد أرضًا، رفعت السكين عاليا:

- الوداع يا عزيزي

ثم سددت له عدة طعنات سريعة على صدره حتى شقت قلبه، سالت الدماء وأصبحت بركة حمراء أسفل الزوجين، ظلت ديانا تطعن زوجها حتى

بعد أن فارق الحياة وهي منهارة بالبكاء، توقفت ونظرت إلى يديها وثيابها المملوءة بدماء زوجها ودمائها، نظرت إلى عيني آريز بخوف الذي كان يبتسم لها...

- هل انتهى كل شيء؟! سألته بصوت خافت

- لقد كنت رائعة يا ديانا، كنت أخشى أن يقتلك هو لكنك فعلتها أخيرًا

- هل أستطيع الخروج الآن من الغرفة؟!

-لمَ هذه العجلة ألا ترين جمال المكان؟! دماء في كل مكان ورائحة الموت تعج في الغرفة

- أنت مختل عقليا

- بل أنا مريض بالفصام - ضحك بصوت مرعب - وهذا الشيء يسعدني لأنني وجدت صديقا وفيا لا يتركني أبدًا

- أريد الخروج. عادت للبكاء

- ما رأيك أن نتصل بالشرطة ونبلغهم عن جريمة قتل حدثت هنا ليأتوا ويلقوا القبض عليك؟!

ارتعشت فجأة عند سماعها فكرته..

- لا تخافي لا تخافي فأنا عند وعدي، قلت لكما إنه سيخرج شخص واحد من هذه الغرفة حيا هزت رأسها إيجابا ...

- وهذا الشخص سيكون أنا بلا شك وفجأة أطلق النار على رأسها لتسقط أمامه جثة هامدة على الأرض...

ظل آريز يضحك سعيدًا أمام منظر الزوجين، شعر بنشوة فـــرح تملأ

قلبه...

- ها قد أكملنا انتقامنا الأخير يا جوليان

- الآن سترقد حبيبتي مارثا بسلام

-نعم وسيعيش العالم بسلام للأبد

أجاب جوليان مصححًا:

- لا هناك فقط شخص واحد آخر أريدك أن تقتله آريز ومن ثم سيحل السلام للأبد

- من هو؟! أجاب بصوت يملؤه الحقد والكره يزن يا آريز، يزن

- سأقتله وسأفصل رأسه عن جسده ومن ثم سأرميه في البحر، لأجلك فقط ولأجل صديقتك تالين

- شكرا لك يا صديقي العزيز

- والآن أتى وقت هوايتي المفضلة لذا لا تزعجني رجاء ضحك جوليان

- لديك جسدان هذه الليلة تفنن بهما أخذ آريز السكين من على الأرض وبدأ يغرس اسمه كعادته على ظهر ضحاياه، ذلك الاسم الذي أصبح يخيف سكان المدينة..

خرج جوليان من المنزل لابسًا قناعه، أغلق الباب خلفه بهدوء ثم مشى..

لكن صوتًا شجاعًا صرخ خلفه بقوة مما أرعبه:

- آريز توقف مكانك وإلّا أطلقت النار عليك

التفت نـــحـــو ذلك الصوت ليرى رجلاً يحمل سلاحًا بيده، ذا بنية قوية،

لكنه لم يعرف من يكون فهو لم يره من قبل، وكيف عرف أنه هو آريز..

ركض جوليان محاولاً الابتعاد بسرعة، لكن الرجل أطلق النار عليه فاستقرت رصاصة في ظهره، ركض بسرعة أكبر والرجل يطارده ويقترب منه أكثر، أخرج آريز سلاحه وبدأ إطلاق النار عليه بشكل عشوائي حتى استطاع الفرار منه أخيرًا والاختباء بين أشجار الحي..

ضرب ذلك الرجل الأرض بقدمه غاضبًا ملقيًا بعض الشتائم، أخرج هاتفه واتصل:

- المحقق بيتر يتكلم، أحتاج إلى الدعم حالاً

❋❋❋

قبل ساعتين..

كان المحقق بيتر لا يزال جالسًا في مكتبه خلف طاولته العريضة متكئا على يده يفكر في خيط يدله على مكان آريز، ينبش بين بعض الأوراق، يفتح الملفات ويعيد قراءتها كأنه يعيد الحفظ، ينظر إلى خريطة المدينة المعلقة على الجدار، وفي وسط ذلك الهدوء رن هاتفه...

- كيف حال بطلي؟! قالت بصوت دافئ

آآآآآه يا وهج لا تعلمين كم كنت أحتاج لسماع صوتك الآن.

تنهد

- ما الخطب بيتر، صوتك يقلقني

سكت يفكر بما يجب عليه قوله بحذر، فهو لا يريد إخافتها ولا يريد أيضًا تسريب بعض المعلومات السرية الخاصة بالقضية:

- في الحقيقة أنا عالق بين أدلة قضية المجرم آريز، أحاول إيجاد خيط يدلني . عليه، أي شيء خفي، شيء بسيط يقودني لأي تقدم فالمجرم يلهو الآن بين الشوارع، وأنا أجلس مكتوف الأيدي خلف المسطح هذا

- لا تقلق، ستجد ذلك الخيط الذي تبحث عنه، أنا واثقة من هذا، وأثق بأنك تحاول قصارى جهدك للإمساك بآريز، فقط انظر أمامك، ولا تشغل بالك بما هو حولك فهو يشتتك أكثر

- شكرًا على دعمك لي يا وهج كلماتك أشعلت في قلبي وهجا كنت أحتاجه، سأبحث أكثر ولن يرتاح لي بال حتى أجد ما أريد. أجابها بصوت ينم عن ارتياحه

- هذا هو بطلي الذي أعرفه، سأتركك الآن تكمل عملك وإن احتجت لوهج آخر فاتصل بي. ضحكت

- يكفيني وهج واحد في حياتي، وهجك أنتِ

سكت ثم قال قبل أن يغلق الخط:

- أحبكِ

- أحبك

عاد بيتر يدقق من جديد بالأوراق التي بيده، يعيد كتابة الأدلة على شكل نقاط ليسهل عليه تحليلها...

1 - مجرم يقتل لأجل الانتقام

2 - ذو أصول يونانية

3- يحب تعذيب ضحاياه

4 - يقوم بقتل ضحاياه في ساعات متأخرة من الليل

5 - مريض نفسي ذو شخصيتين

6- جميع ضحاياه تربطهم منطقة واحدة كبيرة، سواء عمل أو سكن

7- جميع الضحايا اقترفوا ذنبا وجعلوا منه قاتلاً عاد

بقراءة النقطة السابعة...

- هل بدأت بالتعاطف مع آريز!!

شطب على النقطة الأخيرة..

تذكر نصيحة وهج الأخيرة : انظر لما هو أمامك ولا تشتت نفسك بما هو حولك، رفع رأسه عن الأوراق وأخذ ينظر أمامه، كانت الخريطة التي رسم عليها تلك الدائرة الكبيرة تنظر إليه أيضًا، يتأمل فيها، بل حاول التدقيق أكثر، يقرأ أسماء المطاعم والمقاهي والمحال التجارية التي تعود لتلك المنطقة، اتسعت عيناه فجأة، قام عن كرسيه ليركض متجها نحو الخريطة، ابتسم أمامها:

- يبدو أني وجدت خيطا يساعدني على الإمساك بك يا آريز

✵✵✵

- بيتر هل انت بخير؟! قالت الملازم جودي

- كنت سأمسك به يا جودي! لقد كان يقف أمامي تماما بقناعه الأبيض ذاك

- متمسك به لا تقلق فجميع الوحدات منتشرة بين الأرجاء، إنه جريح الآن ولن يستطيع الابتعاد من هنا بسهولة

أمسك مسدسه بقوة:

- لو أني أطلقت النار على رأسه، فذلك الوضيع يستحق الموت

- ليس من شيمنا ومبادئنا فعل هذا يا بيتر لقد فعلت الصواب عملنا هو إلقاء القبض عليه عدا هذا فهو من اختصاص الجهات الأخرى

أخذ ينظر إلى الفرق المنتشرة بحثًا عن آريز ...

- لكن كيف عرفت أنه سيكون هنا؟! ولـَم لم تخبرني أنك ذاهب للإمساك به؟! كان من الخطر أن تكون وحدك

- وجوده كان مصادفة، لم أتوقع أبدًا أني سأراه يقف أمامي بعد انتهائه من جريمته البشعة

استغربت جودي..

- لمَ كنت هنا إذا؟!

حك أرنبة أنفه:

في الحقيقة أني كنت أعمل في المكتب بحثًا عن دليل يقودني لآريز، وفجأة اتصلت وهج للاطمئنان علي، ثم نصحتني أن أنظر أمامي ولا أنشغل بما هو حولي، فعلت بنصيحتها وكانت تلك الخريطة أمامي، وصدقي ما وجدت

- ماذا؟!

- كانت الخريطة تدل على أنه لا يوجد سوى مستشفى واحد كبير يخدم المنطقة، مستشفى فانكوفر العام

- ما الفائدة من هذا الاستكشاف حضرة المحقق؟!

لا تنسي أن عدونا يعد مريضًا أيضًا، فربما قد ذهب يوما إلى هناك ليشخص حالته

تعجبت جودي من هذه الفكرة التي لم تخطر ببالها قط

- عندها تواصلت مع مدير المستشفى عينه وأخبرته بالقضية وسألته إن كان هناك شخص يرشحه لمساعدتنا

أكملت جودي جملته قائلة:

- رشح لك مقابلة ديانا رئيسة التمريض التي أصبحت جثة مستلقية داخل منزلها

- تمامًا، قال لي بأنها تعرف الكثير من أمور المستشفى السرية، والأمور الغريبة التي تسجل في سجلات المرضى

زفرت جودي:

- لقد كانت فرصتنا لكنه سبقنا إليها

- هي وزوجها كانا أحد ضحايا آريز، أي أنهما اشتركا بشيء ضده في السابق مما دعاه للانتقام.

- والآن ماذا سنفعل بعد أن عدنا لنقطة الصفر مجددًا، هل سننتظر معجزة؟!

أجابها بحزم:

- بل نحن من سيخلق تلك المعجزة

فجأة صاح أحد رجال الشرطة:

- أيها المحقق بيتر

- ماذا هناك؟!

- لقد وجدت شيئًا هنا على الأرض أريدك أن تلقي نظرة عليه التفت بيتر نحو جودي:

- يبدو أن المعجزة قد حلّت

ركض بيتر وجودي نحو تلك الشجرة التي كان يقف عندها ذلك الشرطي، أضاء الشرطي مصباحه الذي كان يحمله مشيرًا بضوئه إلى الأرض، كان هناك شيء يلمع بين الرمل والحصاء انحنت جودي قليلًا لرؤيته، أرادت أن تلمسه..

- توقفي يا جودي، ربما هذا الشيء يخص آريز، لا نريد أن نضيع بصماته هذه المرة

نظرت إلى بيتر مبتسمة:

- بل هذا الشيء يخصه تمامًا، انظر إلى بقعة الدماء التي بجانبه، لا بد أنه كان يختبئ هنا خلف الشجرة وسقط منه هذا الشيء أحضر الشرطي قفازًا

لبسه بيتر ثم أخرج تلك القطعة المعدنية التي كانت تلمع ...

- إنها حمالة مفاتيح. قالت جودي

- منقوش عليها: «جوليان ومارثا للأبد»

- اهو مفتاح منزل آريز ؟!

ضحك بيتر مصححًا سؤال جودي:

- هل آريز هو جوليان فعلاً؟!

- هل تعتقد هذا؟!

- و ربما مارثا هي من ينتقم لأجلها

- أعتقد أننا اقتربنا كثيرًا يا بيتر

- تمنيت معجزة فحصلت

- بل حبيبتك وهج هي من جعلتك تفكر بطريقة مختلفة لحل هذا اللغز، اشكرها نيابة عني

هز رأسه إيجابًا والابتسامة ترتسم على شفتيه:

- جودي عند الصباح أريدك أن تجعلي جميع الوحدات تسأل عن شخص يدعى جوليان في المنطقة، اسألوا عن مارثا أيضًا، واذهبوا إلى ذلك المستشفى وقوموا ببعض التحريات عن هذين الاسمين، ولا تنسي أن تجعلي التشريح الجنائي يقوم بتحليل البصمات على حمالة المفاتيح هذه

- لا عليك سأترأس هذه المهمة بنفسي

قال في نفسه قبل أن يترك مسرح الجريمة ويستقل سيارته :

- ماهي قصة جوليان ومارثا التي بسببها أزهقت تلك الأرواح؟!

- للعنة عليه من يكون ذاك؟! صرخ آريز

كان جوليان يقف أمام باب منزله، يبحث عن مفتاح المنزل في جيب بنطاله، لم يعثر في جيبه الأيمن، ولا الأيسر، بدأ يسأل نفسه مستنكرًا :

- أين أضعته!!

- ماذا؟!

- مفتاح المنزل يا آريز، كان هنا في جيبي

- لا بد أنه سقط منا عندما كنا نركض

بدأ جوليان يتحسس مكان الإصابة ويتألم، الدماء تلطخ قميصه من الخلف، ينظر إلى كفه التي امتلأت بدمه، ذهب إلى إحدى النوافذ المطلة على فناء منزله من الخلف، كانت نافذة المطبخ هي الأكبر من بين جميع نوافذ الطابق الأرضي لمنزله، بحث عن صخرة متوسطة الحجم بين قدميه، أمسك بواحدة وأخذ يرمي بها في الهواء عاليا ليقيس مدى ثقلها، كانت المناسبة في نظره، عاد ثلاث خطوات للوراء مستعدًّا لكسر زجاج النافذة، أخذ نفسًا عميقًا، شعر بوخز شديد في ظهره، رمى الصخرة بكل قوة حتى دوى صوت تكسر الزجاج وتحطم شيء ما داخل المطبخ، تسلق ودخل المنزل أخيرًا، نظر إلى تلك المزهرية التي كانت تحمل الورد المتعفن والذابل قد تحطمت، دخل دورة المياه وأخرج حقيبة الإسعافات الأولية وبدأ يحاول تعقيم الجرح، على انعكاس المرآة رأى الرصاصة مستقرة في الجزء الأيسر العلوي من ظهره..

- آآآه لا أستطيع، هذا يؤلمني جدًّا. صرخ

- اهدأ اهدأ، سنتجاوز هذا معاً

- ألا تشعر بهذا الألم يا آريز!! إنه يقتلني، اللعنة على ذلك الغريب

اهدأ سأساعدك في تخطي هذا الألم، لم أتوقع أن تصاب مكروه هذه الليلة، كل شيء كان يسير على ما يرام قبل خروجه

وبعد الكثير من الصراخ والعناء استطاع جوليان أن يخرج الرصاصة من ظهره ويعقم مكان الجرح ليلفه بعد ذلك بضماد يحميه من التلوث، استلقى على سريره منهكًا من هذه الليلة التي كادت أن تنهيه، كان مغمضًا عينيه يحاول تذكر ملامح ذاك الغريب، لكنه لم يستطع، ثم تذكر أنه أخيرًا أكمل ما أقسم عليه في تلك الليلة المأسوية، ليلة وفاة مارثا، ابتسم ابتسامة

المنتصر من الحرب، كمحارب عادت السعادة لقلبه بعد أن سلبت منه، بعد أن كان كرسام يرسم ابتسامة في وجه رسوماته وهو عابس، عاد ذلك الفرح لروحه بعد ظمئها...

❋❋❋

- نعم لقد فعلتها أخيرا، لقد انتصرت، أخذت بثأركِ حبيبتي مارثا، لترقد روحك الآن بسلام

صرخ بصوت مرتفع ..

هدأ قليلًا قبل أن تأتي صورة تالين الحزينة في مخيلته ليعود غاضبا مما فعله يزن بها :

- هل تفكر بما أفكر به يا آريز؟!

- يبدو أن ساعته قد حانت

- هذه المرة أنا من يريد قتله بيدي ضحك آريز

- أعتقد أن يديك اعتادتا على القتل

- أنت من كان يقتلهم، أما أنا فكنت أستدرجهم لك، هذه المرة أنا من سيقتله ويقطعه وسأحفر اسمي خلف ظهره

- يعجبني حماسك للقتل ولكن يجب قتله بطريقة غريبة وبشعة، هذا هو قانوننا في تطهير الأرواح الشريرة

- لا عليك سأجعل منه عبرة لغيره من الشباب بألا يجرحوا القلوب الرهيفة والصادقة

- أتمنى لو أن جميع الشباب مثلك أيها الفتى الرقيق ابتسم جوليان...

- لأصبح العالم أكثر جمالاً

- بالمناسبة متى ستقوم بجريمتك التي تشوقت لرؤيتها؟

- بعد غد، ما رأيك؟

- لماذا لا تكون غدًا؟!

- أريد أن أرتاح قليلاً، فاليوم كان عصيباً بالنسبة لنا

- لك هذا يا صديقي، بعد غدِ سنجعل من صديقتنا تالين أسعد فتاة عندما نزف لها خبر وفاة حبيبها السابق

- نعم فهي فتاة تستحق السعادة، تلك الروح الجميلة تستحق الراحة

- وهل سنقتله في منزله؟!

- نعم وسننتظره هناك إن لم يكن وقتها موجودًا فيه

- من الجيد أنك سألت تالين عن مكان إقامته كي يسهل علينا إيجاده

- نعم سألتها بمحض المصادفة، لكنها تحولت لقدر موته

- استمتع بيومك الأخير يا يزن فنحن قادمان لأخذ روحك ضحك الاثنان بصوت مرعب صدح في المكان..

صوت سمعه ذاك الطفل الذي كان يسير بجوار المنزل فركض إلى منزله هاربًا...

لقد كان صوت الموت..

هجرتك..

و هجرت معك الحب بأكمله..

يتمت قلبي بيدك..

فما عدت أنت ذاك الذي أحبه..

وما عدت أنا تلك الهوجاء التي تحبك ..

وكأني كبرت سنين بعد أن هجرتك..

حتى أصحبت أدرك أني قادرة على العيش بدونك..

على خلاف ما قد كنت أعتقد...

مكتفية بذاتي وغنية بنفسي..

فما أنت إلا ضيف ثقيل استضافه قلبي فأساء الآدب حتى طرده..

ولو عاد بي الزمن فسأقتلعه قبل أن يستضيفك..

فأنت ثقيل على قلبي مرهق لروحي...

وهجرك راحة أعيشها..

شمس منتصف الليل

لا تبك يا قلبي..

ولا تجعل الحزن يسكنك..

فمثل قلوبهم سوداء تترك..

ومثل قلبك أبيض عذب يُؤلَفٌ...

فلا تبال بفقدهم وإن..

عاهدوك على بقاء واكتفاء..

وقف أمامهم مبتسمًا فإنك...

قد تخلصت من سوء كان يتبعك..

شمس منتصف الليل

ألا يا نفس لا تشكي من حبيب قد آلمك ..

بل اشكي من قلبك الذي قد ضيعك..

ورماك في بحر مظلم إلى أن أغرقك..

فلا كل حبيب بحبيبه متيم...

ولا كل حب في الحياة صادق..

وإن طال الزمان أو قصر فتيقن...

إنك في طريق الحب لمفارق...

فلا تأمن لقلبك فإنه..

في درب الهوى لمضيعك...

شمس منتصف الليل

وفي لحظة صدقت قلبي وتبعتك..

أدركت بعدها أني أسير للمقبرة لأدفنني..

شمس منتصف الليل

هناك غصة أعجز عن ابتلاعها ..

كصخرة عالقة لا يحركها شيء..

تجرحني كلما أردت ابتلاعها..

وبسببها أنا أختنق..

شمس منتصف الليل شعور غريب..

أشعر بتحرر الكلمات مني..

فما كنت أخشى من قوله يوما..

أصبحت أكتبه بشجاعة هنا ..

لم أكن أعلم بأن الكتابة ستلهمني الشجاعة..

بل تجعلني أقف في وجه الحياة بقوة وصلابة..

فالكتابة أصبحت سلاحي الفريد..

ودرعي المنيع..

وسأحارب الحياة بها ..

شمس منتصف الليل

✵✵✵

(الشيزوفرينيا)

صباح جديد..

صباح بارد ممزوج بدفء أشعة الشمس..

كان الصباح مختلفا هذه المرة..

فالملازم جودي والمحقق بيتر يعدانه صباح انجلاء الأسرار والاقتراب من النصر، بينما كان جوليان واريز يعدانه صباح الانتقام الأخير، وتالين تعده صباحًا غريبًا فهو لا يريحها وتشعر بشيء بكتم صدرها لا تعلم لمَ استيقظت فيه، بينما وهج تعده صباحًا لطيفا لإعداد إفطارِ عربيٍّ برفقة أمها تينا لعائلتها الجميلة، وأمجد يعده صباحًا عاديًا للذهاب للعمل، بينما هو صباح مليء بالشجار بين يزن وإيميلي مما جعلها تخرج من منزله غاضبة..

كانت تسير جودي لخارج المستشفى بعد أن مكثت فيه قرابة الساعتين، كانت تحمل صورة أحدهم والابتسامة كادت تشق وجهها من الفرحة، توقفت وأخرجت هاتفها لتصور الصورة التي بيدها، أرسلتها لصديقها العزيز بيتر، وما أن أعادت الهاتف في جيبها حتى رن...

- كنت أعرف أنك لن تصبر ثانية ضحكت مجيبة لاتصاله

- هل حقا هذه صورة جوليان؟! كان يبدو على صوته الحماس

- بشحمه ولحمه

- وجهه يبدو عليه البراءة .

- أتفق معك، فظاهره لا يقول بأنه قاتل يتفنن بالتعذيب والقتل الوحشي

- ليس هو من يقتل لا تنسي هذا، بل آريز

- كلاهما الشخص نفسه يا بيتر، المحكمة ستلقي العقوبة على هذا المسكين وليس ذاك الشرير

- كم هو مخيف هذا المرض «الشيزوفرينيا» وكأنك متعلقة بخيوط كالدمية ليتحكم بك كيفما يشاء ومتى يشاء

- كأنك منوم مغناطيسيًّا، أو مسحور بتمتمة مشعوذ

- ما هي آخر المستجدات؟! سأل محاولاً قطع مشاعر التعاطف مع المجرم الذي يطارده

أخذت جودي نفسًا عميقاً قبل أن تبدأ بنشرتها الإخبارية:

- كما تعلم، وجدنا بصمات جوليان على حمالة المفاتيح وتم تطابقها بقضية انتحار، طلبت ذلك الملف المرتبط ببصماته، وكان سجله نظيًفا والكل يشهدون على حسن سلوكه، لقد كان الملف باسم مارثا، وعندما قرأته وجدت أن مارثا قد انتحرت أمام أعين الناس وبالأخص أمام عيني جوليان الذي حاول إنقاذها على كلام الشهود، لا أحد يعلم السبب الرئيس لانتحارها لكن الملف أقفل على أنها ضغوطات الحياة الصعبة

- يا إلهي ما الذي يجعل الإنسان محبطًا ومحطمًا حتى يجعله يلجأ للانتحار

- ضغوطات الحياة وفقدان الأمل بها

- أنا متيقن أن ضحايا آريز هم السبب الرئيس في هذا

- وما عساه أن يفعل غير الانتقام إذ لم يأخذ أحد حق تلك المسكينة

- أحيانًا تكون الحياة شريرة لدرجة أنها تتحدى الضعفاء على مقدرتهم بالعيش فيها، فهي ليست عادلة يا جودي، مهما حاولنا نحن أن نصنع العدالة، فهي أقوى من أن يتحكم بها أحد

- الحياة حية تتلون في كل ساعة ترفع بنا عاليا ثم تسقطنا أرضًا سكت ثم قال: والحب يا جودي يتحول للانتقام، بل بمنظوري أنا أرى أن الانتقام هو توأم الحب كلاهما يرتبطان بعضهما ببعض، فكلما كبر الحب كبر الانتقام معه، وحتى إن خذلك من تحبين ستكون أول أفكارك هي الانتقام وسيصبح القرار قرارك حينها، مع أي من التوأمين ستضعين يدك؟!

- لكن السيناريو هنا مختلف

- أعلم يا عزيزتي، هنا يكون الانتقام أشرس، لأن توأمه الحب قد فارق الحياة، عندها سيصرخ الانتقام بأعلى صوت مقهورًا وجريحًا بفقدان توأمه اللطيف الذي اعتاد وجوده، سيكبر الانتقام وحده مع الوقت حتى يصبح ناضجا كي ينتقم لتوأمه

- سيعمى قلبه قبل عينيه، سيكبر بالظلمة ويعتاد الصمت

- ليتحول لوحش قاتل مملوء بالكره تجاه كل العالم الذي وقف ينظر متفرجًا لوفاة أخيه

- شيء محزن جدا يا بيتر، العالم من يجعل من الضعفاء أشرارا

- بل نحن يا جودي، نحن

- كيف؟! سألت مستغربة

- لا عليك شيء ما في صدري أتحفظ به، أكملي وماذا وجدت

- سيصدمك ما سأقوله

- سكت ليسمع ما ستقوله جودي بوضوح...

لقد كانت والدة مارثا المتوفاة تراجع بهذا المستشفى، وعندما اخذت إذنًا بقراءة ملفها الطبي، وجدت أنها قد احتاجت إلى تدخل جراحي وقد كان على رأس الطاقم الطبي الذي أجرى لها العملية هما رئيسة التمريض وزوجها الطبيب، والمفاجأة هي انتكاسة حال المريضة للأسوأ بعد العملية مما جعلها تكمل العيش ما تبقى من حياتها على أسطوانات الأكسجين

- هذه المعلومة تربطنا بشيء آخر

- طلبت أن أقوم بتحقيق مع الطاقم الطبي الذي أجرى تلك العملية، وعندما أتت الموافقة حققت مع كل منهم على حدة، واعترفت إحدى الممرضات أنه قد حصل خطأ طبي بسبب الطبيب جيلبرت وأن زوجته حاولت التستر على الموضوع

- يا إلهي كم هذا بشع!! لقد نكثوا بقسمهم الطبي!!

- للأسف هذا ما قد حصل

- صرخ غاضبًا:

- ولماذا لم تقل هذه الممرضة هذا من قبل؟!

- لقد قالت كل شيء لمارثا، ولكن ديانا والطبيب جيلبرت طرداها من المستشفى وهدداها إن تكلمت فسيلقيان عليها التهم وسيجعلان الطاقم الطبي بأكمله يشهد ضدها

- اللعنة على أولئك الأشرار

- أعتقد أن مارثا قد أخبرت جوليان بهذا من قبل

- هذا أكيد، وهو الشيء الذي جعل آريز يقتلهما، بالمناسبة ألم تعرفوا مكان إقامته؟!

- لا ولكننا لا نزال نبحث لم يذكر أي شيء عن مكان إقامته في ملف مارثا، حتى رقم هاتفه المسجل مغلق أو ربما قد ألغاه بنفسه

- على الأقل بدأنا نفهم أخيرا قصة ذاك القاتل المجنون

- لم أفهم حتى الآن إن كنت متعاطفًا معه أو أنك غاضب منه.

قالتها مقهقهة

- يبقى اسمه مجرمًا، بل قاتلاً، وأنا لم أتعاطفً ولن أتعاطفً مع المجرمين أبدا، المجرمون هم من أخذوا روح والدي أمام عيني، وأنا الذي سيطهر المدينة من أمثالهم.

أحب شجاعتك حضرة المحقق أغلق الخط، ثم أكملت الملازم جودي طريقها لخارج المستشفى عائدة إلى مركز الشرطة مجددًا..

***

(جميعنا أشرار في رواية أحدهم)

عند المساء..

كانت تالين تشعر بالملل من يومها الذي لم تقم بفعل أي شيء فيه سوى النوم على السرير وعدم رغبتها برؤية أحد، نزلت على السلالم لرؤية ما الذي تفعله عائلتها في ذلك الوقت، كان أمجد يتابع نشرة المساء الإخبارية وحده، مشت بين أرجاء المنزل بحثا عن أمها وأختها لكنها لم ترهما، سألت والدها الذي كان وقتها ينظر إلى الساعة..

- أبي أين هي أمي؟!

التفت نحوها بهدوء:

- إنها في الأعلى مع وهج، أظنها في حجرتنا

- لم أسمع صوتهما عند نزولي، حسنا سأذهب لرؤيتهما

- تالين ناداها قبل أن تصعد السلالم مجددًا

- نعم أبي؟ سألها بصوت حنون ودافئ

- ما بك يا ابنتي؟!

تفاعلت نبضات قلبها مع سؤال والدها وتسارعت أكثر:

- ما بي؟!

لست تالين التي أعرفها، منطفئة وباهتة، أصبحت غير مبالية حتى بالجامعة علما أنها سنتك الأخيرة، أخبريني يا ابنتي ما الذي جعلك هكذا ؟

تنهدت:

- لا شيء يا أبي لا تهتم

- تكلمي، أريد أن أحمل هذا الحزن الذي في عينيك

- لا شيء صدقني، فقط أشعر بالملل، أشعر بضيق في صدري دون سبب، ليس لدي رغبة بشيء سوى الراحة، لا تقلق سأتجاوز كل شيء، فأنا ابنة أمجد

- كل ما أريده هو رؤيتك سعيدة

- إذا ما الذي تفعله الجميلتان في الأعلى؟!

- ما سمعته هو أن وهج ستصفف شعر والدتك بطريقة احترافية

- وهج!! ضحكت لا إراديًا

- نعم، هي من طلبت من والدتك هذا

- ولماذا؟!

- لقد دعوت والدتك لتناول العشاء في أحد المطاعم الكلاسيكية التي فتحت مؤخرًا بالقرب من بارك رويال، وعندما سمعت وهج ذلك قررت أن تهتم هي بشعرها كي تكون أنيقة أكثر

- ممم رائع، جميلة منك هذه المبادرة أيها الشاعري، فأنتما لم تخرجا منذ مدة في نزهة خاصة بكما

صعدت تالين فوجدت أختها تصفف شعر والدتها بحب ثرثرت معهما قليلاً محاولة تعويض الوقت الذي قضته اليوم دون الجلوس معهما، قبلت وجنة والدتها ثم عادت للأسفل وأخبرت والدها أنها ستتنزه قليلا بالقرب

من المنزل، إذ داعب ذاك النسيم البارد وجنتيها وبعض خصلات شعرها الأشقر عند خروجها، كان الطقس باردا قليلا، والحي هادئًا كعادته، سارت بين الشجيرات كما كانت تفعل عند طفولتها، تذكرت حلول الذي كان يسير امامها

باعتقاده انه سيحميها من كل شر قادم أمامهما، ضحكت وتمنت لو أنها ظلت مشاكل الصغيرة التي لا تحتمي إلا بحلول، وفي ظل نسيم الذكريات اللطيف وجدت تالين نفسها عائدة بالطريق هناك، إلى منزل حلول، رنت الجرس عدة مرات متتالية محاولة إزعاجه، عرف بيتر الذي كان يجلس في غرفة الطعام يدقق ملف آريز ويدرس نقاطا جديدة في القضية أن تالين هي من كانت عند الباب من طريقة رن الجرس، ما أن فتح الباب حتى قفزت عليه كطفلة واحتضنته...

- ماذا تفعل سيد حلول؟ أشعر بالملل قالتها وهي تدخل المنزل

- ممم لا شيء ممتع سوى أني منهمك في حل قضية آريز

- ألم تنته من حلها؟! أهو مجرم ذكي لهذه الدرجة؟!

ضحك موضحًا: لا أحد أذكى مني كما تعرفين ولكني هذه المرة الاحق مجر ما يمتلك شخصيتين شخصيتين؟! كيف؟!

- اكتشفت أن آريز مريض بمرض نفسي يدعى «الشيزوفرينيا» أو كما نعرفه بالفصام، أي أن هناك شخصية مجرم متوحش تسكن في جسد شاب ربما يكون طيبا ولكن الشر يتحكم به كدمية اتسعت عيناها عندما تخيلت تلك الشخصية:

- يا إلهي هذا مخيف!! كيف يصبح الإنسان بشخصيتين؟!

- قـــــد يتلقى المريض صدمات كثيرة في حياته مما يجعله متأثرًا بذلك،

ليست كأي صدمة يا تالين، صدمة من شدة وقعها على الشخص تجعله يصبح كالمجنون يحدث نفسه كثيرا ويهلوس

- ولمَ يقتل الناس!! لمَ لا يتعالج ؟!

أجابها وهو يدخلها إلى غرفة الطعام:

- هو لا يعرف أنه مريض، بل يعتقد أن ذاك الصوت الذي يحدثه هو صديقه المقرب الذي لا يثق إلا به، وآريز هو الشخصية الشريرة التي تريد الأنتقام من جميع من أوصله لهذه المرحلة، لقد فقد حبيبته التي أحبها أكثر من أي شيء أمام عينه، قررت الأنتحار بعد أن استسلمت للحياة

- آآه كم هذا محزن يا بيتر، أن يتحول المرء إلى وحش بسبب فقدانه من يحب لم تكمل جملتها حتى ارتعش جسمها عندما رأت صورة صديقها جوليان من بين أوراق ملف آريز، أمسكت الصورة بسرعة وتأملت فيها كأنها تحاول التحقق أكثر من ملامح من في الصورة

- بي.. تر. قالتها وهي مرتبكة خائفة ما بك؟!

نبضات قلبها تتسارع في كل ثانية:

- هل جوليان في خطر؟! هل آريز يطارده أيضًا؟! قل لي الحقيقة أرجوك ولا تخفِ علي شيئًا

كانت تنظر إلى شفتي بيتر بقلق، تنتظر خروج صوته، شعرت وكأنها صماء عندما رأت شفتيه تتحركان لكنها لم تستطع سماعه، كانت تفكر بصديقها جوليان أكثر، تريد الاتصال به وتحذيره من ذاك القاتل آريز الذي يلاحقه هو أيضًا، ارتعشت من فكرة أن قاتلا يقتل بوحشية يلاحق شاباً مسكينا ويائسا من الحياة...

- تاااليين!! صرخ بيتر وهو يهز جسدها محاولاً إرجاعها للواقع

- هاه. قالتها بوجه شاحب

- كيف تعرفين جوليان؟!

- جوليان صديقي

وضع يديه فوق رأسه مصدوما:

- جوليان صديقك!! كيف!!

- إنها قصة طويلة يا بيتر، لكن الآن علي إخباره بأنه في خطر ركضت نحو باب المنزل تريد الخروج لتحضر هاتفها الذي تركته في غرفتها يشحن، لكن بيتر أمسك يدها وشدها بقوة ليعيدها أمامه..

صرخ في وجهها غاضبا:

- تالييين!! كيف تعرفين جوليان؟! لماذا تجعلين الجميع يدخلون حياتك بهذه السهولة؟! لماذا لم تعودي تخبرينني بأي شيء يخصك كما كنا سابقا؟! أنا هنا لحمايتك أنت قبل أن أحمي من في المدينة

قال جملته الأخيرة وعيناه تمتلئان بالدموع..

استغربت تالين من ردة فعل بيتر الغريبة، لمَ يصرخ عليها الآن؟! لم كان عليها إخباره بجوليان؟! شخص مخذول ويعيش حياة بسيطة مع نفسه...

- بيتر أنت تؤلم يدي

- متى ستكبرين وتنضجين يا تالين؟! كفي عن كونك الطفلة مشاكل

- فك يدي أيها المعتوه

- تااليين!! أفيقي!!

نظرت إلى وجه بيتر الغاضب منها، لكنها ميزت تلك النظرة

التي في عينيه نظرة الخوف التي تراها كلما كان يحاول حلول إنقاذها، تتساءل لمَ هو خائف إلى هذا الحد؟! فآريز يطارد جوليان وليس إياها ..

نطقت أخيرا:

- تعرفت على جوليان بالمصادفة، كنت حزينة وحيدة أسير وحدي ذات مساء، كنت أتأمل البحر فوجدته يتأمله معي، تحدثنا قليلا فوجدنا أننا نتشابه كثيرًا، تعرفت عليه أكثر واتفقنا أن نصبح صديقين، نتقابل بين فترة وأخرى ليخفف كل منا هم الآخر

ترك بيتر يدها فاتحًا فاه غير مصدق لما سمعه..

سأل وفي حنجرته غصة حزن كبيرة:

- وأنا؟! أين كنت يا تالين؟! ألم أكن بجانبك؟! لماذا تذهبين للغرباء بدلا من أن أشاركك حزنك؟! أين هو ذاك العهد الذي تعاهدنا به؟! تالين ما الذي جعلك تتغيرين هكذا؟! ماذا فعلت أنا لأفقد ثقتك؟! أين هي مشاكل التي لا تثق بأحد سوى بحلول؟! مهما كبرت مشكلاتك فأنا الوحيد المسؤول عن حلها هل تفهمين!!

- لم أرد أن أحملك ثقلاً أكثر بيتر صدقني، نعم أنت الأقرب، وأنت الأحب لقلبي، لم يأخذ ولن يأخذ أحد مكانك صدقني، لكني كنت خائفة أيضًا، من مشاعرك تجاهي، خفت أن أكسر قلب أرق رجل عرفته، كنت أحب يزن وأعلم أن هذا كان يؤلمك صدقني تمنيت لو أنني لم أحبه قط فهو خطيئة أرجو من الرب غفرانها، لم أستطع مواجهتك وإخبارك أن يزن جرحني، كسرني، خان قلبي، مع من!! مع أقرب صديقة لي، إيميلي، شعرت بالخيبة

ولم أستطع أن أضع عيني في عينك وقتها، بينما جوليان كان الفض مخذولا مثلي، كان يحاول مساعدتي دون أن أطلب، شخص جيد

انتفض قلبه ألما مما سمعه، كان حزينا لما وصلت إليه، لقد كنت تتألم امامه كل يوم وهو لم يشعر بذلك، كره نفسه كثيرًا في تلك اللحظة، لكنه تمالك نفسه واستجمع كلماته أخيرًا:

- أنتِ لا تشبهين جوليان أبدًا

لم تنبس ببنت شفة..

- جوليان شخص خطير جدًّا، لهذا كانت ردة فعلي عنيفة قليلا عندما قلت لي إنه صديقك

- أنا أعرف جوليان جيدًا فهو لا يؤذي نملة

- هذا لأنك تعرفين شخصيته الأولى فقط

- لم أفهم ؟!

أخذ نفسا عميقا ثم قال لها ذلك الخبر الصادم

- تالين، جوليان هو نفسه ،آريز القاتل المتوحش الذي أطارده

- لا لا لا مستحيييل بيتر قل لي إنك تكذب أرجوك. قالتها والخوف يدب في قلبها

- تالين، لقد كنت تجلسين مع قاتل يخافه كل من في المدينة وتخبرينه بأمورك العاطفية وأسرارك الشخصية

- لقد كان لطيفا جدا معي، بل كان حنونا لدرجة أني شعرت بصدق مشاعره

- لقد كانت شخصيته المسالمة يا تالين، الشكر للرب الذي لم يجعله يخرج بشخصية آريز أمامك ولم يصبك أي مكروه اقشعر جسمها ثانية

- لا أصدق أني وضعت رأسي على كتف مجرم مخيف يقتل بوحشية قال بحزم

- هل تعرفين أين يقع منزله؟! أو أي شيء يدلني عليه؟!

- لا، فقد كنت أقابله عند أحد الجسور، كنا نجلس هناك معا بالساعات

- أريدك أن تطلبي منه المجيء لذلك الجسر، سنقوم بكمين كي نمسك به أخيرا

- ولكن بيت..

قاطعها :

- افعلي ما أطلبه منك فقط تالين، ثقي بي، أنت بهذا ستنقذين العالم من مجرم خطير طليق

أومأت برأسها إيجابًا...

ذهبت لمنزلها لتحضر هاتفها وتعود، لكن في تلك اللحظة بالذات، عندما فصلت هاتفها عن سلك الشاحن، حصل ما لم يكن في الحسبان، وجدت رسالة واردة من جوليان قد وصلتها قبل نصف ساعة

«صديقتي الغالية تالين..

يا ذات الصوت الساحر، يا ذات القلب النقي..

اليوم سأعيد لك ابتسامتك الجميلة التي سلبت منك..

سأعيد لك كرامتك التي أهانها ذاك المغفل..

سأجعل منه عبرة لغيره من الرجال كي لا يفكر أحد بأذية فتاة رقيقة مثلك لا تملك من ينصرها ...

فلا تجعلي أولئك الحمقى يسقطون دمعة واحدة من عينيك فهي غالية جدًّا على قلبي..

كوني بخير..»

أعادت قراءة الرسالة، مرة مرتين

- يا إلهي هل سيقتل جوليان يزن بسببي؟! اتصلت بيزن لتحذره مما هو آت له لكن هاتفه كان مقفلاً

اتصلت بجوليان لتوقفه عن فعل أي جريمة، رن هاتفه لكنه لم يجب، ركضت بسرعة نحو منزل بيتر كانت تلهث عندما دخلت عليه

- بيتر ساعدني أرجوك تصرخ قفز من مكانه

- ماذا حدث؟ تكلمي!

ناولته هاتفها:

- انظر ماذا أرسل لي جوليان قبل نصف ساعة

قرأ الرسالة ثم نظر إليها:

- سينتقم هذه المرة لأجلك، آريز سيقتل يزن

- جوليان لا يجيب على اتصالاتي ويزن مغلق هاتفه، أرجوك لنفعل شيئًا قبل أن تحصل الكارثة

حينها بكت تالين لا شعوريا، لكن بيتر لم يعرف لم ذرفت دموعها، أهو خوف على يزن الذي آذاها، أم قلق على جوليان الذي جعلت منه صديقا

لها...

- لا تقلقي يا تالين سأطلب دعما وسأذهب لمنزل يزن بنفسي

- لا بل سأذهب معك والآن

- لن ألقي بك إلى التهلكة، ستذهبين لمنزلك وتنتظرين مني اتصالا صرخت - سأذهب معك، هيا ليس لدينا وقت ركضت للخارج كالمجنونة إلى سيارة بيتر الذي لم يستطع منعها من المجيء فلا وقت أمامه خاصة بعد ما رأى نوبتها الانهيارية تلك، ركبا السيارة وداس بأقصى سرعة باتجاه منزل يزن

✵✵✵

- يزن يزن يزن يا لك من معتوه قال جوليان وهو يرن جرس المنزل

فتح يزن الباب ليرى ذاك الشاب المفتول العصبان واثقا أمه مبستمًا في وجهه...

- مرحبا؟!

- سيد يزن؟!

- نعم

- أنا جوليان صديق تالين، جئتك بموضوع هام يخصها

أخذ نفسا عميقا ثم أجابه:

- تالين حكاية انتهت بالنسبة لي، أقفلت الباب خلفها لذا لا تتعب نفسك

سيد جوليان، وداعًا

حاول إغلاق الباب لكن قدم جوليان منعته

- عذرًا يزن لكن الأمر أكبر من كونها حكاية وانتهت، بل هناك كرامة في المنتصف قد سُلبت

أعاد جوليان فتح الباب بقوة ثم وجه له لكمة قوية في وجهه جعلته يفترش أرضًا، دخل المنزل وأغلق الباب خلفه، أخرج مسدسه وشهره في وجه يزن..

- ماذا تريد مني؟! أرجوك اتركني وسأعطيك ما تريد

ضحك ضحكته المخيفة:

- أريد روحك !

- من أنت؟! هل استأجرتك تالين كي تخيفني؟! قل لها إني لا أخاف التهديد. صرخ خائفا

ابتسم جوليان بخبث:

- تالين لا تعلم أنك هالك اليوم، وإن لم تكن خائفًا فلماذا أراه في عينيك وأسمعه في رجفة صوتك؟

- أنا لم أفعل لها شيئًا، اتركني أرجوك

- أنت فقط كسرت قلبها جرحت مشاعرها، دست بكرامتها على الأرض

-كنت أحبها ولكني اكتشفت أنه لم يكن حبا بل مجرد . إعجاب، ما ذنبي إن كان قلبي لا يحبها؟

- ولماذا أوهمتها بالحب يا لعين؟ لماذا استمررت في خداعها حتى تمسكت بك بجميع جوارحها؟

تنهد قليلا ثم قال:

- حاولت إخبارها لكني خفت من ردة فعلها، خفت أن أجرحها بعد ما وهبتني ثقتها صدقني

- كاذب خبيث لماذا كنت تخونها مع أقرب أصدقائها، مع إيميلي، ألم تخف من صدمتها؟! كانت الصدمة صدمتين عليك اللعنة، بسببك أصبحت مهشمة من الداخل تبحث عن الأمان، كنت أول رجل أحبته، ألا يكفيك شرف كهذا؟! هل انت قريبها؟ هل شكت إليك عني؟!

- بل انا من سيعيد لها سعادتها بعد وفاتك، سأجعل منك عبرة الغيرك

صاح يزن خائفًا:

تركت إيميلي إلى الأبد، أقسم لك أني تركتها هذا الصباح، تشاجرنا ومن ثم قررنا الانفصال

قال جوليان ساخرًا:

- بالك من حيوان يسير خلف رغباته فقط، مؤكد أنها اشمأزت منك أيضا، فأنت شخص يدعو للاشمئزاز

- أبعد عن وجهي هذا السلاح، أتوسل إليك

- يبدو أنك لم تفهم ما سيحل بك هذه الليلة

صحح آريز جملة جوليان:

- بل بعد قليل

- أرجوك أرجوك اتركني حيا

- محرم عليك أن تعيش بيننا، فأنت الخطيئة وأنا من سيطهرها نظر إلى ضحيته بانتصار ولأول مرة يقول جوليان:

- أنا جوليان أسلط عليك عذابي

ثبت كاتم الصوت على فوهة مسدسه ثم أطلق النار على قدم يزن اليمني حتى بدأ بالصراخ والبكاء من شدة الألم، كانت دماؤه تسيل على أرضية منزله الرخامية، صرخ طالبا النجدة من جيرانه لكن ما من مجيب، كان جوليان يستمتع برؤيته يتألم ويتلوى أمامه، أعاد رفع مسدسه مرة أخرى في وجهه...

- لاا لااا لاااا

ظل صامتا مشيرًا بسلاحه تجاه ضحيته، يحاول بذلك أن يدب الرعب بقلبه في كل ثانية تمر، وفي وسط تلك الصيحات والنداءات والتوسلات، أخذ جوليان يتأمل المنزل من الداخل بكل برود، عندها حاول يزن أن يستجمع بعض قوته ليقف بقدم واحدة ويهرب، ولكن ما أن وقف حتى أطلق جوليان طلقته الثانية على سافه اليسرى، سقط يزن مجددًا على الأرض...

- اقتلني اقتلني ولا تعذبني هكذا. كان يجهش بالبكاء من شدة الألم

- ليس بعد عزيزي يزن ما زلنا في البداية، تذوق طعم العذاب الذي تذوقه من كانوا قبلك من يدي

- أرجوك اقتلني فلم أعد أقوى على التحمل، أتوسل إليك

- هذا ما كان يجب عليك قوله منذ اللحظة الأولى التي رأيتني فيها أمامك،

تتوسل لأقتلك وأحرر روحك النتنة من جسدك البالي

رفع سلاحه مجددا في وجهه

- أين تريدني أن أطلق هذه المرة؟! هل ترى كم أنا طيب القلب؟! أسأل ضحاياي قبل إعدامهم

- قلبي قلبي، أطلق النار على قلبي فهو يستحق أن تخترقه رصاصتك، هيا بسرعة

- هل سمعت يا آريز، يريدني أن أقبض روحه بهذه السرعة

- لا تفعلها بل أطلق النار على كتفه الأيسر توقف جوليان مستغربًا

- ولكن يا آريز ألا يجدر بي أن أقطع يديه بالسكين وهو حي؟!

كي نفوز بلوحة جميلة يملؤها العنف والدم المتناثر؟! .

- ستكون لوحة جميلة إن فعلتها بلا شك، خاصة أنها ستحمل اسمك هذه المرة خلف ظهره كتوقيع فنان تشكيلي

فجأة طرق الباب بقوة، كاد يكسر من شدة الطرق، تعرف جوليان ويزن على ذلك الصوت الذي كان يصرخ، بل كانا يعرفانه جيدا..

- جوليان افتح الباب أرجوك، أعلم أنك بالداخل

- تالين النجدة هذا المخبول سيقتلني. صرخ يزن

صفع جوليان يزن بقوة مستخدما سلاحه مما جعل ضروسه الجانبية تتكسر، نزف فمه الكثير من الدم، كان الباب صامدًا في وجه تخبيط تالين، لكنه بدأ بالتخلخل عندما أصبح أحدهم يركل الباب بقوة تيقن أن تالين لم تكن وحدها في الخارج...

- افتح الباب يا آريز وسلم نفسك فأنت محاصر من كل الجهات ولا يوجد

مكان للهروب. صرخ بشجاعة

اتسعت عينا جوليان عندما سمع نبرة ذلك الصوت الذكوري القادم من خلف الباب لأول مرة يتوتر جوليان في مسرح جريمة يرتكبها، بل حتى آريز كان متذبذبًا مرعوبًا :

- إنه هو بلا شك، ذاك الصوت الجهوري لن أنساه أبدًا، تحسس مكان إصابة ظهره

مسك جوليان رأسه يصرخ محدثا نفسه بتوتر :

- لماذا أتيت الآن يا تالين لماذا!! ولم ذاك الرجل معك!! أنتِ بجانب من؟! كل ما أفعله الآن هو لك

- يبدو أنها غدرت بنا يا عزيزي جوليان، تقبل الأمر، قلت لك أن تبعدها عن حياتنا لكنك جعلتها صديقتك عوضًا عن الأخذ بنصيحتي، قلت لك إنها تضعفك لذا أردت قتلها بنفسي

- اسكت اسكت يضرب رأسه بكلتا يديه بطريقة هستيرية

- جوليان افتح الباب أنا تالين صديقتك، أرجوك لا تؤذه إن كنت تريد الانتقام لي

فجأة كُسر باب المنزل وسقط بقوة على الأرض، صوت خطواتهما تدخل المنزل، كان بيتر يسير بحذر شديد حاملاً سلاحه وخلفه تسير تالين متشبثة بظهره التفت يمنة ويسرة لكنه لم يجد أحدًا، سار قليلاً للأمام لكنه توقف فزعًا عندما صرخت تالين خائفة

- انظر انظر هناك دماء كثيرة بجانب ذلك المدخل. أشارت بيدها

- انتظريني هنا ولا تتحركي مفهوم!

- لا أصدق لا أصدق أنه فعلها. سقطت دمعة من عينها

- أصصصص لا تصدري أي صوت

سار باتجاه تلك الدماء بحذر شديد، كانت خطواته بطيئة وعند كل ثانيتين يلتفت خلفه ليتحقق من سلامة تالين، ما أن وصل المكان حتى لاح وجه يزن المتعب مستلقياً على الأرض وسط بركة من دمائه، كان فاقدًا الوعي بلا حركة، ركض بيتر نحوه ليتحسس نبضات قلبه عرف أنه لا يزال حيًّا لكنه في حالة حرجة تمامًا، رأى جسمه الملطخ بالدماء وعرف أنه قد أصيب برصاصتين وتم لكمه أكثر من مرة حتى تهشم وجهه، أخرج هاتفه بسرعة واتصل بالإسعاف، وبحركة سريعة أخذ قطعة قماش رآها مفروشة على الأرض بجانبه، وضعت لإعطاء المكان منظرًا أكثر جمالية شق القماشة إلى نصفين مستعملاً قوته، قام بلف كل منهما على مكان إصابة ليوقف النزيف، ما أن وقف على ساقيه حتى سمع صوت تالين تصرخ مستنجدة:

- اتركني، جوليان ابتعد عني ماذا تفعل، بييتر ساعدني

دب الرعب في قلبه، لقد كان صوت مشاكل تصرخ رگو عائدًا لها فوجدها

مكبلة بحبل حول خصرها وذراعيها يعيقان الحركة وخلفها شاب مفتول العضلات يحاول إغلاق فمها، لقد رآه أخيرًا بلا قناع يقف أمامه وينظر إليه بعينين يملؤهما الغضب عيني قاتل غاضب لم يكمل جريمته..

- اتركها يا آريز وشأنها فهي لم تفعل لك شيئًا. رفع السلاح في وجهه

- جوليان فك قيدي رجاء. كانت تحاول التخلص من الحبل شد على الحبل وصرخ:

- أنا لست جوليان يا أيتها الحمقاء، أنا آريز الذي يكرهك أنت جعلت صديقي ضعيفًا بعد ما صنعت منه قاتلا يهابه الجميع، كم كنت أود قتلك

يا ذات الشعر الأشقر فرائحة دمك تغريني

ثم نظر إلى وجه بيتر الواقف أمامه وعيناه ممتلئتان بالشر:

- اسمك بيتر إذا كان تصويبك رائعًا المرة الماضية، لكن هذه المرة سأجعلك تبكي أمامي تطلب غفراني

وضع آريز مسدسه على رأس تالين وبدأ يضحك بطريقة أخافتها...

- اتركها وإلّا أطلقت النار عليك، هي لم تفعل لك شيئًا، بل كانت الوحيدة التي رأت جوليان من الداخل

- آريز لا تؤذها فهي صديقتي مهما فعلت. يصرخ جوليان

- اسكت أنت ولا تتفوه بأي شيء يا ضعيف، هي من جعلتك بهذا المأزق ألا ترى!!

- جوليان سيطر على نفسك، كن أقوى منه. تبكي تالين

- عليك اللعنة يا آريز اتركها وإلا قتلتك. صاح بيتر وهو يتقدم خطوات صغيرة

- عد إلى الوراء وإلا قتلتها، فأنا لا أملك ما أخسره صدقني

- لديك جوليان صديقك، تقول تالين

- لا تتكلمي أكثر فأنتِ تشوشين تفكيره وتجعلينه أضعف، أنا المتمرد وأنا المتحكم بهذا الجسد، أنا من جعل منه كياناً قوياً

أطلق آريز رصاصة على بيتر عندما رآه يتقدم، لكن بيتر تفاداها بحذر، صاحت تالين باكية:

- بيتر لا تتحرك أرجوك لا أريد أن أخسرك أنت أيضًا، أنا بخير اهدأ ولا تخف، أعرف ما الذي يشعر به قلبك الآن فأنا أستطيع سماعه

سحب آريز تالين معه إلى الخلف محاولاً الخروج من المنزل، كان آريز يتمتم مع نفسه كثيرًا، كانت خائفة لكنها حاولت أن تتماسك لأن بيتر يقف أمامها ولا تريد إخافته أكثر، جاء صوت صفارات الإنذار من بعيد، كان يقترب الصوت أكثر فأكثر مما جعل آريز يرتبك أكثر فهو سيكون في معركة خاسرة أمام جيش من رجال الشرطة..

- سأنقذك منه لا تخافي يا مارثا. همس جوليان في أذن تالين

- أقصد تالين. قال مصححًا وهو يحتضنها من الخلف قبل رقبتها بلطف وقال:

- أحبك تالين - وبحركة سريعة غير متوقعة دفعها للأمام باتجاه بيتر الذي ركض ليسك بها قبل أن تسقط أرضًا، عندها هرب جوليان إلى خارج المنزل بكل خفة وسرعة، كان يركض باتجاه الأشجار الكثيفة، المكان: مظلم هناك، يركض ويركض، الدموع تتطاير من عينيه، يصرخ، محدثا نفسه بحزن ثم يعود غاضبا ومن ثم يضرب ورأسه ليوقف ذالك الصوت عن الحديث معه، ركض حتى اختفى أثره

***

المكان بارد فوق ذلك التل الهادئ...

كان هادئًا رغم طوفان المشاعر الذي يجتاح أرضه وسط ظلمة الليل وأمام مرأى القمر...

فيض من المشاعر احتل أرجاءه دون هدنة..

كان يقف أمامها ممسكًا يديها النحيلتين، ينظر إليها بحزن وبرأسه تساؤلات كثيرة، تتحسس وجهه وتداعب خصلات شعره المنسدلة على عينيه، كانت رقيقة كعادتها، فاتنة في جمالها ...

قال جوليان بخيبة أمل:

- قولي إنه ليس صحيحًا أرجوك، قولي إن ما سمعته كان خاطئًا

أجابت تالين والغصة تأكل حنجرتها :

- إن هذا صحيح، وأكره نفسي عندما أقولها، لقد كان خطأً

- هل حبك لي كان خطأ!!

- لا أقصد ذلك، أحبك كصديق جوليان، لكن ليس بالطريقة التي تريدها أنت أمسك بكتفيها متأملا وجهها الحزين

- أنت ليس لديك أي فكرة عن مدى حبي لك تالين، لا تعرفين معنى أن يضحي أحدهم لأجلك فقط، أن يفضل الموت على أن يؤذيك

- أنا آسفة جوليان، أعرف مدى حبك لي، لكنك صديقي

أجاب مصححًا:

- أنت لا تعرفين كم أحبك، فهو شيء يجب علي تجاوزه على اية حال

- هل ستتركني هنا وحدي؟!

- بل أنت من يجب عليك تركي، اذهبي بعيدًا واتركيني أنا وسط هذا الظلام فهو يناسبني أكثر

شعرت بالأسى على حاله.

- اذهبي عزيزتي تالين، أشيحي وجهك البريء عني

- سأذهب، لكن هل تريد مني شيئًا أخيًرا؟!

- اعتني بنفسك، كوني بخير

اومات برأسها إيجابًا وابتسمت له بلطف، أدارت ظهرها و مشت في طريقها للاتجاه الآخر، كانت تبتعد عنه أكثر فأكثر، ينظر إليها من بعيد وقلبه متقطع لفراقها، لم يتحمل هذا البعد فركض يلحق بها، ركض بسرعة كأسد يطارد فريسته، حتى اقترب منها، إلى أن لمس كتفها، وبحركة سريعة خاطفة وقبل أن تلتفت، أخرج سكيناً كان يحمله في جيبه، ثبت جسدها بقوة ومن ثم لف السكين على رقبتها ونحرها، سقطت تالين أرضًا وسط بركة من الدماء...

- قلت لك إني سأقتلك أيتها الشقراء، فإن لم تكوني لصديقي جوليان فلن تكوني لأحد آخر غيره

ثم ضحك آريز ضحكته المرعبة بهستيرية كبيرة..

- لماذا يا آريز لماااااذا!!!! يصيح جوليان وسط نوبة هلع

أراد الانتحار هذه المرة من أعماق قلبه فركض نحو حافة التل ونظر أسفله ليرى كومة الصخور التي تنتظره، تناديه ليقفز عاد للوراء قليلا استعدادًا للذهاب للحياة الأخرى...

- ماذا تفعل يا مجنون ؟!ستقتلنا جميعا

- هذا ما كان يجب علي فعله منذ البداية، كان يجب علي قتلك أنت آريز، هذه نهايتك فلتستعد للفناء

ثم ركض مسرعًا باتجاه الحافة وقفز بشجاعة في الهواء ومن ثـم سقط

بقوة نحو الصخور فارتطم جسده بها وتهشم رأسه..

وفجأة مع ارتطامه الذي دوى صوته أسفل التل..

قفز من فراشه فزعا..

بدأ يتحسس جسمه ورأسه وكأنه يتحقق من كونه لم يفقد شيئًا من أعضائه، ابتلع ريقه ثم سكب لنفسه كأسا من الماء كان موضوعا على المنضدة القريبة من رأس السرير، أخذ نفسا عميقا ثم عاد للنوم مجددًا متمنيا ألا يحلم بشيء هذه المرة..

***

خلق الحب للضعفاء..

وخلقت العزلة للعظماء...

آريز

أما زلت خائفا ...

من الاعتراف بهزيمتك؟

هزمك ذاك المدعو بالحب وكسرك...

لا بأس فجميع العشاق مهزومون..

وما أنت إلا ضحية جديدة له...

استدرجك كما استدرجهم..

استأمنته على قلبك المسكين وصدقته..

وهذا خطأ العشاق الحمقى أمثالك ..

الهائمين بأحلام وردية...

يمنحون قلوبهم الصادقة للحب..

فيتلذذ هو بتعذيبها إلى أن يكسرها دون رحمة...

ويصبحون بعدها خائفين مكسورين تائهين وحدهم..

نعم هزمك هذا الحب..

وهزمني أنا ..

فلا تخف ..

شمس منتصف الليل

أعلم جيدًا أنك لن تستطيع نسياني..

فأنا شخص لا أُنسى أبدا..

ربما ستنسى لفترة.. لكنك لن تنسى..

لأنك لن تجد شخصا ضحى لأجلك مثلما فعلت أنا...

شخصا قدم لك كل ذلك الكم من الحب كما فعلت أنا..

ستتذكرني في وسط الزحام..

ستسمع صدى صوتي في ليلة ما هادئة...

ستتألم على فراقي وتتمنى رجعتي...

لكن عندها سأكون قد أقفلت باب قلبي في وجهك..

ستجدني أبتسم للحياة..

فمنذ رحيلك أيقنت أني أقوى مما ظننت..

و أن أمثالك يحتاجون لأمثالي كي يصمدوا في وجه الحياة..

فنحن المخذولين نصبح أقوى بعد رحيلكم..

على عكسكم تمامًا تصبحون مشتتين دوننا...

لذا أقولها لك بأعلى صوت:

لن تستطيع نسياني..

فأنا شخص لا أُنسى أبدا...

شمس منتصف الليل

نحن الأوفياء بالحب..

المخلصين لمن نحب..

نمتلك قدرة على امتصاص حزننا..

الذي خلفه الماكرون أمثالكم..

ونحوله لقوة تسمى الأمل..

نحارب بها كل آفة و ابتلاء...

كابتلائي بك..

شمس منتصف الليل

أصرخ بأعلى صوت..

لقد تحررت منك..

تحررت من تلك الأفكار المزعجة..

تلك الذكريات التي كانت تؤذيني..

عدت للحياة مجددًا بعد ما كنت أسيرة للوهم..

تجاوزتك أخيرا...

وهذا أجمل انتصاراتي...

شمس منتصف الليل

أتظن أني سأبكي على فراقك أعوامًا؟!

كنت أسير في الحياة دونك..

فرافقتني على الطريق نفسه..

وها أنا أسير مجددا دونك..

مكتفية بذاتي سعيدة بوحدتي..

شمس منتصف الليل

كن ذلك الشخص الذي يواسي نفسه..

ذلك الشخص المكتفي بذاته..

والذي يقول : نعم أنا أستحق الأفضل

الذي يتداوى ذاتيا بكلماته..

والذي لا يحتاج أحدا لمساعدته..

فهو لنفسه كل شيء..

شمس منتصف الليل

تيقن أنه مهما كنت مهما بالنسبة لي..

ومهما كنت محلقا في سمائي..

مستصبح لا شيء بنظري..

بمجرد أنك جرحت قلبي..

فقلبي يهمني أكثر منك..

وأنا أولى به منك..

شمس منتصف الليل

لا أقول وداعا..

ولكن..

أهلا بك في جحيم دعواتي..

شمس منتصف الليل

نضجت..

لدرجة أني لا أريد شخصا جديدا في حياتي..

فأنا لأول مرة أريد أن أكون وحدي..

لأني مكتملة بمفردي ولا أنتظر شخصا كي يكملني..

سعيدة بنفسي وأريد أن أكمل طريقي وحدي..

لأني ببساطة...

نضجت..

شمس منتصف الليل

وجدت هذه الورقة في شارع أحد الأحياء تطير في الهواء وحيدة باحثة عمن يقرؤها ويوصلها لوجهتها الصحيحة..

نفس عميق..

شهيق وزفير ..

محاولة للاعتراف بجرم اقترفته يداي بحقك.. بحق نفسي.. كنت قد تركتكِ عند منعطف الطريق بلا جواب.. تنظرين إلي كطفلة تخاف الوحدة.. تركتك وتركت معك حلو الحياة.. كان ذنبك الوحيد أنكِ زرعت في الثقة حتى ظننت أني قوي كفاية في مواجهة الحياة بدونك...

لقد تسرعْتُ..

لم أكن أعلم أن وجودكِ جانبي هو سر ثقتي.. كنت أنانيًّا بغيضًّا لا أرى سوى مرآتي التي تعكس صورتي وحدي حتى نسيت صورتنا المخبأة في فؤادي..

لم أفكر سوى بسعادتي حتى نسيت أن سعادتك مرتبطة بي كما كنت تخبرينتي..

فماذا لو عدت لك معتذرا عن سفاهتي...

باحثا عن خط رجعة لروحي القديمة.. إليك

حتى نعيد ترتيب حبنا مجدداً ونسير على الطريق ذاته معًا.. بلا منعطفات أو عراقيل؟.. فأنا لا أكتمل إلا بك..

يزن

❋❋❋

(توأم قلبي)

يوم الاثنين

الساعة 9:11 مساءً

بعد يومين من حادثة يزن

كان الثلج يتساقط بنعومة على المدينة، كل شيء أصبح مغطًّى باللون الأبيض، الشوارع والمحال التجارية مزينة بزينة يوم رأس السنة، الناس يستعدون للاحتفال الذي سيقام غدا، هناك من كان بانتظار عودة شخص عزيز ليبدأ عامه الجديد برفقته، وهناك من كان وحيدا منسيا لا أحد يذكره، كانت هذه الأيام أجمل أيام السنة لدى مشاكل وحلول، بل كانت هي الأحب لروحيهما، كانت تعيد لهما رائحة طفولتهما البريئة، يوم ولادة صداقتهما، وقصة كرات الثلج تلك..

خرج بيتر من منزله مرتديًا كنزته الخضراء الصوفية والتي تحمل اسمه مطرزا باللون الأبيض كانت قد أهدته إياها وهج ،خرجت تالين ووهج من منزلهما مرتديتين الملابس أنفسها: وشاحًا طويلاً من الكشمير وكنزة سوداء كانتا ترتديان فوقها جاكيت بنيا من الجلد الطبيعي، وبنطالًا أسود والذي التهم ربعه ذلك البوت الأسود الطويل، ابتسم بيتر عند رؤيتهما، فقد كانتا أنيقتين للحد الذي يجعلك تتوقف عن فعل أي شيء والاكتفاء بالتأمل بهما، ابتسمتا لابتسامته البريئة، لم تكونا تعلمان بأنها كانت مجرد فخ، فما أن اقتربتا منه حتى انحنى إلى الأرض وصنع كرتي ثلج، انحنت تالين بسرعة أيضًا لتصنع كرتها الخاصة، وكأنها تعرف ما سيحدث الآن، ظلت وهـــج

واقفة لا تعرف ما الذي يفعله هذان الاثنان..

- وهج بسرعة اصنعي كرة ثلج فقد بدأت الحرب. صاحت تالين بحماس

- هجوووم. صاح بيتر

سبقت تالين بيتر برمي كرتها لكنه استطاع تفاديها، عندها رمى هو كرته الأولى التي اصطدمت برأس وهج وتليها الكرة الثانية التي تفادتها تالين هي الأخرى..

قالت وهج وهي تخلخل أصابعها بين خصلات شعرها الأسود التبعد الثلج عنه:

- أنتما مخادعان تصنعان كراتكما بسرعة

- ليست مشكلتنا إن كنت لا تعرفين صنعها. قال بيتر

- بل يؤسفنا أنك كنت تعيشين في مدينة لا يتساقط الثلج فيها. ضحكت تالين

صنعت وهج كرتها ذات الشكل الغريب ورمتها بقوة تجاه بيتر فأصابت وجهه، ما أن مسح الثلج عن وجهه حتى جاءت كرة تالين لتغطيه مرة أخرى..

- أعلن استسلامي، توقفا

قفزت تالين بالهواء فرحة كطفلة:

- انتصرنا انتصرنا!

ضحكت وهج على وجه بيتر الممتلئ بالثلج..

- إن لعبتكما هذه ممتعة لكني لم أعد أشعر بيدي الآن

- أدخليهما في جيبي معطفك وستدفأان. قال بيتر

وهو يسير نحو سيارته ذهب الجميع نحو السيارة، كانت وهج ستجلس

بالمقعد الخلفي كعادتها إلا أن تالين أشارت لها أن تجلس بالمقعد الأمامي وهي من ستجلس في الخلف، أشعل بيتر نظام التدفئة وقاد متجها إلى مركز المدينة...

وبينما كانوا يتحدثون، قاطعهم اتصال من الملازم جودي..

ضغط بيتر على زر تكبير الصوت مجيباً

- أهلا ،جودي أنت على الهواء مباشرة تسمعك كل من تالين ووهج، هما معي بالسيارة

- أهلا يا بنات كيف حالكن؟!

- بخير عزيزتي جودي، كيف حالك أنت؟! أجابت وهج

- عدا أني الآن أطارد مجرما خطيرًا فأنا بخير

- أي أخبار جديدة؟

- نعم بيتر، هل تود سماعها الآن أم علي الاتصال بوقت لاحق كانت تشير إلى أن هناك بعض الأمور قد تكون سرية..

- لا، قولي ما لديك الآن

- حسناً، أخيرًا أزف لك خبراً مفرحًا، لقد توصلنا أخير المعرفة مكان منزل آريز

- جمييل جدا، وأخيرًا. صاح بحماس ضاربا بيده مقود السيارة

- الفضل يعود لك حضرة المحقق، أنت من اكتشف تلك المنطقة التي يعيش فيها

- وبمساعدة بوصلتي. أمسك بيد وهج وجذبها لصدره

خجلت وهج من هذا الإطراء على عكس أختها التي كانت تنظر وتستشعر مشاعرهما الجياشة المختبئة خلف العينين، تنظر لهما بفرح، سعيدة أن بيتر اختار بوصلته الصحيحة...

تنحنحت جودي مكملة حديثها :

- اطلعت مدير الشرطة على هذا الأمر أيضًا ونحن الآن ننتظر الأوامر لمداهمة المكان

- متى ستداهمونه؟!

- على الأغلب بعد ساعات قليلة

فجأة داس بيتر على دواسة الفرامل متوقفا على جانب الطريق السريـع...

- ماذا!! ولم لم يخبرني أحد بذلك؟

- وما الذي أفعله الآن؟! اتصلت لأخبرك بنفسي لتنضم إلينا، أعلم أن الأمر يهمك جدا

حينها شعرت تالين بانقباضة في صدرها، شيء لا تعرف سببه لكن الأمر لم يرِحهُا...

- حسنًا سأعيد تالين ووهج إلى المنزل ومن ثم سأتي للانضمام لكم.

التفت إلى وهج التي أومأت برأسها إيجاباً

- لا . قالت تالين مقاطعة بيتر

التفتا لها مستنكرين رفضها ..

- لم ترفضين؟! يجب علي الذهاب لإلقاء القبض على آريز بنفسي

- ليست هذه المرة بيتر، يكفي ما عشناه قبل ليلتين. قالت بحزم

- ولكنك تعرفين كم هي مهمة هذه اللحظة بالنسبة لي

- هل هي أهم مني؟! قلت لى سابقا إن وظيفتك هي حمايتي قبل حماية من في المدينة، إذا افعل ذلك اليوم وكن معي

- لا أفهم سبب انزعاجك من ذهابه يا أختي فهذا عمله المعتاد

- لكن ليس اليوم أرجوكما

- لماذا ؟! صاح بيتر ووهج في اللحظة نفسها

لم تعرف تالين وقتها كيف ستشرح لهما أنها لا تشعر بالارتياح لذهاب بيتر، وأصبحت قلقة أكثر عندما تذكرت ذاك المجرم المجنون، كانت مترددة في الإجابة...

- لا بأس تالين أنا سأترأس هذه المداهمة، بيتر سأوافيك بالتطورات، علي إغلاق الهاتف الآن فمدير الشرطة يشير لي بيده إلى أمر ما جاء صوت الملازم جودي عبر مكبر الصوت

- لكن جودي..

قاطعته

- بيتر علي الذهاب، لكن أغلق مكبر الصوت الآن وضع الهاتف عند أذنك، الأمر سري للغاية فعل ما طلبته بسرعة:

- أسمعك، قولي ما لديكِ

- تالين خائفة جدًّا عليك لذا كن معها اليوم أرجوك، كل شيء تحت السيطرة لذا لا تشغل بالك بأي شيء نظر بيتر إلى عيني تالين القلقتين عبر انعكاس المرآة الأمامية:

- علم حضرة الملازم أغلق الخط ثم داس بقدمه اليمنى على دواسة الوقود مكملا طريقه، شعرت تالين أخيرًا بالارتياح وعادت ابتسامتها البريئة على ثغرها، اقتربت منه وطبعت قبلة على خده الأيمن.

- شكرا سيد حلول. قالت مازحة

- العفو يا أكبر مشكلاتي

✵✵✵

بعد ساعتين...

أمام ذاك المنزل تمامًا ..

المنزل الذي سكنته تلك الروح الشريرة ونشرت الرعب بين سكان فانكوفر..

كان رجال الشرطة منتشرين بصمت يحاوطون المكان من جميع الاتجاهات، وقد أغلقت جميع مداخل ومخارج الحي تلبية الأوامر الملازم جودي رئيسة هذه المهمة، كان الجميع ينتظرون إشارتها للمداهمة، ترجلت من سيارتها الخاصة ونظرت إلى ساعتها التي كانت تشير عقاربها إلى الحادية عشرة مساء، ثم تأملت في المنزل المتهالك والهادئ..

- إذا هذا هو المنزل الذي يسكنه ذلك المجرم السفاح آريز الذي أزهق أرواح الأبرياء وراء انتقامه. قالت لنفسها

كان المكان هادئًا جدا، كأن لا وجود للشرطة بين أرجائه، أشار أحد العساكر للملازم جودي بأن ما أمرت به قد نفذ وأن المكان حوصر تماما وأصبحوا على أتم الاستعداد للمداهمة، بدا على ملامحها شعور الانتصار، أومأت برأسها لذاك العسكري وأشارت له بساعتها متمتمة بشفتيها :

- بعد خمس دقائق ستبدأ المداهمة

الكل متأهبون ينتظرون مرور ما تبقى من الوقت المحدد..

لم يتبقَّ سوى ثلاث دقائق..

دقيقتان ويصبح أحد أخطر المجرمين بين يدي الشرطة..

ثلاثون ثانية...

عشر ثوان...

وبحركة سريعة رفعت الملازم جودي

يدها في الهواء استعدادا لإعطاء الإشارة...

ثانية واحدة..

- هجوووووم. صرخت بقوة مشيرة بيدها إلى المنزل ركض بعض رجال الشرطة نحو المنزل، كسر اثنان منهم بابه الأمامي، بينما انتشر ثلاثة آخرون في فنائه الخلفي، داهم أربعة رجال المنزل من الداخل كانت الملازم جودي تنتظر خروجهم برفقة آريز، أرادت الدخول لكنها تذكرت أوامر رئيسها بأن تنتظر هي خارج المنزل فجأة سمع صوت إطلاق نار صادر من داخل المنزل، اتسعت عيناها مستنكرة ما يحدث، من غير المفترض أن يكون هناك إطلاق نار فالمحكمة العليا تريد آريز حيًّا، جاء صوت عدة طلقات أخرى ثم عم السكون...

أمرت الملازم جودي بعض الجنود بالدخول وتفقد ما يحدث في الداخل، لكن ما أن دخلوا حتى خرجوا برفقة الآخرين، لكن المفاجأة كانت بدون آريز...

- أين هو؟! صرخت الملازم

- حضرة الملازم لم...

قاطعت رجل الشرطة: - لم ماذا؟! لم تستطيعوا القبض عليه وأنتم أربعة أشداء!! أم قتلتموه!! تماما

-لم يكن هناك أحد في الداخل ملازم جودي المنزل خال تمامًا

- خال!! كيف!!

استشاطت غضبا، فبعد ما كانت فرصتها المثالية بالقبض عليه أمامها تماما، أفلت من يدها مجددًا..

- من المؤكد أن اللعين خرج قبل محاوطتنا المكان بأكثر من ساعتين خبطت بيدها سور المنزل

- لو أن أمر المداهمة جاء في وقت مبكر لأمسكنا به قال احدهم

نظرت الملازم جودي في وجوه فريقها التي اعتلى بعضها الفتور:

- لكن لحظة!! ما كان سبب إطلاق تلك النيران إذًا ؟

قال أحد العساكر الذين دخلوا المنزل موضحًا:

- ملازم جودي المجرم الذي نطارده مريض فعلا، فقد صنع دمى كثيرة بطولنا تقريبا، كانت منتشرة في أرجاء المنزل بين واقفة وجالسة، وحتى مختبئة خلف الأبواب

- دمى بحجم الإنسان؟!

- نعم حضرة الملازم كالتي يضعونها في المحال التجارية، رجالاً ونساءً

- تحمل أسماء أيضًا. قال عسكري آخر قد كان بالداخل أكمل الرجل حديثه:

- عندما سقطت إحداهن أرضًا ظننا أن آريز يتحرك بيننا متلاعباً

أكملت الملازم جودي ما كان يريد قوله:

- لذا أطلقتم النار في الهواء لإخافته

- هذا ما حصل فعلا

ظلت صامتة تفكر فيما ينبغي عليها فعله الآن، أين ستجد ذاك المريض النفسي في مدينة كبيرة كفانكوفر، هل تنتظر عودته إلى المنزل أم تأمر فريقها بمغادرة المكان، ماذا لو لم يعد إلى منزله الليلة وكان الانتظار بلا فائدة..

- اللعنة عليك يا آريز قالت وهي تسير إلى داخل منزله

- ملازم جودي أين تذهبين؟

- أريد رؤية تلك الدمى المزعومة بعيني

دخلت المنزل وقد رافقها رجلان من فريقها، كانت تتأمل سقف ذاك المنزل المتهالك، جدرانه الباهتة، إنارته السيئة، كان كل شيء كئيبا لدرجة أنها شعرت بالضيق داخله، رأت إحدى الدمى والتي كانت لامرأة تجلس في غرفة المعيشة، اقتربت منها أكثر، امتلات على وجهها علامات الدهشة عندما رأت اسم هذه الدمية والذي كان مكتوبا بخط اليد على جبينها :

مارثا..

- يا إلهي أي مرحلة من الجنون قد وصل إليها هذا الشاب؟! هل الحب يفعل كل هذا؟! تسأل نفسها

أكملت جولتها سيرًا إلى غرفة الضيوف، وجدت دمية رجل مستلقية على الأرض، اقتربت لترى الاسم المكتوب على جبينه، وكانت المفاجأة بانتظارها: مايك ...

- إنه ذاك الصيدلي الذي قتل في شقته بواسطة الحقنة القاتلة كلوريد البوتاسيوم ويروميد البانكورونيوم»، أول ضحايا آريز. قالت لرجالها

ذهبت إلى المطبخ فوجدت دمية مختبئة خلف الباب كتب على جبينها: يزن صعدت إلى الدور العلوي والذي كان معتما، أضاء الشرطيان مصباحين كانا يحملانهما، كانت هناك دمية رجل متكئة على الجدار في آخر الممر تحمل اسم ديفيد، دخلت إحدى غرف النوم فوجدت دمية على السرير لامرأة باسم هيلدا، عند خروجها من الغرفة اصطدمت بدمية امرأة أخرى لم ترها عند دخولها...

تهجأت ما كتب على جبينها:

- ديانا

خرجت من الغرفة ذاهبة إلى غرفة النوم الرئيسة، كانت متيقنة غرفة اريز..

هل رايتم ما فعله هذا المعتوه؟! ملا منزله بدمى تحمل الماء جميع ضحاياه، أي شر يحمله هذا!!

- ملازم جودي انظري إلى الدمية الجالسة على الأرض هناك، اظنها آخر ضحاياه

- إذهب وتحقق إن كانت تحمل اسم جيلبرت فهو حتما الأسم الأخير

ذهب الشرطي ليتفقد الاسم، أو ما برأسه إيجابًا لها، لقد كان جيلبرت فعلا، أكملت طريقها الغرفة آريز، توقفت عند عتبة الباب تأمل الغرفة، رأت بعض الملابس الملقاة على الأرض..

- إذا هنا ينام القاتل المتسلسل، هنا يكمن منبع الشر

راحت تفتش في دولاب ملابسه لكنها لم تجد شيئًا مهما، ذهبت تتلك المنضدة الصغيرة القريبة من سريره، لم تر شيئًا مهما إلا ذلك الظرف الذي لفت انتباهها والذي كتب على ظاهره: عزيزي جوليان، فتحت الظرف وقرأت رسالة اعتذار مارثا لجوليان وعن سبب انتحارها الذي أحزنها فعلا، عرفت الآن لم آريز يعذب ضحاياه بهذه البشاعة، تحوله لمجرم مرعب بسبب رسالة مارثا الأخيرة..

- ملازم جودي دمية رجل أخرى مستلقية هنا!!

صرخ الشرطي مشيرًا بيده أسفل السرير

استنكرت ذلك فقد اكتملت جميع أسماء ضحايا آريز، إذا لمن تكون هذه الدمية؟!، سحبتها من قدميها لترى اسمها، لكنها صعقت وأصابها الذهول عندما رأت الاسم التفتت إلى رجليها اللذين انتفضت أجسامهما، حينها، كان الخوف يملأ ملامحهما، فقد كان الاسم مهما بالنسبة لهم جميعا، اسما يرمز للعدالة..

نطقته بصوت مبحوح

- بيتر

✵✵✵

(يبدو أنها نهاية القصة يا حلول)

- ما الذي تريده جودي؟! سألت تالين بيتر بعد أن أغلق الخط وأعاد الهاتف إلى جيبه

- فشلت المداهمة، هذا ما أرادت قوله لي. أجاب بحزن

آنذاك نظرت وهج إلى عيني بيتر الحزينتين:

- كيف فشلت وكل شيء كان مخططا له؟!

- كان آريز محظوظا هذه المرة أيضًا، فهو لم يكن في منزله آنذاك

ساد الصمت قليلا ...

أمسكت تالين يد بيتر ورفعت رأسه المطأطأ بالأرض..

- ستمسك به قريبا وستزج به في السجن أنا واثقة جدا من هذا

- أتفق مع ما تقوله أختي، صحيح أنه أفلت هذه المرة لكنه لن يفلت في المرة القادمة

- سيد حلول

- نعم آنسة مشاكل؟

- ابتسم رجاءً فالابتسامة تليق بك

نظر إليها بلطف وابتسم...

- احم احم. تنحنحت وهج

ضحكت تالين قائلة:

- إنه يخصني يا عزيزتي قبل أن يصبح لك، أنا هي مفتاح سعادته أليس كذلك بيتر ؟!

- بل مفتاح مشكلاتي. أجابها مازحًا

قهقه الجميع على تلك التعابير التي ارتسمت على وجه تالين..

كانت وهج وتالين تحتسيان الشوكولاتة الساخنة بينما كان يحتسي بيتر الشاي، يتسكعون في الطرقات المزدحمة والخالية. يزورون بعض المحال التجارية دون شراء أي شيء يذكر، يلقون النكات بعضهم على بعض ويتمايلون من كثرة الضحك، كانوا مستمتعين جدا بتلك الأجواء الباردة، فقد كان الثلج يتساقط ويداعب وجناتهم، والناس يبدون أنيقين بملابسهم الشتوية، كأن الشوارع العامة أصبحت كدور عرض للأزياء، ساروا حتى وصلوا لحديقة ستانلي، وقفوا أمام تلك البحيرة الكبيرة ينظرون للقمر المشع ولانعكاس ضوئه الفاتن على سطح الماء، كان المكان هادئا ومريحا، نظرت وهج إلى ساعتها التي تشير للثانية عشرة عند منتصف الليل، لم ترد أن تفسد المتعة لكنها تذكرت طلب تينا منها بأن لا يتأخروا كثيرا في العودة..

- لا أريد هدم هذه اللحظة الجميلة ولكن أشعر أنه علينا العودة...

- لماذا؟! سأل بيتر

أجابت تالين عوضا عن أختها:

- لأن أمي طلبت ألا نطيل في عودتنا للمنزل حتى ساعة متأخرة   يا له من توقيت، إذا من منكما هي سندريلا التي ستتحول؟. قال متذمرا

ضحكت الأختان على مزاجية بيتر، ثم أجابت تالين:

- طبعا وهج هي سندريلا الجميلة

- وأنتِ ذاك الفأر النحيل الذي تحول لحصان. قال بيتر

- أنا شمس منتصف الليل نظر بيتر ووهج بعضهما إلى بعض..

- يا له من اسم ساحر، شمس منتصف الليل. قالت وهج وهي يتأمل معنى الاسم

- اسم عاطفي ممزوج بالغموض. قال بر محاولا تحليل الاسم

- هذا الاسم يشبهني كثيرًا

كانت تالين تخبرهما عن مدى حبها لذلك الاسم، وكم هو قريب لقلبها كثيرًا، اسم تختبئ خلفه، يميزها وتتفرد به، بل كان حكاية لا يعرف تفاصيلها أحد غيرها، وسيبقى هذا الاسم عالقا في قلبها، كما هي الحكاية عالقة في ماضيها...

- أقولها بأعلى صوت: أنا شمس منتصف الليل

رن هاتف وهج، تينا كانت تتصل..

- أهلا أمي

- أهلا وهج، كيف حال الجميع؟! كيف تسير نزهتكم؟!

- جميعنا بخير، وكل شيء رائع يا أمي، الثلج يتساقط علينا بلطف

- سعيدة لسماع هذا، لكني أشعر بأن الوقت قد تأخر يا ابنتي ووالدك لا يحب مكوثكما خارج المنزل لساعات متأخرة كما تعرفين

- حاضر أمي سنعود حالا خطف بيتر الهاتف من يد وهج:

- خالتي تينا بيتر يتكلم معك

- أهلا عزيزي بيتر

- هل لي بطلب؟!

- تفضل، وطلبك مقبول قبل أن أسمعه، أنت تعرف أني لا أستطيع رفض شيء تطلبه

- شكرًا جزيلًا للطفك كل ما أردته هو أن تعطينا ساعة إضافية قبل عودتنا فصديقتي جودي في طريقها إلينا لقضاء هذه الساعة معنا

- لك ما تريد، استمتعوا بوقتكم، وداعًا

أغلق الخط وابتسم في وجه تالين ووهج:

- لدينا ساعة إضافية من المرح والمتعة، ساعة أخيرة

- هل حقا جودي قادمة؟! سألت وهج

- نعم، فبينما كنت تتحدثين مع خالتي، طلبت جودي مني أن أرسل لها موقعنا وقالت بأنها ستأتي لقضاء بعض الوقت معنا أعلم أنها تشعر بالإحباط الآن لذا هي تبحث عن بعض المتعة معنا قالت تالين بابتسامة ماكرة:

- جميل سأجعلها تضحك حتى يتوقف قلبها

- رفقا بها يا شمس منتصف الليل

- ما رأيكما أن نجلس على تلك الكراسي الخالية بجانب البحيرة إلى أن تأتي؟ أشارت وهج بيدها

- هيا فقدماي متعبتان. سبقتهما تالين

كانوا يتأملون جمال المكان لم يكن أحد غيرهم هناك، فقط طيور البجع العائمة وسط البحيرة، كان كل منهم يحاول التقاط صورة احترافية لينشرها في مواقع التواصل الاجتماعي، إلى أن بدؤوا يتحدثون عن بعض الموضوعات المهمة، كحفل تخرج تالين من الجامعة الذي سيكون قريبا، وما هي الأمور التي يجب تجهيزها..

- يجب أن يكون الحفل كبيرًا ويليق بمهندسة مثلي كما تعلمان

- بالطبع سيكون مختلفا فمشاكل هي من ستتخرج

- هل تصدق بيتر أني سأتخرج أخيرا!! ابتسم لها:

- لقد كبرت فعلا يا تالين ونضجت كثيرًا نظرت لعينيه المتلألئتين..

- هل لي بعناق سيد حلول ؟!

اقتربت منه ومالت برأسها إلى صدره وعانقها بقوة وعيناه مغمضتان هب نسيم هواء بارد جلب معه ذكرى طفولتهما الجميلة..

مضى على انتظارهم خمس عشرة دقيقة..

- ما هي الحياة من منظور كما؟! سألت تالين وهي تتأمل حركة القمر الذي كان يختبئ حينها بين الغيوم

ساد الصمت قليلاً ..

أجابت وهج:

- بالنسبة لي قد تكون إجابتي غريبة بعض الشيء لكما لكنها مبنية على جميع تلك السنين التي عشتها في الحياة، فالحياة هي امرأة فاتنة جدا ولا يستطيع أحد رؤية جمالها سوى من يملك عائلة، وليس أي عائلة فقط

بل مترابطة فيما بينها، وإلا فسترى امرأة ذات ملامح مخيفة قبيحة ممسكة بسوط غليظ قابضة عليه بيدها اليمنى وترفعه في وجهك لتجلدك به بكل قوتها في كل مرة تطلب فيها منها الرحمة

- تعبيرك عميق جدا يا أختي، ومنذ قدومك لفانكوفر أعتقد أنك أصبحت قادرة على رؤية المرأة الفاتنة أومأت برأسها إيجابًا مع ابتسامة لطيفة ارتسمت على وجهها النحيل..

- بالنسبة لي يكمن سر الحياة في الحب، أن تستيقظ كل صباح وتستشعر كم أنت شخص محبوب ووجودك مهم لدى أحدهم وغيابك عنه يخيفه بل لا يطيقه إطلاقا، تشعر أن لك هدفا يجب عليك تحقيقه كل يوم وهو جعل من تحبه سعيدا وبأمان، لن نتلذذ بجمال الحياة ما دمنا لا ننشر الحب بيننا، ففي الحياة مشقات كثيرة لا يخففها سوى وجود شخص تستأنس معه ويهون عليك أوجاعك التي أرهقتك وأرادت سرقة الفرح من عينيك ويحاول بشتى السبل أن يجعل منك شخصا قويا ناجحا مهما كلفه الأمر لأنه ببساطة يحبك

- يكون سندا لقلبك

- تماما يا تالين

- إجابتكما ملهمة فعلا، فالحياة تكون بلا قيمة دون وجود العائلة، وتصبح باهتة إن لم يكن لديك شخص وجوده فقط حولك يشعرك بالقوة، شخص بإمكانك الاستناد عليه حال ضعفك.

اقتربت تالين من وهج وبيتر ووضعت كلا من يديها الاثنتين على كتف أحدهما..

- وأنا اليوم أسعد فتاة على وجه الأرض، فبجانبي أختي الكبرى التي تشعرني بدفء عائلتي، وبجانبي أيضًا توأم قلبي وسنده الوحيد القادر على انتشالي من ضعفي مستمدة منه قوتي

ابتسما لها وربتا على كتفها...

أصبح الطقس باردًا أكثر ...

وأنتِ ما هي إجابتك يا شمس منتصف الليل؟! سأل بيتر

كانت تالين مستعدة للإجابة إلا أنها صرخت صرخة ذعر دوت بالمكان كله..

عيناها متسعتان..

أطرافها ترتعش بشدة...

دب الرعب في قلبها فجأة...

أنفاسها متسارعة بشكل ملحوظ ومريب..

تالين ما الخطب ؟!! صرخ بيتر

- ماذا هناك تالين؟ تكلمي !!

أشارت بإصبعها المرتجف تجاه ذلك التل المظلم والممتلئ بالأشجار المعمرة..

- إنه هناك إنه هناك يقف متأملا بنا انظروا إليه. تصرخ

كان يقف ذاك الرجل المفتول العضلات لابسا قناعه الأبيض بجانب شجرة كان مختبئا خلفها...

- بيتر إنه يحمل مسدسا بيده!! صاحت وهج

- وماذا تريد الآن يا آريز؟ أخبرني!! صرخ المحقق بشجاعة

لم يجب...

ظل صامتا ينظر إليهم من علو ..

- بيتر ماذا سنفعل الآن؟ فنحن لا نعلم ما يجوب في رأس ذلك المجنون. سحبت وهج أختها الصغرى لتجعلها قريبة منها

- تبا تركت سلاحي في السيارة! لم أتوقع أني سأحتاج إليه

بدأ آريز النزول من التل والاقتراب منهم شيئاً فشيئاً..

كان منظره مخيفاً خاصة في هدوئه...

- جوليان لا تستمع له، أنت شاب طيب القلب ولن تكون مارثا سعيدة إذا فعلت ما يطلبه منك الشيطان آريز. قالت تالين

لم تكن تعلم تالين بأن خلف ذلك القناع الأبيض حربا نفسية قائمة لأجلها، فقد كان جوليان يحاول السيطرة على آريز وحركته لكن غضب أريز كان أقوى منه مما جعله المتحكم الرئيس بحواسه

- جوليان أرجوك حرر نفسك من هذا الشيطان اللعين، تذكر مارثا تذكر صداقتنا، تذكر كل شيء جميل في حياتك

- وماذا إن كنت أنا كل أشيائه الجميلة؟ قال آريز بصوت جهوري غليظ

- أنت لعنة حلت بجوليان المسكين، أنت أسوأ من عرفه جوليان

أمسكت وهج يد تالين قائلة:

- كفى تالين لا تحاولي استفزازه أكثر كي لا يرتكب أي حماقة وينهينا

كان بيتر يلتفت يمنة ويسرة باحثًا عن أي فكرة تساعده في الخلاص من هذا المأزق..

بدا المشهد مرعبا أكثر ومربكا عندما بدأ آريز بالصراخ والحديث مع نفسه بطريقة هستيرية..

- توقف أيها الوضيع عن الشوشرة بي، توقف وإلا قتلتها أمام عينيك الآن، اخرس اخرس

- آريز دعهم وشأنهم، يكفي أولئك الذين لطخت يدي بدمائهم بسببك تالين صديقتي وبيتر صديقها ولن أجعلك تؤذيهما

- لطخت يدك انتقاما لحبيبتك أيها الجبان، أنت جبان ضعيف حقا، أنا من جعل لك هيبة بين الناس أنا من جعلهم يخافون حتى من ظلك، بدلا من أن تشكرني تلقي اللوم علي!!

- إذا يكفينا إزهاقا للأرواح أن فلقد تعبت من كل هذا أريد أن أحيا سلاما داخليا، اخرج من رأسي حالا

ضحك آريز ساخرا:

-لم يعد هذا الجسد لك وحدك، بل هو يخصني أيضا وسأبقى أشاركك العقل ذاته والأفكار وسأسيطر على كل حواسك بينما كان آريز يحاول السيطرة على جوليان، كان بيتر يقترب من غصن شجرة رآه ساقطا على الأرض بالقرب من البحيرة، لكن ما أن استطاع إمساكه حتى التفت آريز بسرعة تجاهه وبحركة سريعة غير متوقعة رفع السلاح في وجهه وضغط على الزناد...

دوى صوت الطلقة في الحديقة...

طارت الطيور من أعشاشها هاربة...

صوت صرخات حادة يعلو في المكان..

كان آريز ينظر لما فعل للتو...

لأول مرة يشعر آريز بالخوف...

كانت ضحيته تنظر إليه مترنحة...

بدأ جوليان يصرخ بهستيريا:

- ماذا فعلت؟!! ماذا فعلت أيها الأحمق!! لماذا لماذا!! قلت لك ألا تفعلها!! لمااااذا!!!

صاحت وهج بحرقة وقد بدأت تجهش بالبكاء:

- تاااااليين!! لا لا!! أرجوك لا!!

- كانت تقف تالين مباشرة أمام بيتر كدرع منيع له وثيابها ممتلئة بالدماء، نظرت إلى مكان استقرار الرصاصة والتي كانت أسفل صدرها مباشرة، لم تستطع المقاومة كثيرا حتى سقطت أرضًا أمام الجميع..

- لاااا لاااا يا تالين لماذا قفزت نحوي لماذااا؟؟! صاح بيتر ممسكا برأسها قبل أن يرتطم بالأرض

وضع جوليان المسدس على رأسه استعدادا للانتحار...

- قلت لك إنها صديقتي المقربة!! كيف استطعت فعلها ؟!! يجب أن أنتقم لها يجب أن أقتلنا حاول آريز إبعاد المسدس عن رأسه...

- ما الذي تفعله يا وضيع، أتريد قتلنا!! أنا لا أموت بهذه السهولة فأنا آريز هل فهمت ؟!!

استطاع آريز إبعاد السلاح عن رأسه وتوجيهه مجددا على وجه بيتر الذي بدأ يجهش بالبكاء هو أيضا ويحدث تالين

- هذه المرة لن تفلت من يدي يا بيتر، ستموت الآن!!

دوى صوت الطلقة مجددًا في أنحاء الحديقة...

لكن هذه المرة كان صادرًا من مكان آخر ...

نظر آريز خلفه ببطء، كانت تقف خلفه مباشرة الملازم جودي مشيرة بسلاحها نحوه شعر بحرارة شديدة خلف ظهره الدماء تتدفق منه، كان الألم شديدًا يصعب تحمله، رفع سلاحه نحوها ليطلق النار فجاءه ردها سريعا بطلقتين ارتكزتا في صدره لتسقطاه أرضًا وسط بركة من الدماء

- تالين تالين أبقي عينيك مفتوحتين. كان بيتر يصفع وجهها برفق كي تبقى مستيقظة

أخرجت الملازم جودي هاتفها بسرعة وطلبت الإسعاف..

كانت وهج ممسكة بذراع أختها وسط بركة من الدماء ولا تزال تصرخ وتبكي بحرقة خشية من فقدانها لها، بينما كانت تالين تنظر إلى وجه بيتر بابتسامة بريئة..

- بيتر. تنادي بلطف

- أنا هنا بجانبك تالين لا تخافي، سيارة الإسعاف أصبحت قريبة

- هذه المرة مشاكل هي من أنقذتك. تقولها مبتسمة

- يا ليت أن الرصاصة اخترقت صدري بدلا أن أراك هكذا يا حبيبة قلبي

كان بيتر يضع كلتا يديه على مكان الإصابة محاولا إيقاف نزيفها، لكنها فقدت الكثير من الدماء وألمها بدأ بالازدياد أكثر فأكثر، كانت وهج تداعب شعر أختها وتبكي، بينما كانت جودي تصرخ في سماعة هاتفها طالبة من سيارة الإسعاف الإسراع ..

وفي وسط ذلك الضجيج رن هاتف وهج.

- بيتر إنها أمي تينا . تخبره بقلق

- لا تجيبي. أجاب بحزم

سعلت تالين بشدة وسالت دماء من فمها، شعرت بوخز حاد في صدرها،

نظرت إلى وجه أختها المنهار بالبكاء ثم نظرت إلى بيتر الذي اجتاح الخوف ملامحه، أمسكت بيديهما ووضعتهما بعضهما فوق بعض..

- اعتنيا بعضكما ببعض، فكلا كما يخصني

- لا لا تقولي هذا الآن، أبقي عينيك مفتوحتين وكفي عن الهذيان ابتسمت لوجهه المرتبك:

- حلول أختي أمانة في عنقك، حافظ عليها واحميها كما كنت تفعل معي دائما بكي بيتر بحرقة..

- حبيبتي وهج، أترك لك أعظم رجل عرفته في حياتي فاعتني به جيدا يا أختي لأنه ببساطة توأم قلبي، كنا عونًا بعضكم البعض ولا تفرقكما الحياة، وابتسما دائما فالابتسامة تليق بكما تذكرا هذا جيدًا اختلطت دموعهما ببركة دمائها ...

- ستكونين معنا يا شمس منتصف الليل

- نعم ستكونين معنا يا شمس منتصف الليل

لاحت أنوار سيارة الإسعاف وبدأ صوت الصفارات بالاقتراب أخيرا، ركضت الملازم جودي نحوهم مشيرة بيدها بالإسراع أكثر ...

- لقد وصلت سيارة الإسعاف يا مشاكل لا تخافي نظرت إليه بعينين ممتلئتين بالدموع

- يبدو أنها نهاية القصة يا حلول كفّرت مشاكل أخيرا عن ذنوبها وأنقذت حلول لأول مرة

- لاااا لاااا إنها ليست النهاية ليست النهاية ابقي معي أرجوك أنا أحتاجك كثيرا، وعدتني ألا نفترق فلماذا تخلفين الوعد الآن؟!! أرجوك لا تتركيني كما فعل والداي فأنت قوتي وسندي. صرخ بهستيريا

- تالين لا أريد العيش في هذا العالم البائس وحدي، أحتاجك معي أحتاجك يا أختي، وحدك من أنار عتمتي وجعلني أومن مجددا بنفسي، أنت صديقتي الوحيدة في الحياة، أنت ملجئي وأماني، لم تأخذ الحياة كل شيء جميل مني. كانت ترتعش

- ستكونان معًا، ستكملان القصة معا من حيث النهاية فما النهايات إلا بدايات لما هو أجمل، وهج وبيتر، اعتنيا بعضكما ببعض ولا تفرقكما الحياة زفرت تالين زفرتها الأخيرة وتركت خلفها ابتسامة بريئة على وجهها..

صاحا معا بصوت واحد

- لا تاااااليييين

-لم تجب ببنت شفة ...

كانت أطرفها باردة بلا حركة...

لقدر حلت..

رحلت تالين وتركتهم في بكاء طويل...

رحلت مشاكل وتركت صديق طفولتها حلول بأيد أمينة...

رحلت شمس منتصف الليل لتجعل الليل من بعدها مظلما وباهتا...

النهاية

✵✵✵

(ثمة حلم يجب أن يتحقق)

الأربعاء

الخامس من شهر ديسمبر

الساعة 2:40 فجرًا

كانت تملأ استمارة المشاركة في المسابقة بواسطة حاسوبها الشخصي..

أنا تالين..

فتاة أبلغ من العمر ثلاثة وعشرين ربيعا..

أحب عائلتي كثيرًا فهم سندي الدائم وملاذي الآمن، بل هم كالأبطال الخارقين في قصص الأطفال وجدوا لمساعدتي وحمايتي من كل شر..

عاشقة للكتب والروايات

كنت أحلم دائما بأن أصبح كاتبة وأقوم بكتابة رواية تحمل اسمي...

لذا قررت الدخول في مسابقة حلم الكتابة وكتابة أول رواية لي والمشاركة بها..

"شمس منتصف الليل"

لا أطمح بالجائزة الكبرى، فجائزتي هي قراءتكم لما قدمته بين أيديكم وإعطاؤه الفرصة، ربما يراه البعض مملا وقد يستمتع به آخرون، لكنه عصارة ألم وحزن، وحدة ويأس، خيبة وانكسار سهر الليالي الباردة

والطويلة، وبسببهم حلمي الذي لطالما أردته أن يرى النور.. ها قد رآه أخيرا...

تقبلوا مني تحياتي مع خالص الاحترام والتقدير..

شمس منتصف الليل..

ثم نقرت بزر الفأرة الأيسر لجهاز الحاسوب على كلمة إرسال المحتوى...

طرق باب الغرفة...

- ادخل. قالت تالين

دخلت والدتها الحجرة واضعة يدها على خصرها، كانت تعابير وجهها تنم عن عدم الرضا..

- لم لم تخلدي للنوم حتى الآن آنسة تالين؟! أتمنى أن يكون لديك جواب مقنع

- أعلم بأنه من المفترض أن أكون نائمة الآن، وبأننا غدا سنذهب لزيارة جدي وجدتي باكرًا، لكن في الحقيقة يا أمي العزيزة أني للتو انتهيت من كتابة الرواية ولقد أرسلتها لبريد المسابقة

أجابت والدتها بحماس :

- أخيرا!! أتمنى لك التوفيق يا ابنتي في تحقيق حلمك، أنا واثقة بأنها ستكون جميلة، ثقي أننا سندعمك بشتى السبل

- أحبك أمي أنتم الداعم الأول والدائم لي، محظوظة أنا بعائلتي ركضت تالين نحو أمها وعانقتها بقوة...

- أتعلمين يا أمي أني قد استخدمت جميع أسمائكم في روايتي.

كانت تضحك

- كيف ذلك؟!

أخذت تالين قلما من على منضدتها وبدأت تشرح في الهواء مستعينة به ...

- وهج وبيتر، أنت وأبي، خلقت منكما علاقة جميلة وجعلتكما تحبان بعضكما بعضًا

قاطعتها والدتها:

- كما هو في الواقع نعم نعم

- كما في الواقع.

ضحكت على تعليق أمها وكأنها تحاول تذكيرها بحبهما أكملت شرحها:

- طبعا أنا هي بطلة الرواية وجعلت من أختي إيميلي صديقة مقربة لي

- جميل

- لكنها خبيثة. ردت بصرامة

نظرت وهج لابنتها مستنكرة:

تقصدين في روايتك فقط صحيح ؟!!

- بالطبع يا أمي، جميع الشخصيات من نسج خيالي وجميع تصرفاتها كنت

أنا المسؤولة عنها، عدا بعضها كانت تصرفاتهم هم

- من هم؟!

- أقصد الشخصيات، دعك من هذا فهي فلسفة الكتاب

قالت وهج متذمرة:

- أكملي يا تالين وبسرعة، أريد الذهاب للنوم

- حسنا، جارنا العم جوليان اللطيف كان له نصيب مهم في الرواية فقد جعلت منه رجلا غريب الأطوار، ولم أنس طبعا جدي وجدتي أمجد وتينا سكتت قليلا ثم أكملت:

- هناك شخصية سميتها يزن لكنها ترمز لاسم آخر سأحتفظ بهويتها لنفسي

- لماذا ؟!

نظرت لوالدتها وأجابت بصراحة:

- لأنها هي السبب الرئيس في وجود شمس منتصف الليل، هي من جعلتني أكتب الحزن كما عشته تماما معها

- كلامك غريب، كوني واضحة أكثر

أجابت متهربة:

- فلسفة كتاب يا أمي، هيا لنخلد إلى النوم

تثاءبت وهج:

- قرأت مرة عبارة تقول: (مخيفة فكرة أن جميع الشخصيات في الرواية هي شخصية الكاتب، ربما هي فلسفة كتاب كما تقولين أو قراء لا أعلم ولكني متيقنة بأني سأجدك بين تلك الصفحات قبلت وجنة ابنتها وأكملت:

- سأذهب إلى غرفتي، تصبحين على خير

أطفأت تالين ضوء حجرتها وأغلقت الباب خلفها، استلقت على سريرها متأملة في السقف، كانت تتذكر شخصا ما، شخصا جعلها تتألم كثيرًا حتى لجأت إلى الكتابة من بعده وأصبحت صلبة لا تكسر ...

قالت بصوت منخفض:

- كنت صادقة معك، لكنك خذلتني، وعدتك أني سأكتب قصتنا وسيقرؤها الجميع باستمتاع، إلا أنت ستقرؤها وتتألم ندما، ها أنا ذي فعلتها، أقولها لك أخيرا: شمس منتصف الليل أوقت بوعدها..

أغمضت عينيها مبتسمة وممتلئة بنشوة الانتصار.. خلدت أخيرا إلى النوم، لكن هذه المرة كانت كالمنتصرة في حرب دامت لسنوات..

تم بحمد الله

✵✵✵

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق:

▪ mohamed ▪

▪ فاطمة ▪

▪ رحاب ▪

ترتيب وتصميم:

▪ أشرف غالب ▪

شَمْس مُنتَصَف اللَّيْل

جثا بالقرب من الجثة، مزّق ثيابها من الخلف، بدأ يخدش بالسكين على ظهرها ليكتب اسمه، يخدش بقوة أكبر والدماء تسيل حتى أصبح اسم "آريز" واضحاً، أمسك بالذراع اليمنى وبترها، ثم أعاد الكرّة باليسرى، ثم الساق اليمنى حتى انتهى باليسرى، دماء تناثرت على جدران الغرفة وأرضيتها، على الستائر والأثاث، وضع ما تبقى من جسد الجثة على السرير ثم غادر..

محمد طارق الدوسري

@9Moody9
@Moody.td
@Moody9__

adabarabic7
services_book
servicesbook1
www.adab-book.com

9 786037 391816